الإمام الحسين (ع)

سيرة ومقتل

محمد هادي

٣/١

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة نرجس PDF

www.narjes-library.blogspot.com

محمد هادي

الإمام الحسين (ع)

سيرة ومقتل

رحلة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء

القسم الأول

دار القارئ

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
بيروت

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

دار الفارس
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ت: ٠٣/٤١٣٢٥٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢
ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ
عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله مالكِ الملكِ، مجرِي الفُلكِ، مسخّرِ الرياحِ، فالقِ الإصباحِ، ديّانِ الدينِ ربِّ العالمين.

والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، أمينِ الله على وحيه، وعزائمِ أمرِه، الخاتم لما سبق، والفاتحِ لما استقبل، والمهيمنِ على ذلك كلِّه...

وعلى أهلِ بيتهِ شجرةِ النبوة، وموضعِ الرسالة، ومختلفِ الملائكة، ومعدنِ العلم، وأهلِ بيت الوحي...

أهل البيت عليهم السلام خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله:

فقد خلّفَ رسولُ اللهِ في أمته كتابَ الله وعترتَهُ حيث قال في أكثرَ من موقع: «أيُّها الناسُ إنّي فَرطُكم وأنتُم

واردُونَ عليَّ الحَوضَ. . وإني سائِلُكُم، فانظروا كيف تُخَلِّفوني؟ . .

«ألا وإني مخلِّفٌ فيكم الثِقْلَين: كتابَ الله، وعترتي أهلَ بيتي، ما إن تمسكتُم بهما، لَن تضلُّوا بعدي أبداً، ولقد أنبأني اللطيفُ الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. . . ».

وقال ﷺ: «إنما أهلُ بيتي فيكم كسفينةِ نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرقَ وهوى».

وجعل الله أجرَ محمد ﷺ في كتابه مودةَ أهل بيته في الحياة الدنيا فقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

وقال ﷺ: «ما أسألكم من أجر فهو لكم ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾».

فكانوا السبيلَ إلى الله، والمسلكَ إلى رضوانه، والفُلكَ الجارية في اللُّجَجِ الغامرة، يأمنُ من ركبها ويغرقُ من تركها، المتقدمُ لهم مارقٌ، والمتأخرُ، عنهم زاهقٌ،

واللازمُ لهم لاحقٌ.. إذ كانوا شجرةَ النبوةِ، وموضع الرسالة.. ومختلفَ الملائكة، وَمَعْدِنَ العلم، وأهل بيت الوحي. وقد أنزل الله فيهم قوله: ﴿التَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقد أوجب الله حقوقهم وفرض طاعتهم وولايتهم فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

فالعادلُ بهم، عادلٌ عن الدين القويم الذي ارتضاه لعبادِهِ ربُّ العالمين، وقد أنذرَ سبحانَهُ عن العدول عنهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ

عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾.

وقـــــال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

وكم من موقف وقفَ فيه رسولُ الله معلناً الولايةَ لعليٍ عليه السلام وأهل بيته قائلاً: «من كنتُ مولاهُ فهذا عليٌّ مولاهُ، اللَّهم والِ من والاهُ وعادِ من عاداهُ، وانصر من نصرَهُ، واخذل من خذله». وقال: «عليٌّ منّي بمنزلةِ هارونَ من موسى إلا أنهُ لا نبيَّ بعدي».

وقال لسلمان: «إنه سيكونُ بعدي هنات، حتى يختلفَ السيف فيما بينهم، ويقتلُ بعضُهم بعضاً ويتبرأُ بعضهم من بعض، فإذا رأيتَ ذلك فعليك بعلي بن أبي طالب، فإن سلكَ الناس وادياً، وسلكَ عليٌّ وادياً آخر، فاسلك الوادي الذي سلكَهُ عليٌّ، فإن علياً لا يردُّكَ عن هدى، ولا يدلُّك على ردى، فإن طاعةَ عليٍّ طاعتي، وطاعتي طاعة الله».

وقال ﷺ : «إن رحى الإسلام دائرةٌ، وإن الكتابَ والسلطانَ يوشك أن يفترقا، فدوروا معَ الكتابِ حيث دار، وأنه سيكونُ عليكم ملوكٌ إن أطعتموهم أضلُّوكم وإن عصيتمُوهم قتلوكم..».

قالوا: فكيف نصنعُ يا رسول الله؟

قال: «تكونوا كأصحاب عيسى عليه السلام نُشروا بالمناشير، ونصبّوا على الخشب.. موتٌ في طاعة الله خير من حياةٍ في معصيته».

وقال ﷺ عن إبنته الزهراء: «فاطمةٌ بَضعةٌ مني، من أحبها فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحبَّ الله، ومن أبغضها فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغضَ الله».

وقال عن سبطيه: «الحسنُ والحسينُ سيّدا شباب أهل الجنة». وقال: «الحسنُ والحسينُ إمامان، قاما أو قعدا».

وقال: «الحسنُ مني وأنا من الحسن» وقال ﷺ : «الحسينُ مني وأنا من الحسين».

تلاقفوها بني أُمية:

وقال فيهم ما لا يحصى ذكره، ولكنَّ الأمورَ جرت بغير ما أراده الله ورسوله، فلم يُمتثل أمرُ رسول الله في الهادين بعد الهادين، حتى آلَ الأمرُ إلى بني أمية. فقال لهم شيخُ المؤلِّبين على رسول الله أبو سفيان بن حرب: «تلاقفُوها يا بني أمية تلاقفَ الصبيانِ للكرة، فوالذي يحلفُ به أبو سفيان لا جنة ولا نار».

وبهذه الوصية عمل الخلفُ منهم بعد السلف، حتى شُنّت على أهلِ البيتﷺ الغارات، وَقُتِلَ منهم من قُتل، وسُبيَ من سُبي، وأقصِيَ من أقصي وجرى القضاء لهم بما يُرجى له حسنُ المثوبة، إذ كانت الأرضُ لله يورثها من يشاءُ من عبادهِ والعاقبةُ للمتقين. . .

فقد ماتتْ فاطمةُ الزهراء كمداً بعد أن غُصبَ حقُّها ومُنِعت نِحْلَةَ أبيها، وهُتِكَتْ حُرمتُها، فماتت قاليةً لرجالهم عائفةً لدنياهم، لفظَتْهُمْ بعد أن عَجَمَتْهُم، وشَنَأَتْهُمْ بعد أن سَبَرَتْهُمْ.

وقُتِل سيِّدُ الوصيين، مظلوماً، بعد أن تمرَّد عليه الناكثون، والقاسطون والمارقون.

وقُتِل الحسنُ مسموماً مقهوراً، بعد أن سُلبت خيمتُه واستُبيحت حرمتُه ورُميت جثته.

وهكذا «لُبس الإسلامُ لبسَ الفروِ مقلوباً».

وآل الأمرُ إلى ابن آكلة الأكباد، معاوية بن أبي سفيان فقَتلَ المؤمنين، وقرَّبَ المنافقين، وسنَّ لعنَ عليٍّ أمير المؤمنين وكتبَ إلى عماله يقول: «انظرُوا إلى من روى حديثاً عن أبي ترابٍ فاحذفوه من الديوان».

وقتلَ الأماثلَ من صحابة رسول الله متعقباً إياهم تحتَ كلِّ حجرٍ ومدر، قائلاً: «خذوهم بالتهمة، واقتُلوهم بالظنة»... حتى ادخلَ الثكلَ إلى بيوت المؤمنين.. وافترقَ السلطان عن القرآن، وكان أهلُ البيت عليهم السلام مع كتاب الله الذي أخبر النبيّ أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

يزيد يطلب أخذ البيعة:

ثم إن معاويةَ مات في النصف من رجب بعد أن جعل الخلافَةَ مُلكاً عَضُوضاً يتوارثه كلُّ طاغوتٍ غشومٍ عن ظالمٍ ميشوم، فكتب يزيدُ ابنُه رسالة إلى واليه على المدينة، وهو الوليدُ بنُ عُتْبَة، يخبرهُ بموت أبيه، ويطلبُ منه أخذَ البيعة من الناس عموماً ومن الحسين بن علي عليه السلام على الخصوص، مطالباً إياهُ بالشدِة والحزم في ذلك.

ولمّا قرأ الوليدُ الرسالة، دعا الحسينَ عليه السلام، إلى دار الإمارة، وكان الأمرُ ليلاً وعرف الحسين أنَّ في الأمر شيئاً، فطلب من جماعةٍ من بني هاشم أن يحملُوا معهم سيوفهم، ويرافقوه إلى هناك، قائلاً لهم: «إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولستُ آمن أن يكلفني أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت إليه فاجلسُوا على الباب، فإن سمعتُم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عنّي» وجاء إلى مجلس الوليد، ولما استقر به المكان، نعى الوليدُ إليه معاوية ثم عرض عليه البيعةَ

ليزيد، فقال الحسين عليه السلام له: «نصبحُ وتصبحون، ونرى وَتَرَوْن».

وكان في المجلس مَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ فالتفت إلى الوليد وقال له: «إن فارقكَ الحسينُ الساعة، ولم يبايع لم تقدر على مِثْلِها حتى يكثُرَ القتلى بينكم، ولكن إحبِس الرجلَ حتى يبايعَ أو تضربَ عنقه».

فقال له الحسين عليه السلام مغضباً: «يابن الزرقاء، أنتَ تقتلني أم هو؟ كذبتَ وَأَثِمْت».

ثم أقبل على الوليد قائلاً: «إنّا أهلُ بيتِ النبوّة ومَعْدِنِ الرسالة، ومختَلَفِ الملائكة بنا فتحَ الله وبنا يَختِمُ، ويزيدُ شاربُ الخمور، وراكبُ الفجور، وقاتلُ النفس المحترمة، ومثلي لا يبايعُ مثلَه». فأغلظَ في كلامِهِ، وارتفعتْ الأصواتُ، فاقتحمَ بنو هاشمٍ الدار، شاهرين سيوفَهم، وأخرجُوا الحسينَ عليه السلام سالماً معهم..

ولمّا خرجَ الحسينُ من دار الإمارة كتبَ الوليدُ بن عُتبة رسالة إلى يزيد جاء فيها: «أمّا بعدُ، فإنَ الحسينَ بنَ

عليٍ لا يرى لكَ خلافةً ولا بيعةً، فرأيك فيه، والسلام».

فلما وردَ الكتابُ على يزيد كتب الجواب هكذا:

«أمّا بعدُ فإذا أتاكَ كتابي هذا فعجّل عليَّ بجوابه، وبيِّن لي في كتابكَ كلَّ من في طاعتي، أو خرجَ عنها، وليكنْ مع الجوابِ رأسُ الحسين بن عليٍّ».

ولمّا أصبحَ الحسينُ عليه السلام خرجَ من داره فَلَقِيَهُ مَرْوَانُ ابنُ الحَكَمِ، فقال له مروان: «إني آمرُكَ ببيعةِ يزيد أميرِ المؤمنين فإنه خيرٌ لكَ في دينك ودنياك».

فقالَ الحسينُ عليه السلام: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون.. وعلى الإسلامِ السلام، إذا بُليتِ الأُمّةُ براعٍ مثلِ يزيد».

وافترقَ عنه مروان، وهو غضبانُ.

الحسين عليه السلام يشكو أمره لجده صلى الله عليه وآله:

ولمّا كانتِ الليلةُ الثانية أقبلَ الحسينُ عليه السلام إلى قبرِ جدهِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله فقال: «السلامُ عليكَ يا رسولَ الله، أنا الحسينُ بنُ فاطمةٍ، فرخُكَ وابنُ فرخَتِكَ، وسبطُكَ الذي

خلّفتَه في أمتك، فاشهدْ يا رسولَ الله أنهم قد خذلوني، وضيّعوني، ولم يحفظوني، وهذه شكوايَ إليكَ حتى ألقاك».

ثم قامَ فصفَّ قدميه فلم يزل راكعاً ساجداً، فلما فرغَ من صلاته رفع طرفه إلى السماء قائلاً: «اللّهُمَّ هذا قبرُ نبيِّكَ، وأنا ابنُ بنتِ نبيِّك، وقد حَضَرَني من الأمرِ ما قد عَلِمْتُ، اللّهمَّ إنّي أُحبُّ المعروفَ، وأُنكِرُ المنكر، وأنا أسألكَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ بحقِ القبرِ ومنْ فيهِ، إلا اخترتَ لي ما هو لك رضا، ولرسولكَ رضا».

فلما كان قريبَ الصبح، وضعَ رأسه على القبر فأغفى، فإذا به يرى رسولَ الله، وقد أقبلَ في كتيبةٍ من الملائكة: عن يمينه وشماله وبين يديه، فجاء فضمّ الحسينَ عليه السلام إلى صدره وقبَّل بين عينيه، وقال: «كأني أراك عن قريب مُرَمَّلاً بدمائِك، مذبوحاً بأرض كربٍ وبلاء، من عصابةٍ من أمّتي، وأنت مع ذلك عطشانُ لا تُسقى، وظمآنُ لا تُروى، وهم مع ذلك يرجونَ شفاعتي،

لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة».

فقال الحسين عليه السلام: «يا جداه لا حاجةَ لي في الرجوع إلى الدنيا فخُذني إليك وأدخِلني معك في قبرك».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا بدَّ لك من الرجوعِ إلى الدنيا، فإنَّ لك في الجنان لدرجات لن تنالَها إلا بالشهادة».

فانتبه الحسين عليه السلام وقد صمَّمَ على الهجرة من مدينةِ الرسول صلى الله عليه وآله، إلى بيتِ الله الحرام مع أهلِهِ واخوته، وقد ترك لأخيه محمّدِ بن الحنفية وصيّةً هذا نصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسينُ ابنُ علي إلى أخيه محمدِ بنِ الحنفية: إن الحسينَ يشهدُ أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبدُهُ ورسوله جاء بالحق من عنده، وأنَّ الجنةَ حقٌّ والنارَ حقٌّ، والساعَة آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأن الله يبعثُ من في القبور...

ألا وإني لم أخرج أشِراً ولا بَطِراً، ولا مُفْسِداً ولا ظَالِماً، وإنما خرجْتُ لطلبِ الإصلاحِ في أمّة جدّي، أُريد

أن آمُرَ بالمعروفِ وأنهى عن المنكرِ، وأسيرُ بسيرةِ جدي، وأبي عليٍّ بن أبي طالب، فمن قبلني بقبولِ الحقِ، فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا، أصبرُ حتى يقضيَ الله بيني وبين القوم وهو خيرُ الحاكمين وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب».

الحسين عليه السلام يغادر إلى مكة:

وخرج من المدينة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب ومعه بنُوه واخوتُه وبنو أخيه، وأهلُ بيته.

وكان في الطريق يتلو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ولزم الطريق الأعظم، فقيل له: «لو تَنَكَبْتَ الطريقَ، كما فعل ابنُ الزبيرِ كيلا يلحقَك الطلبُ».

فقال: «لا والله، لا أفارقُهُ حتى يقضيَ الله ما هو قاض».

ودخل مكةَ يوم الجمعة لثلاثٍ مضين من شعبان،

وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

فنزلَ دارَ العباس بن عبدِ المطلب فأخذ أهلُ مكة ومن بها من المعتمرين وأهل الآفاق يفدونَ عليه، ولما عَلِمَ أهلُ الكوفة برفض الحسين عليه السلام البيعة ليزيد كتبوا إليه كتباً كثيرةً يسألونه فيها القدوم عليهم لأنهم بغيرِ إمام ولم يجتمعُوا مع النُعْمْانِ بنِ بَشِيرٍ، والي يزيد، في جُمُعَةٍ ولا جماعةٍ، وتكاثرت عليه الكتُبُ حتى وردَ عليه في يوم واحد ستُمائة كتابٍ، واجتمع عندهُ في نوبٍ متفرقة اثنا عشر ألفَ كتابٍ ، وفي كل ذلك يشددون الطلبَ وهو لا يجيبهم، وآخرُ كتاب وردَ عليه كان من (شبثِ بنِ ربعي) (وحجّار بنِ أبجر) و(يزيدِ بنِ الحارثِ) و(عزرةِ بن قيسٍ) و(عمرو بنِ الحجاجِ) و(محمدِ بن عُميرِ بنِ عطارد) وفيه: «إن الناس ينتظرونَك ولا رأيَ لهم غيرُك، فالعجل العجل يابن رسول الله فقد اخضرَّ الجَنابُ، وأينعتِ الثمارُ وأعشبتِ الأرضُ، وأورقتِ الأشجارُ فاقدم إذا شئتَ فإنما تقدمُ على جندٍ لك مجندة».

رسولا الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة:

ولما اجتمعَ لديهِ ما ملأَ الخُرْجَيْنِ، كتبَ إليهم كتاباً واحداً دفعَهُ إلى هانِي بن هاني السبيعي وسَعيدِ بنِ عَبْدِ الله الحَنَفي وكانا آخرَ الرسلِ إليه وجاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من الحسينِ بنِ عليٍّ إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين أما بعدُ، فإنَّ هانِياً وسَعِيداً قَدِما عليَّ بكتبكم، وكانا آخرَ من قَدِم عليَّ من رُسُلِكُم وقد فهمتُ كلَّ الذي قصصتُمْ وذَكَرْتُم، ومقالةَ جُلِّكم أنه ليس علينا إمامٌ فاقبل لعل الله يجمعُنا بك على الهدى والحقّ، وقد بعثتُ إليكم أخي وابنَ عمي وثقتي من أهلِ بيتي مسلمَ ابن عقيل، وأمرتَهُ أن يكتبَ إليَّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتبَ أنه قد اجتمعَ رأيُ ملئِكم وذوي الفضل والحِجى منكم على مثل ما قدِمَتْ عليَّ به رُسُلُكم وقرأتُ في كتبكم، أَقْدِمُ عليكم وشيكاً إن شاء الله.. فلعمري ما الإمامُ إلاَّ العاملُ بالكتاب، والآخذُ بالقسطِ والدائنُ بالحق، والحابسُ نفسه على ذاتِ الله والسلام» ثم دفع الكتاب إلى ابن عمِه مسلمِ بن عقيل وقال له: «إني

موجِّهك إلى أهل الكوفة وسيقضي الله من أمرك ما يحبُ ويَرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنتَ في درجةِ الشهداء، فامضِ ببركةِ الله وعونهِ، فإذا دخلتها فانزلْ عند أوثقِ أهلها».

وبعثَ مع مسلمِ بن عَقيلٍ عليه السلام قيسَ بنَ مُسَهَّرَ الصَّيْداوي، وعمَارةَ بنَ عبدِ الله السَّلُولي، وعبدَ الرحمنِ ابنَ عبدِ الله الأَزْدِي، وأمره بتقوى الله والنظر فيما اجتمع عليه أهلُ الكوفة، فإن رأى الناسَ مجتمعين مستوثقين كتبَ إليه بذلك وعجِّل إليه بأخباره.

فخرج مسلمٌ من مكةَ للنصفِ من شهر رمضان ومرَّ على المدينةِ فدخلها وصلَّى في مسجدِ النبيْ صلى الله عليه وآله وسلم وودع أهلَهُ، ثم استأجرَ رجلين من قيسٍ ليدلاه على الطريق. ولخمسٍ خَلَوْنَ من شوال دخلَ الكوفةَ، فنزل دارَ المختارِ بن أبي عبيدة الثقفي، وكان شريفاً في قومهِ، كريماً عاليَ الهمة، مقداماً، مجرِّباً قويَ النفس، شديداً على أعداء أهل البيت عليهم السلام، فوافاهُ الناسُ بالترحيب، وأظهروا له من الطاعة والانقياد ما زاد في سروره وابتهاجه، فعندما

قرأ عليهم كتابَ الحسين عليه السلام قام عابِسُ بنُ شَبيبٍ الشّاكري وقال: «إني لا أُخبرك عن الناس، ولا أعلمُ ما في نفوسهم، ولا أغرك بهم، والله إنّي أحدثك عما أنا مُوطّنٌ عليه نفسي، والله لأجيبنَّكم إذا دعوتُم، ولأقاتِلَنَّ معكم عدوَّكم، ولأضرِبَنَّ بسيفي دونكم حتى ألْقىٰ الله، لا أُريدُ بذلك إلا ما عندَ الله».

فالتفتَ إليه حبيبُ بنُ مُظاهرٍ قائلاً: «قد قضيتَ ما في نفسِكَ بواجزٍ من قولك، وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مِثلِ ما أنت عليه».

وقال سَعِيدُ بنُ عبدِ الله الحَنَفِيُّ مثل قولِهما.

وأقبلتِ الجموعُ يبايعونَهُ حتى أحصىٰ ديوانُه ثمانيةَ عشر ألفاً من الرجالِ فكتبَ ـ حينذاك ـ رسالةً إلى الحسين عليه السلام بَعثَها معَ عابِسِ بن شَبيبِ الشّاكِريِّ يخبرهُ باجتماعِ أهل الكوفة على طاعته وانتظارِهم لقدومه وفيه يقول: «إنَّ الرّائِدَ لا يَكذِبُ أهلَهُ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانيةَ عشر ألفاً، فعجِّلْ الإقبالَ حين يأتيك كتابي».

وكان ذلك قبل مقتلِ مُسلم بسبعٍ وعشرينَ ليلةً، وانضم إليه كتابُ أهلِ الكوفة وفيه: «عَجِّلْ القدومَ يابنَ رسولِ الله، فإنَّ لكَ بالكوفة مائة ألف سيفٍ فلا تتأخرْ».

الطلب من ابن زياد التوجه إلى الكوفة:

فساء هذا جماعةً ممن لهم هوى في بني أمية، منهم عُمَرُ بنُ سعدِ بن أبي وَقاص، وعبدُ الله بنُ مُسلمِ بنِ رَبيعةِ الحَضْرَمي، وَعَمَارةُ بنُ عُقْبَةِ بنِ أبي مَعِيطٍ، وشمرُ بنُ ذِي الجَوْشَنِ فكتبوُا إلى يزيدَ يخبرونه بقدومِ مسلمِ بنِ عقيلٍ، وإقبالِ أهل الكوفة عليه، وأنَّ النعمانَ بنَ بشيرٍ ـ والي يزيد على الكوفة ـ لا طاقةَ لهُ على المقاومة.

فأرسلَ يزيدُ إلى (سرجون)، وهو مستشارُ أبيهِ معاوية، وكان كاتبَه وأنيسَه وطلبَ منه الرأيَ فقال سرجون: عليكَ بعُبيدِ اللهِ بنِ زِياد.

قال: إنه لا خيرَ عنده.

فقال سرجون: لو كانَ معاويةُ حياً وأشارَ عليكَ به أكنتَ تولّيه؟.

قال: نعم.

فأخرَج له كتاباً من معاوية بهذا الأمر وقال: هذا عهدُ معاويةَ إليه بخاتمِه، ولم يمنعني أن أعلِمَكَ بهِ إلا معرفتي ببغضكَ له فأنفِذْهُ إليه. فقَبلَ منه يزيد، وعزل النُّعمان بنَ بشيرٍ، وكتب إلى عُبيدِ الله بنِ زيادٍ الرسالة الثانية: «أما بعدُ فإن الممدوحَ مسبوبٌ يوماً وإن المسبوبَ يوماً ممدوح، وقد سمي بك إلى غاية أنت فيها كما قال الأول:

رُفِعتَ وجاوزتَ السَّحابَ وفوقَهُ

فما لَكَ إلا مَرْقَبُ الشمسِ مَقْعَدُ

ولقد كتبَ إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبروني أن مُسلمَ بنَ عقيلٍ فيها يجمعُ الجموعَ ليشقَّ عصا المسلمين، فَسِرْ حين تقرأُ كتابي هذا حتى تأتيَ الكوفةَ فتطلب ابنَ عقيلٍ طلبَ الخزرةِ حتى تثقفه، أو تقتلَه، أو تنفيَه والسلام» وسلَّمَهُ عَهدَهُ على الكوفة، وعيَّنَهُ والياً عليها وأمرَهُ بالاستعجال في ذلك.

ابن زياد يدخل الكوفة:

فتعجلَ ابنُ زيادٍ المسيرَ إلى الكوفة في خمسمائة رجلٍ انتخبهم من أهلِ البصرة، فجَدَّ في السيرِ وكان لا يلوي على أحدٍ ممن يسقط من أصحابه، حتى أن شريكَ ابنَ الأعور سقَطَ أثناءَ الطريق وسقَطَ عبدَ الله بنَ الحارثِ، فلم يلتفتْ ابن زياد إليهم مخافةَ أن يسبقَهُ الحسينُ إلى الكوفة، ولما وردَ (القادسيةَ) سقطَ مولاهُ (مَهْران) فقال له ابنُ زياد: إن أمْسَكْتَ على هذه الحال فتنظر القصرَ فلكَ مائة ألف، قال: واللهِ لا أستطيعُ.

فتركهُ عبيدُ الله ولبسَ ثياباً يمانيةً وعمامةً سوداء وانحدر وحده إلى الكوفة وكلَّما مرَّ بالناسِ ظنُّوا أنه الحسينُ بنُ علي عليه السلام فدخلَ الكوفة مما يلي النجف.

واستقبلهُ الناسُ بهتافٍ واحد: «مرحباً بابنِ رسول الله»! ظناً منهم أنه الحسين عليه السلام فساءَهُ هذا الحال وانتهى إلى «قصرِ الإمارة» فلم يفتحِ النعمانُ باب القصر واشرفَ عليه من أعلى القصرِ يقول: «ما أنا بمؤدٍ إليك

أمانتي يابنَ رسول الله».

فقال له ابن زياد: «افتح فقد طالَ ليلُك!».

فسمعها رجل وعرفه، فقال للناس: «إنهُ ابنُ زياد وربِّ الكعبة».

فتفرقوا إلى منازلهم ودخلَ ابنُ زياد القصر وعندَ الصباح جمعَ ابنُ زياد الناس في الجامع الأعظم وخطَبَهُم وحذَّرهم ووعدهم بالعطايا وقال: «أيُّما عريف وجد عنده أحدٌ من بغية أمير المؤمنين ولم يرفعهُ إلينا صُلِب على باب داره». ولما سمع مسلمٌ بخبر ابن زياد انتقلَ من دار المختار إلى دارِ هاني بنِ عُروةِ المذحجي، وكان من أشرافِ الكوفةِ وقرّائها، وشيخ قبيلة مراد وزعيمها، وقد شاركَ معَ الإمام عليٍّ عليه السلام في حروبه الثلاث.

محاولة لم تتم:

ونزل مع مسلمٍ في دار هاني بن عروة كلٌ من شريك ابن عبد الله الحارثي، وكان صاحبَ عمارِ بن ياسر وقد

قاتل معه ضد معاوية في صفين، فمرض مرضاً شديداً فقال شريكٌ لمسلم: «إن عُبيد الله سيعُودني، وإني مطاولُهُ الحديثَ وغايتُكَ وغايةُ شيعتك هلاكُ ابن زياد فأقم في الخزانةِ حتى إذا اطمأنَ عندي أُخرج إليه واقتُله، وأنا أكفيكَ أمره بالكوفةِ مع العافية».

وبينا هم على هذا إذ قيل: «الأميرُ على الباب» فدخلَ مسلمٌ غرفةً أخرى ودخل ابنُ زياد على شريك ولما استبطأ شريكٌ خروجَ مسلم لقتلهِ جعلَ يأخذُ عمامته من على رأسه ويضعُها على الأرض، ثم يضعُها على رأسه فعلَ ذلك مراراً ونادى بصوت عال يُسمع مسلماً:

ما تنظرونَ بسلمىٰ لا تحيُّوها
حيُّوا سُليمى وحيُّوا من يُحييها
هل شربةٌ عذبةٌ أُسقى على ظمأٍ
ولو تلفتُ وكانت مُنيتي فِيها
وإن تخشيتَ من سلمىٰ مراقبة
فلستَ تأمنُ يوماً من دواهِيها

ولـم يزل يكرره، وعينُه رامقةٌ إلى المكان الذي فيه مسلم، ثم صاح بصوتٍ رفيع يُسمع مسلماً: «اسقونيها ولو كان فيها حَتفي».

فـالتفـت عُـبيـدُ الله إلى هـانـي بن عـروة وقـال: «ابنُ عمك يخلطُ في علته؟».

فقال هاني: «إن شريكاً يهجُرُ منذ وقع في علته، وإنه ليتكلمُ بما لا يعلم».

ولـما خرج ابن زياد من عـنـد شريك، قـال شـريـكٌ لمسلم: «ما منعكَ من قتله؟»

قـال مسـلـم: حـديـثُ الإمـام عـلـي عليه السلام عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ الإيمانَ قيدَ الفتكِ فلا يفتكُ مؤمنٌ» فقـال هـاني: «أما والله لو قتلتهُ لقتلتَ فاسقاً، فاجراً كافراً». وبذلك امتنعَ مسلمٌ من قتل ابن زياد غيلةً.

ثم إن المؤمنين أخذوا يأتون مسلماً في دار هاني على تسترٍ واستخفاءٍ ويتواصَوْنَ بالكتمانِ، فخفي على ابن زيادٍ موضعُ مسلم فدعا بعبدٍ له اسمه «معقل» وأعطاهُ ثلاثة آلافِ

درهم وأمره أن يلقى الموالين لأهل البيت عليهم السلام ويدّعي لهم أنه من أهلِ الشام وقد أنعمَ الله عليه بحبِ أهلِ بيت رسوله، وبلغهُ قدومُ رجلٍ منهم إلى الكوفة، وادّعى أن لديهِ مالاً يريدُ إيصالَهُ لمسلم ليوصله إلى الحسين عليه السلام، فدخلَ (معقل) الجامعَ الأعظم ورأى مسلمُ بنُ عوسجة الأسدي يصلّي، فلما فرغ دنا منه وقصَّ عليه حاله فدعا لهُ مسلم بالخيرِ والتوفيقِ، وأدخله على ابن عقيل فدفع إليه المالَ وبايعه وسلَّمه إلى أبي ثمامةَ الصائدي، وقد كانَ قد عيَّنه مسلمٌ لقبضِ ما يردُ عليه من الأموال ليشتريَ به السلاح لساعةِ المواجهة المحتملة.

فكان معقلُ ـ جاسوسُ ابن زياد ـ يترددُ على مسلم ابن عقيل كلَّ يوم، ويعرفُ أخبارَهُ ويرفعُها إلى ابن زياد عند المساء.

اعتقال هاني بن عروة:

ولما وضحَ الأمرُ لابن زياد، وعرف أن مسلماً مختبئ في دار هاني بن عروة، دعا أسماءَ بنَ خارجةَ ومحمَّد بنَ

الأشعَث وعمرو بن الحجاجِ وسألهم عن سببِ انقطاعِ هاني عنه فقالوا: إن الشكوى من المرضِ تمنعه، فلم يقتنع ابنُ زياد بعد أن أخبرته العيونُ بجلوسه على بابِ داره كل عشيةٍ، فسيَّر هؤلاء الجماعةَ إلى هاني وسألوهُ المسير إلى عبيدِ الله ابن زياد باعتبار أنَّ الجفاءَ لا يحتمله، وألحُّوا عليه فقبل ذلك وجاء إلى دارِ الإمارة، ولما دخل عليه قال ابن زياد: «أتتكَ بخائنٍ رجلاه» والتفت إلى شُريحِ القاضي وقال:

أريـدُ حـيـاتَـهُ وَيُـريـدُ قَـتـلِـي
عَـذَيـرَكُ مـن خَـليلِـكَ مِـن مُـرادِ

ثـم التفت إلى هاني وقال: «أتيت بابن عقيل إلى دارك وجمعت له السلاح؟!».

فأنكر عليه هاني ذلك، وكثُرَ الجدال بينهما فدعا ابنُ زيادٍ جاسوسَه معقل، ففهم هاني أن الخبر أتاه من جهته، فقال لابن زياد: «هل لكَ في خير؟».

فقال ابن زياد: «ماذا؟»

قال هاني: «تمضي أنت وأهلُ بيتك إلى الشام

سالمين بأموالكم، فإنه جاءَ من هو أحقُّ بالأمرِ منك ومن صاحبك».

فقال ابن زياد: وتحت الرغوةِ اللبنُ الصريحُ».

ثم صاح بهاني قائلاً: «والله لا تفارقني حتى تأتيَني به».

قال هاني: «والله لو كان تحتَ قدمي ما رفعتهما عنه».

فأغلظ له ابن زياد وهدده بالقتل فقال هاني: «إذن تكثُرُ البارقةُ حولك»، وهو يظن أن قبيلة «مراد» سوف تدافع عنه فأخذَ ابن زياد بضفيرتَيْه وضربَ وجهَه بالسيف حتى كَسَرَ أنفه، ونثَرَ لحمَ خديه وجبينه على لحيته، وحبسَه عنده.

فبلغ عشيرتَهُ (مذحج) أن هانياً قد قُتل فجاؤوا وأحاطوا بدار الإمارة، فلما علمَ ابنُ زيادٍ بذلك أمرَ شُريحَ القاضي أن يعلمهم بحياته.

قال شريحُ: «لما رآني هاني صاحَ بصوتٍ رفيع: «يا

للمسلمين إن دخلَ عليَّ عشرةٌ أنقذوني» فلو لم يكن شرطيُ ابن زيادٍ لأبلغتُ أصحابه مقالته، ولكن قلتُ لهم: إنه حيٌّ فحمد قومَهُ الله وانصرفوا».

استشهاد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة:

ولما بلغَ مسلماً خبرَ اعتقال هانيَ بنَ عروة خشي أن يُؤخذ غيلةً، فتعجَّل الخروجَ قبلَ الأجلِ الذي كان بينه وبين الناس، وأمرَ عبدَ الله بنَ حازِم أن ينادِيَ في أصحابهِ وقد ملأ بهم الدورَ حوله فاجتمعَ إليه أربعةُ آلافٍ ينادون بشعارِ المسلمين يومَ بدر: «يا منصورُ أمت».

ثم عقدَ لعُبيدِ الله بنِ عمرو بنِ عزيزٍ الكندي على ربعِ كندةٍ وربيعةٍ وقال له: «سِرْ أمامي على الخَيْل» وعقَد لمُسلمِ بنِ عَوْسَجَةِ الأَسَدِيِّ على ربعِ مذحجٍ وأسدٍ وقال: «إنزل في الرجال» وعقد لأبي ثمامةَ الصَّائِدي على ربعِ تميمٍ وهمدان، وعقد للعباسِ بن جعدة الجدلي على ربعِ المدينةِ.

وأقبلوا نحو القصرِ فتحرَّز ابنُ زيادٍ فيه، وغلَّقَ

الأبوابَ وأمرَ من ينادي بمن معَ مسلم قائلاً: «يا أهل الكوفة اتقوا الله، ولا تُوردوا على أنفسِكم خيولَ الشام، فقد ذقتُموهم وجرَّبتُموهم».

فتفرق الناس، ولم يبقَ إلا ثلاثمائة منهم، حتى إنَّ الرجلَ كانَ يأتيَ ابنَهُ وأخاه وابنَ عمِّهِ فيقولُ له: انصرف، والمرأةُ تأتي زوجَها فتتعلقُ به حتى يرجع.

ولما صلَّى مسلمٌ العشاءَ بالمسجدِ لم يبقَ معه إلا ثلاثون رجلاً، ثم انصرفَ نحو قبيلةِ كندة ومعه ثلاثةٌ، ولم يمضِ إلا قليلاً حتى تفرقَ الجميعُ عنه، ولم يجد من يدلُّه على الطريقِ فنزل عن فرسِهِ ومشىٰ مُتَلَدِداً في أزقةِ الكوفة لا يدري إلى أينَ يتوجه، وانتهى به السيرُ إلى دُورِ بني جبلة من كندة ووقفَ على باب امرأة يقال لها «طَوْعَةُ» ـ وهي أم ولدٍ تزوجها أسيدُ الحَضْرَميُّ فولدت له ابناً سمتهُ بلالاً، كان مع الناس، وكانت واقفةً على الباب تنتظره، فاستسقاها مسلمٌ فسقته، واستضافها فأضافتهُ بعد أن عرّفها أنه ليس له في الكوفة أهلٌ ولا عشيرةٌ وأنه من أهل بيتٍ

لهمُ الشفاعةُ يوم الحساب، وأنه مسلمُ بنُ عقيلٍ فأدخلته بيتاً غيرَ الذي يأوي إليه إبنها، وعرضتْ عليه الطعامَ فأبى ولما جاءَها ابنُها استعجبَ كثرةَ دخولِ أمه إلى ذلك البيت فاستخبرها فلم تُخبره إلا بعد أنْ حلفَ لها كتمانَ الأمر.

وعند الصباح أخبرَ ولدُها المشؤومُ هذا ابنَ زيادٍ بمكان مسلم، فأرسل ابنُ زياد ابنَ الأشعث في سبعين من قيس ليقبضَ عليه، ولما سمعَ مسلمٌ وقعَ حوافرِ الخيل عرف أنهم جاؤوا إليه فعجّل دعاءَهُ الذي كان مشغولاً به بعد صلاة الصبح ثم لبسَ لامتَهُ وقال لطوعة: «قد أدّيتِ ما عليكِ من البِرّ، وأخذتِ نصيبكِ من شفاعةِ رسول الله، ولقد رأيتُ البارحة عمي أميرُ المؤمنين في المنام وهو يقول لي: أنتَ معي غداً».

وخرج إليهم مُصلتاً سيفَهُ، وقد اقتحمُوا عليه الدارَ فأخرجهم منها، ثم عادُوا إليه وأخرجَهُم وهو يقول:

هُوَ الموتُ فاصنَعْ وَيْكَ ما أَنْتَ صانِعُ

فأنْتَ بكأسِ المَوْتِ لا شَكَّ جارِعُ

فَصَبْراً لأمرِ اللهِ جَلَّ جلالُهُ
فحُكْمُ قضاءِ الله في الخلقِ ذايعُ

فقتلَ منهم مقتلةً عظيمة وكان من قوّته أن يأخذَ الرجلَ بيده ويرمي به فوقَ البيت.

وأنفذ ابنُ الأشعث إلى ابنِ زيادٍ يستمدُّهُ الرجالَ، فبعث إليه ابنُ زياد يلومُه على فشلهِ في القبضِ على مسلمٍ، مع كثرة من معه من الرجال فجاوبَهُ ابنُ الأشعث بقولهِ: «أتظنُّ إنك أرسلتني إلى بقالٍ من بقالي الكوفة، أو جرمقاني من جرامقةِ الحيرة؟ وإنما أرسلتَني إلى سيفٍ من أسيافِ محمدِ بنِ عبد الله».

فمدَّه ابنُ زياد بالعسكر.

واشتد القتالُ فاختلفَ مسلمٌ وبكيرُ بن حمرانَ الأحمريُّ بضربتين ضربَ بكيرٌ فَمَ مسلم فقطعَ شفتَهُ العليا وأسرعَ السيفُ إلى السفلى ونصلت لها ثنيتان، وضربَهُ مسلمٌ على رأسه ضربةً مُنْكَرةً وأخرى على حبل العاتِقِ حتى كادت أن تطلعَ إلى جوفِهِ فمات بكيرُ بن حِمران من

تلكَ الضربة.

ثم أشرفُوا عليه من فوقِ ظهر البيت، يرمونه بالحجارة ويُلهبونَ النار في القصَبِ ويلقونها عليه، فشدَّ عليهم يقاتلهم في السكة، وهو يرتجزُ بأبياتِ حمران بنِ مالكٍ:

أقسمتُ لا أُقتلُ إلا حُرّا
وإن رَأَيتُ المَوْتَ شَيئاً نُكْرا
كلُّ امرىءٍ يوماً مُلاقٍ شَرّا
ويخلطُ البارِدَ سُخناً مُرا
ردَّ شعاعَ النفسِ فاستقرّا
أخافُ أن أُكذِبَ أو أُغرا

وأثخنته الجراحُ، وأعياه نزفُ الدم، فاستند إلى جنب تلك الدار فتحاملُوا عليه يرمونه بالسهامِ والحجارةِ، فقال: «ما لكم ترمونني بالحجارةِ كما ترمى الكفار، وأنا من أهلِ بيت الأنبياء الأبرار، ألا تراعونَ حق رسول الله في عترته»؟.

فقال له ابن الأشعثِ: «لا تقتلْ نفسكَ، وأنت في ذمتي».

فقال مسلم: «أوأُأسَرُ، ولي طاقةٌ؟ لا والله لا يكون ذلك أبداً».

وحمل على ابنِ الأشعثِ، فهرب منه، ثم حملوا عليه من كل جانب، وقد اشتد به العطشُ، فطعنه رجلٌ من خلفه فسقط إلى الأرض وتم أسرُه. . .

وفي قول آخر: إنهم عملوا له حفيرةً، وستروها بالترابِ، ثم انكشفُوا من بين يديه، ولما وقعَ فيها، أخذوه أسيراً.

وجيء به إلى ابن زياد فرأى مسلمٌ على باب القصر «كوزاً» مبرداً فقال: «أُسقوني من هذا الماء».

فقال له «مسلمُ بنُ عمرو البْاهليُ»: «لا تذوقُ منها قطرة حتى تذوقَ الحميمَ في نار جنهم».

فقال له مسلمُ بنُ عقيل: «لأُمِّكَ الثُكَلُ، ما أقساك وأفظّك، أنت ابنُ باهلةٍ أولى بالحميم».

ثم إنهم أدخلوه على عبيد الله بن زياد، فلم يُسلّم عليه مسلمٌ فقال له الحرس: «ألا تسلّمُ على الأمير؟».

قال له مسلم: «اسكُتْ إنه ليسَ لي بأمير» وأضاف: «السلام على من اتَّبَع الهُدى، وخشيَ عواقبَ الردَى، وأطاعَ الملكَ الأعلى».

فضحك ابنُ زياد وقال: «سلَّمتَ أو لم تسلِّمْ، فإنكَ مقتول!».

فقال له مسلم: «إن قتلتني، فلقد قَتَل مَن هو شرٌّ منك، من هو خيرٌ منّي، وبعد فإنك لا تدعُ سوءَ القتلة، ولا قبحَ المثلة، وخبثَ السريرة، ولؤم الغلبة».

فقال ابن زياد: «لقد خرجتَ على إمامك، وشققتَ عصا المسلمين، وألقحتَ الفتنة».

فقال مسلم: «كذبت، إنما شقَّ العصا معاوية، وابنه يزيد، والفتنةُ ألقحها أبوك.. وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يد شرّ بريّته».

ثم إن مسلمَ بنَ عقيلٍ طلب أن يوصيَ إلى بعض

قومه فأذنوا له، فنظر إلى الجلساء فرأى عُمَرَ بنَ سعدٍ، فقال له: «إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، ويجب عليكَ نجحَ حاجتي وهي سرٌّ».

فأبى أن يمكّنَه من ذكرها!.

فقال ابن زياد: لا تمتنع من أن تنظرَ في حاجةِ ابنِ عمك.

فقام عمر بن سعد معه بحيث يراهما ابن زياد، فأوصاهُ مسلمٌ أن يقضيَ من ثمنِ سيفه ودرعِه ديناً استدانه منذ دخل الكوفة يبلغُ ستمائة درهم، وأن يستوهبَ جثته من ابنِ زياد ويدفنَها، وأن يكتبَ إلى الحسين عليه السلام بما حدث له وبمقتله.. غير أن ابن سعدٍ أفشى بكل ذلك إلى ابنِ زياد فقال ابن زياد: «لا يخونُكَ الأمينُ، ولكن قد يؤتمنُ الخائنُ».

ثم التفت ابنُ زياد إلى مسلم وقال: «إيهاً يا بنَ عقيل، أتيتَ الناس وهم جَمْعٌ ففرقتهم؟».

فقال له مسلم: «كلا لستُ أتيتُ لذلك! ولكن أهل

الكوفة زعموا أن أباك قتلَ خِيارَهم، وسفكَ دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمرَ بالعدلِ وندعُوا إلى حكم الكتاب».

قال ابن زياد: ما أنت وذاك؟ أولم نكن نعملُ فيهم بالعدل؟».

فقال مسلمٌ: «إنَّ اللَّهَ ليعلمُ إنك غيرُ صادق، وإنَّك لتقتلُ على الغضبِ والعداوةِ وسوءِ الظن».

فشتَمَهُ ابنُ زياد وشتمَ علياً وعقيلاً والحسين.

فقال مسلمٌ: «أنت وأبوك أحقُّ بالشتم، فاقضِ ما أنت قاضٍ يا عدو الله».

فأمر ابن زياد رجلاً شامياً أن يأخذَه إلى أعلى القصر ويضرب عنقه ويرميَ بجسده إلى الأرض، فأخذهُ الرجل إلى أعلى القصر ومسلمٌ يسبّح الله ويهلّله ويكبّره ويقول: «اللَّهُمَّ احكُم بيننا وبين قوم غرُّونا وخذَلُونا وكذبونا». وتوجه نحو المدينةِ وسلَّم على الحسين.

وأشرف به الشاميُّ على موضعِ الحذائين، وضرب

عنقه، ورمى برأسهِ وجسدهِ إلى الأرض.

ثم انهم أخرجوا هانيَ بنَ عروة إلى مكانٍ من السوق يباعُ فيه الغنم وهو مكتوفَ اليدين، فجعل يصيح: «وامذحجاه، ولا مذحج لي اليوم، وامذحجاه وأين مني مذحج؟».

فلما رأى أن أحداً لا ينصره جذب يده ونزعها من الكتاف وأخذ يبحثُ عن شيء يدافعُ به عن نفسه قائلاً: «أما من عصا، أو سكينٍ، أو حجرٍ، أو عظمٍ يدافعُ به رجلٌ عن نفسه؟».

ووثبوا عليه وأوثقوه كتافاً.

وقيل له: «مُدَّ عنقَك»

فقال: «ما أنا بها سخيٌ، وما أنا بمعينكم على نفسي» فضربه أحدُ موالي عبيد الله بن زياد يقال له رَشِيد بالسيف فلم يصنع فيه شيئاً فقال هاني: «إلى الله المعاد، اللهم إلى رحمتك ورضوانك».

ثم ضربه أخرى فقتله.

وأمر ابنُ زياد بسحبِ مسلمٍ وهانيٍ بالحبال من أرجلهما في الأسواق، وصلبِهِما في سوق الكناسة منكوسين وأنفذ الرأسين إلى يزيدَ فنصبهما في دربٍ من دمشق.

وكتب إلى يزيد «أما بعد: فالحمدُ لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مَؤُنَةَ عدوِّهِ، أخبِرْ أميرَ المؤمنين ـ أكرمه الله ـ أن مسلمَ بنَ عقيل لجأ إلى دار هانيٍ بن عروة المرادي، وإني جعلتُ عليهما العيونَ ودسستُ إليهما الرجالَ وكِدتُهما حتى استخرجتُهما وأمكَنَ الله منهما فضربتُ أعناقهما وبعثتُ إليك برأسيهما مع هاني ابن أبي حيَّةَ الوادعي الهمداني والزبير بنِ الأروحِ التميميِّ، وهما من أهلِ السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحبَّ فإن عندهما عِلماً وصدقاً وفهماً وورعاً والسلام».

وكتب يزيدُ إلى ابن زياد كتاباً يقول له فيه: «أما بعد: فإنك لم تعدُ أن كنتَ كما أحبُّ، عملتَ عملَ الحازِمِ،

وصِلْتَ صولةَ الشجاعِ الرابطِ الجأش، فقد أغنيتَ، وكفيتَ، وصدقتَ ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوتُ رسوليك فسألتهما وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت فاستوصِ بهما خيراً، وإنه قد بلغني أنَ الحسينَ بنَ عليٍّ قد توجه نحو العراق، فضعْ المناظرَ والمسالح، واحترِسْ على الظن وخُذْ على التهمةِ، وهذا الحسينُ قد ابتلى به زمانُك من بين الأزمان، وبلادُك من بين البلدان وابتليتَ به من بين العمال، وعندها تُعتقُ أو تعودُ عبداً كما تعبدُ العبيدُ، فإما أن تحاربه أو تحمله إليّ».

الحسين عليه السلام يعزم على الخروج من مكة:

ولما بلغ الحسينَ أن يزيدَ أنفذ عمرو بن سعيدِ بن العاص في عسكرٍ وأمَّره على الحاج وولاّه أمرَ الموسِم، وأوصاه بالفتكِ بالحسين أينما وُجد، عَزمَ على الخروج من مكة قبل إتمامِ الحج واقتصرَ على العمرةِ، وقد أعلن عن عزمه هذا، وحاول كثيرون أن يُثنوه عن ذلك، ولكنه أبى.

ففي الليلة التي أراد الخروجَ في صبيحتها جاءه أخوه محمَّدُ بن الحَنفيَّةِ ـ وكان قد لحق به في مكَّةَ ـ وقال له:

«يا أخي، إن أهلَ الكوفةِ من قد عرفت غدرهم بأبيكَ وأخيكَ، وقد خفتُ أن يكونَ حالُك كحالِ من مضى، فإن رأيتَ أن تقيمَ، فإنك أعزُّ من بالحَرَمِ وأمنعه».

فقال الحسين عليه السلام: «يا أخاه قد خفتُ أن يغتالَني يزيدُ بن معاوية بالحرم، فأكونُ الذي يُستباحُ به حرمةُ هذا البيت».

فقال ابنُ الحنفيّة: «فإن خفت ذلك فَصِر إلى اليمن، أو بعض نواحي البَرّ، فإنك امنعُ الناس به ولا يقدر عليك أحد».

فقال الحسين عليه السلام: «أنظرُ فيما قلت».

فلما كان الصباحُ أخذ الحسين عليه السلام بالرحيل فبلغ ذلك محمدَ بنَ الحنفيّة، فأتاه بِزمام ناقته ـ وقد ركبها ـ فقال: «يا أخي.. ألم تعِدني النظرَ فيما سألتك؟».

فقال الحسين عليه السلام: «بلى، ولكن أتاني رسولُ

الله ﷺ فقال: يا حسينُ أخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلاً».

فقال محمد بن الحنفيّة: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما حَمْلُكَ هؤلاء النساءَ معك، وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟».

فقال الحسين عليه السلام: «إن الله شاء أن يراهُنَّ سبايا».

وجاءه ابنُ عبّاس أيضاً وأشار إليه بالإمساك، فقال له: «إن رسول الله قد أمرني بأمرٍ أنا ماضٍ فيه».

فعاد ابنُ عبّاسٍ، وقد تيقَّنَ مقتَلَهُ وهو يقول: «واحسيناه».

وجاءه عبدُ الله بن عمر وهو يحذّره من القتل، وكأنه أشارَ إلى أن يزيدَ جلفٌ جافي، لا يدع قتل مثله، وهو ابن بنت رسول الله.

فقال له الحسين عليه السلام: «يا أبا عبد الرحمن أما علمتَ أن من هوانِ الدنيا على الله أنَّ رأسَ يحيى بن زكريا يهدى إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل؟ أما تعلم أن بني إسرائيل

كانوا يقتلون ما بين طلوعِ الفجرِ إلى طلوعِ الشمس سبعين نبياً، ثم يجلسون في أسواقِهم، يبيعون ويشترون كأنهم لم يصنعُوا شيئاً، فلم يعجل الله عليهم، بل أخذَهم بعد ذلك أخذَ عزيزٍ ذي انتقام».

وسأله جماعة آخرون أن لا يخرج إلى العراق خوفاً عليه من القتل. فقال لهم: «وايمُ الله، لو كنتُ في ثُقب هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيَّ حاجتهم.. والله ليعتَدُنَّ عليَّ كما اعتدتِ اليهود في السبت».

ولما أكثروا عليه القول بأنه معرّض للقتل انشدَ أبيات اخي الأَوْس لما حذّره ابنُ عمّه من الجهاد مع رسول الله قائلاً:

سَأَمْضِي فما بالموتِ عارٌ على الفَتَىٰ
إذا ما نَوىٰ حَقاً وجاهدَ مُسلما
وواسَى الرجالَ الصالحينَ بنفسه
وفارقَ مَثْبُوراً وخالفَ مُجرما

ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾.

الحسين عليه السلام خطيباً في ظهر مكة:

ثم إن الحسين عليه السلام قام خطيباً في ظَهرِ مكّة وذلك قبل خروجهِ منها بليلةٍ فقال: «الحمدُ لله، وما شاءَ اللهُ، ولا قوةَ إلا باللهِ، وصلّى الله على رسولِه.. خُطَّ الموتُ على وُلدِ آدمَ مَخَطَّ القلادةِ على جيدِ الفتاة، وما أَوْلَهني إلى أسلافي اشتياق يعقوبَ إلى يوسفَ، وخيِّر لي مصرع أنا لاقِيه، كأني بأوصالي تقطّعُها عسلانُ الفلواتِ بين النَواوِيسِ وكربلا، فيملأْنَ منّي أكراشاً، جُوفا وأَجْرِبَةً سَغْبا، لا محيصَ عن يومٍ خُطَّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبرُ على بلائه ويوفّينا أجور الصابرين، لن تشذَّ عن رسول الله لحمتُه، بل هي مجموعةٌ له في حضيرةِ القدس، تقرُّ بهم عينُه وينجزُ بهم وعده. ألا من كان فينا باذلاً مهجتَهُ، موطّناً على لقاءِ الله نفسَه فليرحل معنا، فإني راحلٌ مصبِحاً إن شاء الله تعالى».

وكان خروجُه عليه السلام من مكةَ لثمانٍ مضين من ذي

الحجة سنة ستين للهجرة، ومعه أهلُ بيته ومواليه وشيعتُه، من أهل الحجاز والبصرة والكوفة الذين انضموا إليه أيامَ إقامتِهِ بمكة، وأعطى كلَّ واحد منهم عَشَرَة دنانير وجملاً يحمل عليه زاده.

ومن غريب الأمر أن يوم خروج الحسين عليه السلام من مكّة، كان يومَ خروجِ مسلم بن عقيل في الكوفة، فمسلمٌ خرج مجاهداً، والحسين عليه السلام خرج مهاجراً. وكانت عاقبتهما واحدةً وهي الشهادة في سبيل الله..

وفي الصباح لَقِيَ الحسينُ عليه السلام الفَرَزْدَقَ بنَ غالِبِ الشاعرَ فسأله عن خبر الناس خلفه فقال الفرزدقُ: «قلوبُهم معك والسيوفُ مع بني أمية والقضاءُ ينزل من السماء»!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «صدقتَ لله الأمرُ، والله يفعلُ ما يشاء وكلّ يوم ربُّنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمدُ الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاءُ دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته».

فقال الفرزدقُ: «بلَّغكَ اللهُ ما تحب، وكفاك ما تحذرُ» ثم سأل الإمامَ عن نذورٍ ومناسكَ فأخبره الحسين عليه السلام بها، وافترقا.

اعتقال قيس بن مصهر:

ولما بلغ الحاجر من بطن الرمّة كتب إلى أهل الكوفةِ جوابَ كتابِ مسلم بن عقيل وجاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليٍّ، إلى إخوانه المؤمنين والمسلمين، سلامٌ عليكم، فإني أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو.. أما بعدُ فقد وردَ عليَّ كتابُ مُسلمِ بنِ عقيلٍ يخبرني بحسنِ رأيكم واجتماعِ ملئِكم على نصرنا والطلبِ بحقنا، فسألتُ الله أن يحسنَ لنا الصنعَ ويثيبكم على ذلك أعظمَ الأجر. وقد شَخَصْتُ إليكم من مكةَ يوم الثلاثاء لثمانٍ مضين من ذي الحجة، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمِشُوا في أمركم فإني قادم في أيامي هذه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وأرسل الكتابَ مع قيسِ بن مُصَهَّرٍ الصَيْداوِي. غير

أن قيساً تم اعتقالهُ من قبل شرطةِ عُبيد الله بنِ زيادٍ بقيادة الحُصَيْنِ بنِ نُمَيْرٍ، فأخرج قيسٌ رسالة الحسين عليه السلام ومزّقها حتى لا تقع بيد الأعداء. فأخذه الحصين إلى عبيد الله بن زياد.

فلما مَثُلَ بين يديه قال له ابن زياد: «من أنت؟»

فأجابه قيس: «أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وابنه الحسين عليه السلام».

قال ابن زياد: «فلماذا خرقتَ الكتاب؟»

قال قيس: «لئلا تعلمَ ما فيه».

قال ابن زياد: «وممن كان الكتابُ، وإلى من؟»

قال قيس: «من الحسينِ بنِ علي عليه السلام إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرفُ أسماءَهم».

فغضب ابن زياد فقال له: «والله لا تفارقني حتى تخبرَني بأسماءِ هؤلاء القوم أو تصعدَ المنبر وتلعنَ الحسينَ ابنَ علي وأباه وأخاه، وإلاّ قطّعتُك إرَباً، إرَبا».

فقال قيسٌ: «أمّا القوم فلا أخبرك بأسمائهم، وأمّا ما

يرتبطُ بالحسين وأبيه وأخيه فأفعل».

فظن ابن زياد أنّه سيلعن الحسينَ وأباه، فعقَدَ له مجلساً في جامع الكوفة، دعا فيه إلى الصلاة جامعة، فلما امتلأ صعد قيسٌ المنبر، فحمد الله وصلّى على النبي، وأكثرَ من الترحم على عليٍّ ووِلدِه، ثم لعنَ عُبيدَ الله بنَ زيادٍ وأباه، ولعن عُتاةَ بني أميّة عن آخرهم ثم قال: أيّها الناسُ أنا رسولُ الحسين إليكم، وقد خلّفتُهُ في موضع كذا فأجيبوه».

فأمر عبيد الله شرطته، بإنزاله عن المنبر ثمَّ أمر أن يُرمى به من فوقِ القصر مكتوفاً، فوقعَ على الأرض فتكسرت عظامُهُ وبقي به رمقٌ، فأتاه أحد جلاوزةِ ابنِ زياد يقال له عبدُ الملكِ بن عُمير فذبحه، وقطع رأسه رضوان الله تعالى عليه.

زينب عليها السلام تخبر الحسين عليه السلام بما سمعت:

أمّا الحسين عليه السلام فقد انتقل إلى منطقةِ الخيزميّة، وأقام بها يوماً وليلةً فلما أصبح أقبلتْ إليه أختُهُ زينب عليها السلام

وقالت: «إني سمعتُ هاتفاً يقول:

ألا يا عَينُ فاحتَفِلي بجهدِ
فمن يبكي على الشُهداءِ بعدِي
على قومٍ تسوقُهُمُ المنايا
بمقدارٍ إلى إنجازِ وعدِ»

فقال: «يا أختاه كل الذي قضى فهو كائن».

حبيب بن مظاهر يلتحق بالحسين عليه السلام:

ولما نزل الحسين في زرود نزل بالقرب منه زهيرُ بنُ القَيْنِ البَجلي، وكان غير مشايعٍ له ويكرهُ النزول معه لكنَّ الماء جمعهم في المكان، وبينا زهيرٌ وجماعته على طعام صُنِع لهم إذ أقبلَ رسولُ الحسينِ يدعو زهيراً إلى أبي عبد الله عليه السلام، فتردد زهيرٌ في الإجابة غير أن امرأته (دَلْهَمُ بنتُ عَمْرُو) حثته على المسيرِ إلى الحسين عليه السلام وسماعِ كلامه، وقالت له: «سبحانَ الله أيبعَثُ إليك ابنُ رسول الله ثم لا تأتيه؟ لو أتيتَهُ فسمعتَ كلامه، ثم انصرفت».

فمشى زهيرٌ إلى الحسين عليه السلام وما أسرع أن عادَ إلى

أصحابه فرحاً مستبشراً قد أشرقَ وجهُهُ من السرور، فأمر بفُسطاطِهِ وثقله فحول إلى جهةِ سيد شباب أهل الجنة، وقال لاَمرأته: «إلحقي بأهلكِ فإني لا أُحِبُّ أن يصيبك بسببي إلاّ خير» فقالت له: «خارَ الله لك، أسأَلُكَ أن تذكرني في القيامةِ عند جدِّ الحسين». ثم قال لمن معه: «من أحبَّ منكم نصرةَ ابن الرسول ﷺ وإلا فهو آخر العهد».

الحسين عليه السلام يُخبر بقتل مسلم:

وفي زرُود أُخبر عليه السلام بقتل مسلم بن عقيل وهاني بنِ عروة فاسترجعَ كثيراً وترحَّم عليهما مراراً، وبكى، وبكى معه الهاشميون وكَثُر صُراخُ النساء حتى ارتجَ الموضع لقتل مسلم بِن عقيلٍ وسالت الدموعُ كلَّ مَسيل.

فقال له عبدُ الله بنُ سُليم والمنذرُ بن المشمعل الأسديّان: «ننشدك الله يابن رسول الله إلا انصرفتَ من مكانك هذا فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا معين».

فقام آل عقيل وقالوا: «لا نبرحَ حتى ندرك ثارنا أو نذوقَ ما ذاق أخونا».

فنظر إليهم الحسين وقال: «لا خيرَ في العيشِ بعد هؤلاء».

وأضاف عليه السلام: «إن الأمرَ لله يفعل ما يشاء، وربُنا تبارك هو كل يوم في شأن» ثم قال: «رحِمَ الله مسلماً، فلقد صارَ إلى رَوْحِ الله وريحانِهِ، وتحيَّتِهِ، ورضوانه، أما أنه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا». ثم أنشد:

فإنْ تكنِ الدنيا تُعَدُّ نفيسَةً
فدارُ ثوابِ الله أعلىٰ وأنبَلُ
وإنْ تكُنِ الأبدانُ للموتِ أُنشِئت
فقتلُ امرىءٍ بالسيفِ في الله أفضلُ
وإنْ تكُنِ الأموالُ للتركِ جمعُها
فما بالُ متروكٍ به المرءُ يبخَلُ
وإن تكُنِ الأرزاقُ قسماً مقدّراً
فقلةُ حرصِ المرء في الكَسْبِ أجملُ
عليكم سلامُ الله يا آلَ أحمدٍ
فإنِّي أراني عنكُمُ سوفَ أرحلُ

الحسين عليه السلام يُخبر بقتل عبد الله بن يقطر:

وسار الحسين عليه السلام حتى نزل في منطقة (زبالة) وهنالكَ أخبروُه بنبأ قتلِ عبدِ الله بن يقطر وكان أحدَ رسلهِ إلى الكوفة. فاستعبَر باكياً وقال: «اللَّهُمَّ اجعل لنا ولشيعتِنا منزلاً كريماً، واجمَعْ بيننا وبينهم في مستقرِ رحمتك، إنكَ على كلِّ شيء قدير».

ثم إنه جمعَ من كان معه فأخرج لهم كتاباً قرأهَ عليهم فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، وقد خَذَلَنا أنصارُنا فمن أحبَّ منكم الانصرافَ فلينصرف في غير حَرَج، ليس عليه ذمام».

فتفرق عنه الذين لحقوهُ في الطريق يميناً وشمالاً حتى بقيَ من أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، ونفرٌ قليلٌ ممن انضموا إليه في الطريق.

وسار من منطقة (زبالة) حتى نزلَ بطن العقبة وفيها قال لأصحابه: «ما أراني إلا مقتولاً فإني رأيت في المنام كلاباً تنهشني وأشدُها عليَّ كلبٌ أبقعٌ».

وأشار عليه عمرو بن لوذان من بني عكرمة بالرجوعِ إلى المدينة فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ليس يخفى عليَّ الرأي، وإن الله لا يُغلبُ على أمره».

ثم قال عليه السلام: «إنهم لن يدعوني حتى يستخرجُوا هذه العَلَقَةَ من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلَّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذل فرق الأمم».

الحرُّ يعترض الحسين عليه السلام:

وفي (الرُهينة) التقى برجلٍ من أهل الكوفة يكنّى بأبي هرمٍ فقال له: «يابن النبي، ما الذي أخرجَكَ من المدينة؟» فقال الإمام عليه السلام: «ويحكَ يا أبا هرم، إن بني أميّةَ شتموا عِرضي فصبرتُ، وأخذوا مالي فسكتُّ، وطلبُوا دمي، فهربتُ، وأيمُ الله ليقتلُنّي ثم ليلبِسُهُم الله ذُلاً شاملاً، وسَيفاً قاطعاً، ولَيُسلطن عليهم من يذلهم».

وسار من بطنِ العقبة حتى نزلَ (شراف) وعند السَّحَرِ أمرَ فتيانه أن يستقُوا من الماء ويُكثِرُوا منه، وفي نصف النهار سمع رجلاً من أصحابه يكبّر الله تعالى.

فقال الحسين: «الله أكبر.. لم كَبَرتَ»؟ قال: «رأيت النخل».

فأنكر من معه أن يكون بهذا الموضع نخلٌ وإنما هو أسنةُ الرماح وآذان الخيل فقال الحسينُ: «وأنا أراهُ ذلك» ثم سألهم عن ملجأ يلجأون إليه، فقالوا: هذا «ذو حسم» عن يسارك فهو كما تريد فسبقَ إليه الحسين عليه السلام وضرب أبنيته.

وطلَعَ عليهمُ الحرُ الرِّياحِيُّ على رأس ألف فارس.. بعثه ابنُ زياد ليحبسَ الحسينَ عن الرجوعِ إلى المدينة أينما يجده أو يقدم به الكوفة، فوقفَ الحرُّ وأصحابُه مقابلَ الحسين في حرِّ الظهيرة.

فلما رأى سيّدُ الشهداء أن أصحاب الحرّ يعانون من العطش أمر أصحابه أن يسقوهم، ويرشفوا خيولهم فسقوهم عن آخرهم، ثم أخذُوا يملأون القصاع والطُّوس ويدنونها من الفرس فإذا عبَّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، عزلت وسقي آخرُ حتى سقوا الخيل كلها.

وكان عليُّ بن الطعان المحاربي من الذين جاء متأخراً عن أصحاب الحرِّ وقد أضرَّ به العطشُ فقال الحسين: أَنِخِ (الراوية)، وهي الجمل بلغةِ الحجاز، فلم يفهم مرادَهُ فقال لهعليه السلام: «أنخ الجمل» ولما أراد أن يشرب جعل الماء يسيلُ من السِقاء فقال له: «أخنِثِ السقاء»، فلم يدرِ ما يصنع لشدةِ العطش فقامعليه السلام بنفسه وعطف السقاء حتى ارتوى وسقى فرسه.

ثم أن الحسينعليه السلام استقبلهم فحمدَ الله وأثنى عليه وقال: «إنها معذرةٌ إلى الله عزَّ وجل وإليكم، وإني لم آتكم حتى أتتني كتبكُم وقدمت بها عليَّ رسُلُكم أن اقدم علينا فإنه ليس لنا إمامٌ ولعلَّ الله أن يجمعنا بك على الهدى» فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئِنُ به من عهودكم ومواثيقكم، وإن كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئتُ منه إليكم».

فسكتوا جميعاً. وأذَّن الحجَّاجُ بن مسروقِ الجعفي

لصلاةِ الظهر فقال الحسين للحرّ: «أتصلي بأصحابك؟».

قال: «لا بل نصلي جميعاً بصلاتك».

فصلّى بهم الحسين عليه السلام وبعد أن فرغَ من الصلاةِ أقبل عليهم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي محمد صلى الله عليه وآله وقال:

«أيها الناس إنكم إن تتَّقُوا الله وتعرفوا الحقَّ لأهلِه يكنْ أرضىٰ لله، ونحن أهلُ بيتِ محمدٍ صلى الله عليه وآله أولى بولايةِ هذا الأمر من هؤلاء المدَّعين ما ليسَ لهم، والسائرين بالجَوْرِ والعدوان، وان أبيتُم إلا الكراهةَ لنا والجهلَ بحقنا، وكان رأيُكم الآن على غيرِ ما أتتني به كتبكم، انصرفت عنكم».

فقال الحر: «ما أدري ما هذه الكتُبُ التي تذكرها».

فأمر الحسين عقبة بن سمعان فأخرجَ خُرجين مملوأين كتباً.

قال الحر: «إني لستُ من هؤلاء، وإني أُمرتُ أن لا أفارقك إذا لقيتُكَ حتى أقدمك الكوفةَ على ابن زياد».

فقال الحسين: «الموتُ أدنى إليكَ من ذلك»، وأمرَ أصحابه بالركوبِ وركبت النساءُ فحال جيشُ الحرِّ بينهم وبين الانصراف إلى المدينة.

فقال الحسين للحرّ: «ثكلتكَ أُمُّكَ ما تريدُ منا؟»

قال الحرُّ: «أما لو غيرُكَ من العرب يقولها لي وهو على مثل هذا الحال التي أنت عليها ما تركتُ ذكر أمهِ بالثَّكَل كائناً من كان!، والله ما لي إلى ذكرِ أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه.. ولكن خُذ طريقاً نصفاً بيننا لا يُدخلك الكوفة ولا يردُّك إلى المدينة، حتى اكتبَ إلى ابن زياد فلعلَّ الله أن يرزقني العافية ولا يبتليني بشيء من أمرك».

وأضاف: «إني أذكرك الله في نفسِك، فإني أشهدُ لئن قاتلت لتقتلنَّ».

فقال الحسين عليه السلام: «أفبالموتِ تخوفني، وهل يعدُو بكم الخطبُ أن تقتلوني، وسأقولُ ما قالَ أخو الأوس لابن عمه وهو يُريدُ نصرةَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله:

سأمضي فما بالموتِ عارٌ على الفتَى
إذا ما نَوْى حَقّاً وجاهَدَ مُسلِما
وواسى الرجالَ الصالحينَ بنفسهِ
وفارقَ مثبُوراً وخالَفَ مُجرِما
فإن عِشتُ لم أندَمْ وإنْ مُتُّ لم أُلَمْ
كفىٰ بك ذُلاً أن تعيشَ وتُرغمٰا
أُقدِّم نفسي لا أريدُ بقاءها
لتلقىٰ خَميساً في الوغَى عرمرمٰا

فلما سَمِعَ الحرُ هذا منهُ تنحّى عنه، فكانَ الحُسينُ يسيرُ بأصحابهِ في ناحيةٍ والحرُ ومن معه في ناحية، ثم أقبل الحسين عليه السلام على أصحابه وقال: هل فيكم أحدٌ يعرف الطريق على غير الجادّة؟».

فقال الطّرماحُ: «نعم يابنَ رسولِ الله، أنا أخبر الطريق».

فقال له الحسين عليه السلام: «سِرْ بنا».

فأخذ الطرماح بزمامِ ناقة الحسين، وهو يرتجز ويقول:

يا ناقتي لا تذعري من زَجْرِي
وامضِي بنا قبلَ طُلُوعِ الفَجْرِ
بخيرِ فتيانٍ وخيرِ سَفْرِ
آلِ رسولِ الله آلِ الفخرِ
السادةِ البيضِ الوجوهِ الزُهرِ
الطاعنين بالرماحِ السُمرِ
الضاربين بالسيوفِ البُتْرِ
حتى تحلَّ بكريمِ الفخرِ
الماجدِ الجدِّ رحيبِ الصدرِ
أتى به اللّهُ بخيرِ أمرِ
يَا مالكَ النفعِ معاً والضُّرِ
أيِّد حُسيناً سيدي بالنصرِ
على الطغاةِ من بقايا الكُفر
على اللعينين سَليلَيْ صَخرِ
يزيدُ لا زالَ حليفُ الخمرِ
وابنُ زيادِ العهرِ، إبنِ العهرِ

الحسين عليه السلام يخطب بأصحابه وأصحاب الحر:

وهكذا مضى الحسينُ عليه السلام وأصحابُهُ حتى انتهوا إلى منطقةِ البيضة وفي تلكَ المنطقةِ خطبَ الإمامُ في أصحابِ الحر أيضاً، فقال بعدَ الحمدِ لله والثناء عليه: «أيُّها الناس إن رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مُستحلاً لحرامِ الله، ناكِثاً عهدَهُ، مخالفاً لسنةِ رسول الله، يعملُ في عبادِ الله بالإثم والعدوانِ فلم يُغيِّر عليهِ بفعل ولا قول، كان حقاً على اللهِ أن يدخله مدخله.. ألا وإنَّ هؤلاء قد لزموا الشيطانَ وتركُوا طاعةَ الرحمن، وأظهرُوا الفسادَ وعطَّلوُا الحدود واستأثرُوا بالفيء، وأحلُّوا حرامَ الله وحرَّمُوا حلالَه، وأنا أحقُّ مَن غَيْر، وقد أتتني كُتُبكُم وقدمتْ عليَّ رُسُلُكُم ببيعتكم أنكم لا تُسلمُوني ولا تخذلُوني فإن أتممتم عليَّ بيعتَكُم تُصيبوا رُشدكم، فأنا الحسينُ بنُ عليٍّ وابنُ فاطمةِ بنتِ رسول الله، نفسي مع أنفُسِكُم، وأهلي معَ أهلِيكُم ولكم فيَّ أسوةٌ، وإن لم تفعلُوا ونقضتم عهدكم وخلعتُم بيعتي من أعناقِكم فلعمري ما هيَ لكم بنكر، لقد

فعلتمُوها بأبي وأخي وابنِ عمي مسلم، فالمغرورُ من اغترّ بكم، فحظُّكم أخطأتم ونصيبُكم ضيَّعْتُم، ومن نكثَ فإنما ينكثُ على نفسه، وسيغني الله عنكم والسلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته».

عبيد الله بن الحر يأبى اللحاق بالحسين عليه السلام:

وسار حتى نزل قصر بني مقاتل فرأى فسطاطاً مضروباً، ورمحاً مركوزاً وفرساً واقفاً، فسألَ عنه، فقيل: هو لعبيدِ الله بن الحُرِّ الجَعَفِي، فبعث الحسين عليه السلام إليه الحجّاجَ بنَ مَسرُوقِ الجَعفِي فسألَ عُبيدُ الله ابنَ مسروق عما وراءه فقال: «هديةٌ إليك وكرامةٌ إن قبلتَها، هذا الحسينُ يدعوك إلى نصرتِهِ فإن قاتلتَ بين يديه أُجرت، وإن قُتِلت استُشهدت»،

فقال ابن الحر: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله ما خرجتُ من الكوفة إلا لكثرةِ ما رأيته خارجاً لمحاربتِه وخذلانِ شيعتهِ، فعلمتُ أنه مقتولٌ ولا أقدر على نصره، ولست أحبُّ أن يراني وأراه».

فنقل الحجّاجُ كلامَه إلى الحسين عليه السلام، فقام صلوات الله عليه بنفسه، ومشى إليه في جماعةٍ من أهل بيته وصحبهِ فدخل عليه الفُسطاط فوسَّعَ له عن صدر المجلس، يقولُ ابن الحرّ: «ما رأيتُ أحداً قط أحسنَ من الحسين ولا أملأَ للعين منه، ولا رققتُ على أحدٍ قطُّ رقتي عليه حين رأيتهُ يمشي والصبيانُ حوله، ونظرتُ إلى لحيته فرأيتها كأنها جَناحُ غُرابٍ فقلت له: «أسوادٌ أم خضاب؟» قال عليه السلام: «يا ابن الحرِّ عجَّلَ عليَّ الشيب فعرفت أنه خضاب».

ولما استقرَّ المجلسُ بأبي عبد الله حمدَ الله وأثنى عليه وقال: «يابن الحرِّ إن أهلَ مِصركم كتبُوا إليَّ أنهم مجتمعون على نُصرتي، وسألوني القدومَ عليهم وليس الأمر على ما زعموا، وإن عليكَ ذنوباً كثيرةً، فهل لك من توبةٍ تمحو بها ذنوبَك؟ فإن الله تعالى آخذك بما أنتَ صانع إن لم تتب إليه».

قال: «وما هي يابنَ رسول الله؟».

فقال الحسين: «تنصرُ ابنَ بنتِ نبيك وتقاتلُ معه».

فقال ابن الحر: «والله إني لأعلمُ أن من شايعكَ كان السعيدَ في الآخرة، ولكن ما عسَىٰ أن أغني عنك، ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً. فأنشدُكَ الله أن تحملني على هذه الخطة، فإن نفسي لا تسمحُ بالموت! ولكنَّ فرسي هذا خذه فوالله ما طلبتُ عليه شيئاً قط إلا لحقته ولا طلبني أحد وأنا عليها إلا سبقته، فدونك فخذه».

فأعرض الحسين عليه السلام بوجهه عنه ثم قال: «أما إذا رغبتَ بنفسك عنا فلا حاجةَ لنا في فرسك ولا فيك، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾، وإني أنصحك، إن استطعتَ أن لا تسمعَ صراخنا، ولا تشهدَ وقعتنا فافعل، فوالله لا يسمع واعيتَنا أحدٌ ولا ينصرُنا إلاّ أكبَّه الله على وجههِ في نار جهنم». ثم خرج الحسين من عنده، وغادر قصرَ بني مقاتل مع أصحابه..

وبينما كانوا يسيرون إذ خفقَ الحسينُ عليه السلام وهو على ظهرِ فرسه خفقةً خفيفة، ثم انتبه وهو يقول: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمدُ لله ربِّ العالمين» وكرر ذلك مرتين أو

ثلاثاً، فسأله عليُّ الأكبر عن السبب في استرجاعه فقال: «إنّي خفقتُ برأسي فعنَّ لي فارسٌ وهو يقول: «القومُ يسيرونَ والمنايا تسيرُ بهم، فعلمتُ أنها أنفُسُنا نُعيت إلينا».

فقال علي الأكبر: «لا أراكَ الله سوءاً، ألسنا على الحق؟».

قال: «بلى، والذي إليه مرجعُ العباد».

فقال: «يا أبتِ إذن لا نُبالي أن نموتَ محقين!».

فقال عليه السلام: «جزاك الله من ولدٍ خيرَ ما جزى ولداً عن والده».

الحر يجعجع بالحسين عليه السلام:

ولم يزل الحسين يتياسر إلى أن انتهى إلى (نينوى) وإذا راكبٌ على نجيبٍ وعليه السلاح فانتظروُه فلما انتهى إليهم سلَّم على أصحاب الحرِّ، ولم يسلِّم على أصحاب الحسين عليه السلام، وإذا هو رسولُ ابنِ زياد إلى الحرِّ، ومعه

كتاب يقولُ فيه: «أمّا بعد فجعجع بالحسين حين تقرأ كتابي ولا تنزله إلا بالعراء، على غير ماء وغير حصن، وقد أمرتُ رسولي أن يلزمك ولا يفارقك، حتى يأتيني بإنفاذك أمري والسلام».

فقرأ الحرُّ الكتاب على الحسين عليه السلام فقال له الإمام: «دعنا ننزل نينوى أو الغاضريات أو شفية».

فقال الحر: «لا أستطيعُ فإن الرجل عَينٌ علي».

قال زهيرُ بنُ القَيْنِ: «يابن رسول الله إن قتال هؤلاء أهونُ علينا من قتال من يأتينا من بعدِهم، فلعمري ليأتينا ما لا قبل لنا به».

فقال الحسين عليه السلام: «ما كنت أبدؤهم بقتال».

ثم قال زُهيرُ: «هٰهُنا قريةٌ بالقرب منا على شطِّ الفرات وهي في عاقول حصينة والفراتُ يحدق بها إلا من وجه واحد».

قال الحسينُ: «ما اسمُها؟»

فقال: «تسمىٰ (العقر)».

فقال عليه السلام: «نعوذ بالله من العقر».

والتفتَ الحسين إلى الحرّ وقال: «سِرْ بنا قليلاً» فساروا جميعاً حتى إذا وصلُوا أرضَ كربلاء فوقفَ الحر وأصحابُه أمام الحسين عليه السلام ومنعوُهُ عن المسير وقالوا: إن هذا المكان قريب من الفرات.

النزول في كربلاء:

وكان نزوله عليه السلام في كربلاء في الثاني من المحرم سنة إحدى وستين، فجمع عليه السلام ولدَهُ واخوتَه وأهلَ بيته ونظر إليهم وبكى وقال: «اللَّهُمَّ إنّا عترةُ نبيك محمدٍ قد أُخرِجْنَا وطُرِدْنَا وأُزْعِجنا عن حرمِ جدنا وتعدَّتْ بنُو أمية علينا، اللَّهمَّ فَخُذْ لنا بحقنا، وانصُرنا على القومِ الظالمين». وأقبل على أصحابه فقال:

«الناسُ عَبيدُ الدنيا، والدينُ لَعِقٌ على ألسِنَتِهم، يَحُوطُونَه ما دَرَّتْ معايِشُهم فإذا مُحِّصوا بالبلاءِ قَلَّ الدّيانون».

ثم حمدَ الله وأثنى عليه، وصلّى على محمدٍ وآله وقال:

«أما بعد فقد نزلَ بنا من الأمرِ ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبَرَ معروفُها ولم يبقَ منها إلاّ صَبابَةٌ كصبابةِ الإناءِ، وخَسِيسُ عيشٍ كالمرعى الوبيلِ، ألا تَرَوْنَ إلى الحقّ لا يُعملُ به وإلى الباطِلِ لا يُتَنَاهى عنه؟ . . ليرغبُ المؤمنُ في لقاءِ الله محقاً فإني لا أرى الموتَ إلا سعادةً والحياةَ معَ الظالمين إلا برما».

فقام زهيرُ بنُ القين وقال: «سمعنا يابن رسولِ الله مقالتَكَ ولو كانتِ الدنيا لنا باقيةً وكنا فيها مخلّدين لآثرنا النهوضَ معك على الإقامة فيها».

وقال بُريرُ: «يابن رسول الله، لقد منَّ الله بكَ علينا أن نقاتلَ بين يديك تُقطّع فيك أعضاؤنا، ثم يكونُ جدُّكَ شفيعُنا يوم القيامة».

وقال نافعُ بنُ هلال: «أنت تعلمُ أن جدك رسولَ الله لم يقدر أن يشربَ الناس محبته، ولا أن يرجعوا إلى أمره

ما أحب، وقد كان منهُم منافقون يعِدُونَهُ بالنصر ويُضمرون له الغدرَ، يلقونه بأحلى من العَسل ويخلفونه بأمرٍّ من الحنظل، حتى قبضَهُ الله إليه، وإن أباكَ عليّاً كان في مثلِ ذلك، فقومٌ قد أجمعُوا على نصرهِ وقاتلُوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين حتى أتاهُ أجلُهُ فمضى إلى رحمة الله ورضوانه، وأنت اليومَ عندنا في مثلِ تلك الحالة، فمن نكثَ عهده، وخلعَ بيعتَهُ، فلن يضرَّ إلاَّ نفسَه والله مغنٍ عنه، فسرْ بنا راشداً معافى، مُشرقاً إن شئت أو مُغرباً فوالله ما أشفقنا من قدرِ الله ولا كرهنا لقاءَ ربنا، وإنّا على نيّاتنا وبصائِرنا، نوالي من والاك ونعادي من عاداك».

حيرة عمر بن سعد:

ولما نزل الحسين عليه السلام كربلاء، كتب إلى ابن الحنفية وجماعةٍ من بني هاشم كتاباً يقول لهم فيه: «أما بعد فكأنّ الدُنيا لم تكن، وكأنّ الآخرةَ لم تزل، والسلام».

وبعث الحر إلى ابن زيادة يخبره بنزول الحسين عليه السلام في كربلاء فكتبَ ابن زياد إلى الحسين عليه السلام: «أما بعدُ يا

حسين . . فقد بلغني نزولكَ كربلاء، وقد كتبَ أميرُ المؤمنين يزيدُ أن لا أتوسَّدَ الوثير، ولا أشبعَ من الخمير، أو ألحقكَ باللطيف الخبير، أو تنزلَ على حكمي وحكمِ يزيد والسلام».

ولما قرأ الحسين عليه السلام الكتاب رماه من يده وقال: «لا أفلح قومٌ اشتروا مرضاة المخلوق بسخطِ الخالق!» وطالبه الرسول بالجواب فقال: «ما له عندي جواب، لأنه حقت عليه كلمةُ العذاب!».

وسامتهُ يركب إحدى اثنتين

وقد صرَّتِ الحربُ أسنانها

وأخبر الرسول ابن زياد بما قاله أبو عبد الله عليه السلام فاشتَدَ غضبُه، وأمر عمر بن سعد بالخروج إلى كربلاء، وكان معسكراً (بحمام أعين) في أربعةِ آلافٍ ليسير بهم إلى (دستبي) لأنَّ الديلمَ قد غلبُوا عليها، وكتب لهُ ابن زياد عهداً بولايةِ الريِّ وثغر دستبي والديلم فاستعفاهُ ابن سعد، ولما هدده باستردادِ عهدِه على الريّ استمهله عمر بن سعد

ليلتَهُ فجمعَ نصحاءه وسألهم عن مسيره فَنَهَوْهُ عن المسير لحربِ الحسين، وقال له ابن اخته حمزةُ بن المغيرة: «أُنشِدُكَ الله أن لا تسيرَ لحربِ الحسين، فتقطع رحمك وتأثَمَ بربك فوالله لئن تخرجُ من دنياك ومالك وسلطانِ الأرض كله، لو كان لك، لكان خيرٌ لك من أن تلقى الله بدم الحسين عليه السلام».

فقال ابن سعد: «أفعل إن شاء الله». وبات ليلته مفكراً في أمره، وسمع يقول:

فــواللهِ مــا أدري وإنّــي لــحــائــرُ
أفــكّــرُ فــي أمــري عــلىٰ خَــطَــرَيْــنِ
أَأَترُكُ مُــلــكَ الــرَيِّ والــرَيُّ مُــنيــتــي
أم أرجــعُ مــأثــومــاً بــقــتــلِ حــســيــنِ؟
وفــي قــتــلــهِ الــنــارُ الــتــي لــيسَ دُونــهــا
حــجــابٌ، ومــلــكُ الــرَيِّ قــرةُ عــيــنــي
يــقــولــون إنَّ الله خــالــقُ جــنّــةٍ
ونــارٍ وتــعــذيــبٍ وغــلُّ يــديــنِ

فـإن صَـدَقُـوا فـيـمـا يـقـولُـونَ إنّـنـي
أتــوبُ إلى الــرحمــن مــن ســنــتــيـنِ
وإن كَـذبـوا فُـزنـا بُـدنـيـا عـظـيـمـةٍ
ومُـلـكٍ عـظـيـمٍ دائـمِ الحـجـلـينِ

عمر بن سعد يحسم أمره:

وعند الصباح أتى ابن زياد وقال: «إنك وليتني هذا العمل (ويقصدُ الذهاب إلى ثغر دستبي) وسمع به الناس فأنفذني له وابعث إلى الحسين مَنْ لستُ أغنى في الحرب منه..» وسمى له أناساً من أشراف الكوفة.

فقال ابن زياد: «لست أستأمركَ فيمن أُريد أن أبعث، فإن سِرتَ بجندنا وإلا فابعثْ إلينا عهدنا». فلما رآه مُلحّاً قال: «إني سائر إلى الحسين..» فأقبل في أربعةِ آلاف وانضَمَّ إليه الحرُّ فيمن معه، ودعا عمرُ بن سعد، عَزرةَ بنَ قيسٍ الأحمسي وأمره أن يلقىٰ الحسينَ ويسألَهُ عما جاءَ به فاستحيا عزرة لأنّه كان ممن كتب إلى الإمامِ يعلنُ بيعتَهُ له ويطلبُ منه القدومَ إلى الكوفة، فسأل من معه من الرؤساء

أن يلقَوْهُ فأَبَوْا لأنهم جميعاً كاتبوه.

فدعا عمرُ بن سعد قرةَ بنَ قيسٍ الحَنْظَلي ليسأل الحسين، ولما أبلغه رسالةَ ابن سعد قال أبو عبد الله. . «إن أهل مصركم كتبوا إليّ أن أقدِمْ علينا فأما إذا كرهتموني انصرفتُ عنكم».

فرجع بذلك الجواب إلى ابن سعد فكتبَ إلى ابن زياد بما يقول الحسين، فأتاه الجوابُ من ابن زياد: «أما بعدُ، فقد بلغني كتابُكَ، وفهمتُ ما ذكرت، فاعرض على الحسين وأصحابِه البيعة ليزيد، فإن فعلَ ذلك رأينا رأيَنا والسلام».

ابن زياد يعبّيء الناس للحرب:

وجمع ابن زياد الناس في جامعِ الكوفة فقال: «أيها الناس إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون، وهذا أميرُ المؤمنين يزيد، قد عرفتموه حَسنَ السِّيرةِ، محمودَ الطريقةِ، محسناً إلى الرعيّةِ، يُعطي العطاءَ في حقه، وقد أمنت السُّبلُ على عهده، وكذلك كان أبوهُ معاويةُ في عصره، وهذا ابنهُ يزيدُ من بعده يكرِّم العباد

ويغنيهم بالأموال، وقد زادكم في أرزاقِكم مائة مائة، وأمرني أن أوفِّرهَا عليكم، وأخرجكم إلى حربِ عدوِهِ الحسين فاسمعوا له وأطيعوا». ثم عبَّأ الناس للحرب، وأعلن أنه قد برئت الذمة ممن لا يخرج لقتال الحسين.

فخرج الشمر في أربعة آلاف.. ويزيدُ بنُ الركابِ في ألفين.. والحصينُ بن نُميرِ التَمِيميُّ في أربعة آلاف.. وشبثُ بنُ ربعي في ألفٍ.. وكَعبُ بن طُلحةِ في ثلاثة آلاف.. وحجارُ بنُ أبجرٍ في ألفٍ.. ومضايرُ بنُ رهينةِ المازنيُّ في ثلاثةِ آلاف.. ونَصرُ بنُ حرشةِ في ألفين.. فتكاملَ عند ابن سعد لستِ خلون من المحرم عشرون ألفاً ولم يزل ابن زياد يرسل العساكرَ إلى ابن سعد حتى اكتملَ عنده ثلاثون ألفاً.

حبيب يدعو بني أسد لنصرة الحسين عليه السلام:

وأقبل حبيب بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام فقال: «يابن رسول الله ههنا حيٌّ من بني أسد بالقرب منّا أتأذنُ لي في المسير إليهم فأدعُوهم إلى نُصرتِك، فعسى الله أن يدفعَ

بهم عنك»، قال عليه السلام: «قد أذنتُ لك»، فخرج حبيبٌ إليهم في جوف اللّيل متنكّراً، حتى أتى إليهم فعرفوه أنه من بني أسد، فقالوا: «ما حاجتك؟» فقال «إني قد أتيتُكم بخيرِ ما أتى به وافدٌ إلى قوم، أتيتُكم أدعوكم إلى نصرِ ابنِ بنت نبيّكم، فإنه في عصبةٍ من المؤمنين الرَّجلُ منهم خيرٌ من ألف رجل، لن يخذلوهُ ولن يسلموه أبداً وهذا عُمَرُ بنُ سعدٍ قد أحاط به، وأنتم قَومي وعَشيرتي، وقد أتيتُكم بهذه النصيحة فأعطوني اليوم نصرَتَهُ تنالوا بها شرفَ الدنيا والآخرة، فإنّي أُقسم بالله لا يُقتَلُ أحد منكم في سبيل الله مع ابن بنتِ رسول الله صابراً محتسباً إلاّ كان رفيقاً لمحمدﷺ في علّيين»، فوثبَ إليه رجلٌ من بني أسد يقال له عبدُ الله بنُ بِشرٍ فقال: «أنا أوّلُ من يجيبُ إلى هذه الدّعوة»، ثم جعل يرتجزُ ويقول:

قَدْ عَلِمَ القَومُ إذا تَواكَلُوا
وأحجَمَ الفُرسانُ إذ تناقَلُوا
أنّي شُجاعٌ بَطَلٌ مُقاتِلُ
كأنّني ليثُ عرينٍ باسلُ

ثم تبادر رجال الحيّ حتى التأم منهم تسعون رجلاً فأقبلوُا يريدون الحسينعَلَيْهِ السَّلَامُ وخرجَ رجلٌ في ذلك الوقت من الحيّ حتى صارَ إلى عمرِ بن سعد فأخبره بالحال، فدعا ابن سعد برجلٍ من أصحابه يقال له الأزرق، فضَمَّ إليه أربعمائة فارس ووجَّهه نحو حيِّ بني أسد، فبينما أُولئك القوم قد أقبلوا يريدون عسكر الحسينعَلَيْهِ السَّلَامُ في جوفِ الليل، إذا استقبلتهم خيلُ ابن سعد على شاطىءِ الفرات، وبينهم وبينَ عسكرِ الحسين اليسير، فناوشَ القومُ بعضَهم بعضاً واقتتلوا قتالاً شديداً، وصاحَ حبيبُ بن مظاهر بالأزرق: «ويلكَ، مالكَ، ومالنا؟ انصرِف عنّا، ودعنا يشقى بنا غيرُك»، فأبى الأزرقُ أن يرجع، وعلمتْ بنو أسد أنه لا طاقةَ لهم بالقوم، فانهزموا راجعين إلى حيِّهم، ثم إنهم ارتحلوا في جوفِ الليل خوفاً من ابن سعد أن يبيتهم ورجع حبيبُ بنُ مظاهر إلى الحسينعَلَيْهِ السَّلَامُ فخبّره بذلك فقالعَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا حول ولا قوّة إلا بالله».

حوار بين الحسين عليه السلام وابن سعد:

وأنزلَ ابنُ سعد الخيلَ على الفرات، فحالوا بين سيدِ الشهداء وأصحابهِ وبين الماء، ولم يجد هؤلاء طريقاً إلى الماء حتى أضرَّ بهم العطش، وأرسل الحسينُ عمرَو بنَ قرظة الأنصاري إلى ابن سعد يطلبُ الاجتماعَ معه ليلاً بين المعسكرين، فخرجَ كلٌ منهما في عشرين فارساً، وأمرَ الحسينُ من معه أن يتأخرَ إلاّ العباسَ وابنَهُ علياً الأكبر. وفعل ابنُ سعد كذلك وبقي معه ابنُه حفصٌ وغلامُه.

فقال الحسين: «يابن سعد أتقاتِلُني.. أما تتقي الله الذي إليه مَعَادُك؟ فأنا ابنُ من قد علمت! ألا تكون معي وتدعُ هؤلاء فإنه أقربُ إلى الله تعالى؟».

قال عمر: «أخافُ أن تُهدمَ داري».

قال الحسين: «أنا أبنيها لك».

فقال: «أخافُ أن تؤخذَ ضيعتي».

قال عليه السلام: «أنا أخلفُ عليك خيراً منها من مالي بالحجاز» ولما أيِسَ منهُ الحسين انصرف عنه وهو يقول:

«مالكَ؟ ذبحك الله على فراشِكَ عاجلاً، ولا غفرَ لك يومَ حشرِكَ، فوالله إني لأرجوَ أن لا تأكلَ من بَرِّ العراق إلا يسيراً».

قال ابن سعد مستهزئاً: «في الشعير كفاية!».

ابن زياد يحث عمر بن سعد على قتل الحسين:

وروي أن عمر بن سعد كتب إلى ابن زياد بعد هذا الاجتماع يقول: «أمّا بعدُ فإن الله قد أطفأَ النائرةَ، وجمعَ الكلمةَ، وأصلحَ أمرَ الأمّة، هذا الحسينُ قد أعطاني أن يرجعَ إلى المكان الذي منه أتى، أو أن يسيرَ إلى ثغرٍ من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين».

فكتب ابن زياد جواباً على رسالته يقول: «إنّي لم أبعثك إلى الحسينِ لتكفَّ عنه، ولا لتطاوِلَهُ، ولا تمنِّيه السلامةَ والبقاء، ولا تعتذر عنه، ولا تكونَ له عندي شفيعاً.

انظر فإنْ نزلَ الحسينُ وأصحابُه على حكمي

واستسلَمُوا فابعث بهم إليَّ، وإن أبوا فازحفْ إليهم حتى تقتلَهُم، وتمثِّلَ بهم، فإنهم لذلك مستحقّون.

فإن قتلتَ حسيناً فأوطىء الخيلَ صدرَهُ وظهرَهُ، فإنه عاتٍ ظلومٌ. ولست أرى أن هذا يضرُّ بعد الموت شيئاً، ولكن قولٌ قد قلته أن لو قتلتُهُ لفعلتُ به هذا.

فإن مضيت لأمرنا فيهِ جزيناكَ جزاءَ السامعِ المطيعِ، وإن أبيتَ فاعتزل عَمَلَنا وجُنْدَنا، وخلِّ بينَ شمرِ بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنّا قد أمَّرناهُ بأمرِنا والسلام».

وأعطى الرسالةَ بيدِ شمر فأقبل بها إلى عمرِ بن سعد وقرأها عليه.

فقال ابن سعد: «ويلكَ، لا قرَّبَ الله دارك، والله لا يستسلمُ الحسينُ، فإن نفساً أبيةً لبين جنبيه».

فقال له شمر: «أخبرني ما أنتَ صانعٌ؟ أتمضي لأمرِ أميرك، وتقاتلُ عدوَّه، وإلا فخلِّ بيني وبين العسكر».

فقال عمر بن سعد: «لا.. ولا كرامةَ لك، ولكن أنا أتولّى ذلك، فدونَكَ فكُن أنت على الرجّالة».

جيش العدو يستعد للزحف:

وصاح الشمر بأعلى صوته: «أين بنو اختنا؟ أين العباس واخوته؟» فأعرضوا عنه، فقال الحسين: «أجيبوه ولو كان فاسقاً».

قالوا: ما شأنُك وما تريدُ؟

قال: يا بني اختي أنتم آمنون لا تقتلُوا أنفسَكُم مع الحسين، والزمُوا طاعة أمير المؤمنين يزيد.

فقال العباس: لعنكَ الله ولعن أمانَكَ، أتؤمننا وابنُ رسول الله لا أمانَ له، وتأمرنا أن ندخل في طاعةِ اللُّعنَاءِ، وأولادِ اللُّعنَاءِ.

وفي عشية الخميس لتسعٍ خلون من المحرم نادى في عسكره بالزحف نحو الحسين، وكان الإمامُ عليه السلام جالساً أمام خيمته محتبياً بسيفه فقال لأخيه العباس: «اركبْ بنفسي أنتَ حتى تلقاهُم، واسْأَلْهُم عما جاءهم وما الذي يريدون».

فركب العباسُ في عشرين فارساً، وسَأَلَهُم عما

يريدون قالوا: «جاء أمرُ الأمير أن نعرضَ عليكم النزولَ على حكمهِ أو ننازلَكُم الحرب».

فانصرفَ العباس عليه السلام يخبرُ الحسين بذلك ووقفَ أصحابُه يَعِظون القوم، فقال لهم حبيب بن مظاهر: «أما والله لبئسَ القومُ عند الله غداً قومٌ يقدِمُون عليه وقد قتلُوا ذرية نبيّه، وعترته وأهل بيته، وعبّاد أهل هذا المصر، المتهجّدين بالأسحار، الذاكرين الله كثيراً».

فقال له عزرةُ بنُ قيس: «إنك لتزكّي نفسَكَ ما استطعتْ».

فقال زهير: «يا عزرةُ، إنَّ الله قد زكّاها وهدَاها، فاتَّقِ الله فإني لكَ من الناصحين، أنشدك الله يا عزرةُ أن لا تكونَ ممن يُعينُ أهلَ الضلالةِ على قتلِ النفوسِ الزكية».

فقال عزرةُ: «يا زهيرُ ما كنتَ عندنا من شيعة أهلِ هذا البيت إنما كنتَ على غيرِ رأيهم».

قال زهيرٌ: «أفلستَ تستدِلُّ بموقفي هذا أني منهم؟! أما والله ما كتبتُ إليه كتاباً قطُّ، ولا أرسلتُ إليه رسولاً،

ولا وعدتُهُ نصرتي، ولكنَّ الطريقَ جميع بيني وبينَهُ فلما رأيتُه ذكرتُ به رسولَ الله ومكانَه منه وعرفت ما يقدمُ عليه عدُوه، فرأيت أن أنصرَهُ وأن أكونَ من حزبه، وأجعلَ نفسي دونَ نفسِهِ لما ضيّعتم من حق رسوله».

وأعلم العباس أخاه أبا عبد الله بما عليه القومُ فقال الحسين عليه السلام: «ارجع إليهم واستمهِلهم هذه العشيّة إلى غد لعلنا نصلّي لربنا الليلَةَ وندعوهُ ونستغفرهُ، فهو تعالى يعلم أني أحبُّ الصلاةَ له، وتلاوةَ كتابِهِ، وكثرةَ الدعاء والاستغفار».

فرجع العباسُ واستمهلهم تلك العشيةَ، فترددَ ابن سعد في ذلك وسألَ الناس، فقال عَمرو بنُ الحَجَّاجِ: «سبحان الله لو كانُوا من الدَّيْلَمِ، وسألوك هذا لكان ينبغي لك أن تجيبَهُم إليه».

وقال قَيسُ بنُ الأَشعَثِ: «أجبهم إلى ما سألوكَ، فلعمرِي ليستقبلك بالقتالِ غدوة».

فقال ابن سعد: «واللهِ لو أعلمُ أنَّهُ يفعلُ ما أخَّرتُهم

العشية» ثم بعثَ إلى الحسينِ من يقول له: «إنا أجّلناكم إلى غدٍ فإن استسلمتُم سَرَحنْا بكم إلى الأمير ابن زياد، وإن أبيتُم فلسنا تاركيكُمْ».

الحسين عليه السلام يحلُّ أصحابه من بيعته:

وجمع الحسينُ أصحابُه قربَ المساء قبل مقتلهِ بليلةٍ، وخطبَ فيهم فقال: «أُثني على اللهِ أحسنَ الثناءِ، وأحمَدُه على السرَّاءِ والضَّراءِ، اللّهُمَّ إني أحمدكَ على أن أكرمتنا بالنبوّةِ، وعلَّمتنا القرآنَ، وفقَّهتَنا في الدينِ، وجعلتَ لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً، ولم تجعلنا من المشركين، أما بعدُ فإني لا أعلمُ أصحاباً أوفى ولا خَيراً من أصحابي، ولا أهلَ بيتٍ أبرُّ ولا أوصلُ من أهل بيتي، فجزاكُمُ الله عني جميعاً...

ألا وإني أظنُّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإنّي قد أذنتُ لكم فانطلقُوا جميعاً في حلٍّ ليس عليكُم مني ذِمامٌ. وهذا الليلُ قد غَشِيَكُم فاتخذوهُ جملاً، وليأخُذْ كلُّ رجلٍ منكم بيدِ رجلٍ من أهل بيتي، وتفرَّقُوا في سوادِكم

ومدائِنكم، وذَرُوني وهؤلاء، فإنَّ القومَ إنما يطلبونني ولو أَصابوني، لذهلُوا عن طلبِ غيري».

فرفضَ ذلك اخوتُه وأبناؤه وبنُو أخيه وأبناءُ عبدِ الله ابنِ جعفر وقال العباسُ بنُ علي‌عليه السلام: «لِمَ نفعلْ ذلك؟ لنبقىٰ بعدكَ؟ لا أرانا الله ذلكَ أبداً!».

والتفت الحسينُ إلى بني عقيل وقال: «حسبُكُمْ من القتل بمسلِم، اذهبوا قد أذِنتُ لكم».

فقالوا: «إذَنْ ما يقولُ الناس وما نقولُ لهم؟ إنا تركنْا شيخنا وسيِّدنَا وبني عمومتنا خَيرَ الأعمام، ولم نرمِ معهم بسهم، ولم نطعنْ برمحٍ، ولم نضربْ بسيف، ولا ندرِي ما صنَعُوا؟ لا والله لا نَفعلُ.. ولكن نفديك بأنفسِنا وأموالِنا وأهلِينا. نقاتلُ معك حتى نَرِدَ موردك، فقبَّحَ الله العيشَ بعدَك».

وقام إليه مسلمُ بن عوسجة الأسدي فقال: «أنحنُ نخلّي عنك..؟ ولمّا نعذرَ إلى الله في أَداءِ حقِّكَ! أما والله لا أفارقُكَ حتى اكسِرَ في صدورهم رمحي، وأضربَهُمْ

بسيفي ما ثبتَ قائمُه في يدي، ولا أفارقُكَ، ولو لم يكن معي سلاحٌ أقاتلهم به، لقذفتُهُم بالحجارة دونك حتى أموتَ معك»!

وقال سعيدُ بنُ عبد الله الحَنَفِيُّ: «والله لا نخليك حتى يعلمَ الله أنا حفظنا غيبةَ رسولِ اللهﷺ فيك، واللهِ لو علمتُ أني أُقتل ثم أُحيا، ثم أُحرقُ حياً ثم أُذَرُّ، يفعلُ ذلك بي سبعين مرة، ما فارقتُكَ حتى ألقى حمامي دونَكَ، فكيفَ لا أفعلُ ذلك وإنما هي قتلةٌ واحدةٌ، ثم هي الكرامة التي لا انقضاءَ لها أبداً؟».

وقال زهيرُ بنُ القَينِ: «والله لوددتُ أني قُتلتُ، ثم نُشرت، ثم قُتلت، حتى أُقتلَ كذا ألف مرة، وإن الله عزَّ وجل يدفعُ بذلك القتلَ عن نفسِك، وعن أنفسِ هؤلاء الفتيان من أهلِ بيتك».

وتكلم باقي الأصحاب بما يشبه بعضه بعضاً فجزاهُمُ الحسينُ خيراً، ثم قال لهمعَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا قوم إني غداً أُقتل، وتُقتلُون كلُّكم معي ولا يبقى منكم أحدٌ».

فقالوا: «الحمدُ لله الذي أكرمَنا بنصرِكَ، وشرَّفَنا بالقتلِ معكَ، أولا ترضىٰ أن نكونَ معكَ في درجتِكَ يابن رسول الله»؟!

فقال عليه السلام: «جزاكُمُ الله خيراً»، ودعا لهم بخير.

ثم إنَّ القاسم بن الحسن عليه السلام عندما سمع بمقتلِ الرجال سأل عمّه الحسينَ قائلاً: «وأنا فيمن يُقتل؟»

فأشفق عليه الحسين عليه السلام فقال له: «يا بُنَيّ كَيْفَ الْمَوْتُ عِنْدَكَ».

قال: «يا عمُّ فيكَ أحلى من العَسل».

فقال عليه السلام: «أي والله، فداكَ عَمُّكَ، إنَّكَ ممنْ يُقْتَلُ مِنَ الرِّجَالِ مَعي بَعْدَ أَنْ تَبْلُوَ بِبَلاءٍ عَظِيمٍ».

وفي هذه الحال قيل لمحمدِ بنِ بَشيرِ الحَضْرَمي: «قد أُسِرَ ابنُكَ بثغرِ الري».

فقال: «عند الله أحتسبُه ونفسي، ما كنت أحبُّ أن يؤسَرَ وأنا أبقى بعده».

فسمع الحسين عليه السلام قوله، فقال: «رَحِمَكَ الله أَنتَ في حِلٍّ من بَيعَتي، فاعمَلْ في فِكاكِ ابْنِكَ».

فقال: «أكلتني السباعُ حيّاً إن فارقتُك».

فقال له الحسين: «فَأَعْطِ ابْنِكَ هَذِهِ الأثوابَ وَالبُرُودَ يَسْتَعِين بِها في فِداءِ أَخيهِ»، فأعطاه خمسة أثواب قيمتُها ألف دينار.

وبات الحسين عليه السلام وأصحابُه ليلتهم تلك يصلُّون، ويستغفرون، ويتضرعون، وخيولُ عدوِّهم تدورُ من ورائهم، وكان عليها عزرةُ بنُ قيسٍ الأحمسي، والحسينُ عليه السلام يقرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾.

وفي ثُلثِ الليلة مازحَ بُريرُ بنُ خُضيرٍ، صاحبَهُ عبدَ الرَّحمٰنِ الأنصاريَّ، فقال له عبدُ الرحمن: «ما هذه ساعةُ باطل!».

فقال بُرير: «لقد عَلِمَ قومي ما أَحببتُ الباطل كهلاً ولا شاباً، ولكنني أُفضِّلُ ذلك استبشاراً بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحورِ العينِ إلا أن يميلَ علينا هؤلاء بأسيافِهم. . ولوددتُ أنهم مالُوا علينا الساعة».

وخرج حبيبُ بنُ مظاهرٍ يضحكُ، فقال له يَزيدُ بن الحُصينِ الهَمَدانِيُّ: ما هذه ساعةُ ضحكٍ! فقال حبيب: «وأيُّ موضعٍ أحق بالسرورِ من هذا؟ ما هو إلا أن يميلَ علينا هؤلاء بأسيافهم فنعانقُ الحورَ العين».

الحسين عليه السلام يعاتب الدهر:

يقول عليُّ بن الحسين عليه السلام: «إني جالسٌ في تلكَ العشيةِ التي قُتِلَ أبي صبيحتَها، وعمتي زينبُ عندي تمرّضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له، وعنده (جون) مولى أبي ذر الغفاري، يعالج سيفَهُ ويصلحُه، وأبي يقول:

يــا دهــرُ أفٍّ لَــكَ مِــنْ خَــلــيــلِ
كَــمْ لَــكَ بــالإشــراقِ والأصِــيــلِ

مِـنْ صَاحـبٍ وطـالـبٍ قـتـيـلِ

والـدَّهـرُ لا يَـقـنـعُ بـالـبـديـلِ

وإنـمـا الأمـرُ إلـى الـجـلـيـلِ

وكـلُّ حـيٍّ سـالـكٌ سَـبـيـلي

فأعادها مرتين أو ثلاثاً، حتى فهمتها فعرفتُ ما أراد، فخنقتني عَبرتي، فرددتُ دمعي ولزمتُ السكون، وعلمتُ أنَّ البلاء قد نزل».

فأمّا عَمّتي فإنها سمعت ما سمعْتُ ـ وهي امرأةٌ، وفي النساء الرقةُ والجزعُ ـ فلم تملك نفسها أن وَثَبَتْ تجرُّ ثوبَها حتى انتهت إلى أبي، فقالتْ: «واثكلاه، ليتَ الموتَ أعدمني الحياة! اليوم ماتتْ فاطمةُ أمي، وعليٌّ أبي، وحسنُ أخي، يا خليفةَ الماضين وثمالةَ الباقين!

فنظرَ إليها الحسينُ عليه السلام فقال: «يا أُخَيَّةُ إتَّقِي الله وَتَعَزَّيْ بعزاءِ الله، وآعلمي أنَ أهلَ الأرضِ يموتون، وأَنَ أهلَ السَّماءِ لا يَبْقُون، وأنَّ كلَّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجه اللهِ الذي خلقَ الخلقَ بقدرتِه، ويبعثُ الخلقَ فيعودون، وهو

فردٌ واحدٌ أحدٌ. . إن أبي خيرٌ مني وقد مات، وأن أمي خيرٌ مني وقد ماتت، وأن أخي خيرٌ مني وقد مات، ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة».

فقالت زينب: «أفتغصبُ نفسكَ اغتصاباً، فذاك أقرحُ لقلبي وأشدُّ على نفسي».

وقائع ليلة المعركة:

وخرجَ الحسينُ عليه السلام في جوف الليلِ إلى خارجِ الخيام يتفقدُ التلاعَ والروابي، فتبعه نافعُ بنُ هِلالِ الجَمَلِي، فسأله الحسينُ عما أخرجه قال: «يابن رسول الله أفزعني خروجُكَ إلى جهةِ معسكرِ هذا الطاغي».

فقال الحسينُ: «إني خرجتُ أتفقدُ التلاعَ والروابيَ مخافةَ أن تكونَ مكمناً لهجومِ الخيلِ يومَ تحملونَ ويحملون» ثم رجعَ عليه السلام وقد قبضَ على يدِ نافعٍ وهو يقول: «هو، هو واللهِ وعدٌ لا خُلفَ فيه».

ثم قال له: «ألا تسلُكُ بينَ هذين الجبلين في جوفِ اللَّيلِ وتنجُو بنفسك؟»

فقال له نافعٌ: «إذنْ ثكلتْ هلالاً أمُه. سيّدي والله الذي مَنَّ عليَّ بك لا أُفارِقُكَ حتى يكلاَّ عن فرى وجرى».

ثم إنَّ الحسينَعليه السلام أمرَ أصحابَهُ أن يقرنُوا الخيامَ، ويُدخِلُوا الأطنابَ بعضَها في بعضٍ وأن يكونُوا بينَ الخيام، ليواجهوا القومَ من طرفٍ واحدٍ، وتكون الخيام من ورائِهم وعن أيمانهم وشمائلهم.

وبعدَ ذلك جمعَ أصحابَهُ وقال لهم:

«ألا ومن كانَ في رَحلِهِ امرأةٌ فينصرفْ بها إلى بني أسد».

فقام عليُّ بن مظاهر وقال: ولماذا يا سيدي؟

فقالعليه السلام: «إنَّ نسائي تُسبى بعدَ قتلي، وأخافُ على نسائِكم من السبي».

فمضى عليُّ بن مظاهر إلى خيمتِهِ فقامت زوجتُه إجلالاً له فاستقبلتْهُ وتبسَّمَتْ في وجههِ فقال لها: «دعيني والتبسم».

فقلت: «يابن مظاهر إنّي سمعتُ غريبَ فاطمةِ خطبَ

فيكم، وسمعتُ في آخرها همهمةً ودمدمةً، فما علمتُ ما يقول؟».

قال: يا هذه، إن الحسين عليه السلام قال لنا: «ألا ومن كانَ في رحلِه امرأةٌ فليذهبْ بها إلى بني عمِّها، لأني غداً أُقتل ونسائي تُسبى».

فقالت: «وما أنْتَ صَانِعٌ؟»

قال: «قومي حتى أُلحقَكِ ببني عمِّك بني أسد».

فقامت زوجتُهُ ونطحتْ رأسَها بعمودِ الخيمة وقالت: «واللهِ ما أنصَفْتَني يابن مُظاهر، أيسرُّك أن تُسبى بناتُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وأنا آمنةٌ من السبي؟. أيَسرُّكَ أن تُسلَبُ زينبٌ إزارَها من رأسها، وأنا أَستَتِر بإزاري؟ أيسرُّكَ أن تذهبَ من بناتِ الزهراء أقراطُها وأنا أتزينُ بقرطي؟ أيسرُّكَ أن يبيضَ وجهُكَ عندَ رسولِ الله ويسودُ وجهي عند فاطمةِ الزهراء؟ لا والله.. أنتم تواسونَ الرجالَ ونحنُ نواسي النساء».

فرجع علي بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام وهو يبكي، فقال لهُ الحسينُ عليه السلام: «ما يُبكيك؟».

فقال: «سيدي أبتِ الأسديّةُ إلا مواساتِكم».

فقال لهُ الحسين عليه السلام: «جُزيتم منا خيراً».

وباتَ الحسينُ وأصحابُه تلك الليلة ولهم دويٌّ كدويِّ النَحْلِ، ما بين قائمٍ وراكعٍ، وقاعدٍ وساجدٍ، حتى انبلجَ الفجرُ من يوم عاشوراء.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفاتحة	٥
أهل البيت عليهم السلام خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله	٧
تلاقفوها بني أمية	١٢
يزيد يطلب أخذ البيعة	١٤
الحسين عليه السلام يشكو أمره لجده صلى الله عليه وآله	١٦
الحسين عليه السلام يغادر إلى مكة	١٩
رسولا الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة	٢١
الطلب من ابن زياد التوجه إلى الكوفة	٢٤
ابن زياد يدخل الكوفة	٢٦
محاولة لم تتم	٢٧

اعتقال هاني بن عروة ٣٠
استشهاد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ٣٣
الحسين عليه السلام يعزم على الخروج من مكة ٤٤
الحسين عليه السلام خطيباً في ظهر مكة ٤٨
اعتقال قيس بن مصهر ٥٠
زينب عليها السلام تخبر الحسين عليه السلام بما سمعت ٥٢
حبيب بن مظاهر يلتحق بالحسين عليه السلام ٥٣
الحسين عليه السلام يخبر بقتل مسلم ٥٤
الحسين عليه السلام يخبر بقتل عبدالله بن يقطر ٥٦
الحر يعترض الحسين عليه السلام ٥٧
الحسين عليه السلام يخطب بأصحابه وأصحاب الحر ٦٤
عبيدالله بن الحر يأبى الحاق بالحسين عليه السلام ٦٥
الحر يجعجع بالحسين عليه السلام ٦٨
النزول في كربلاء ٧٠
حيرة عمر بن سعد ٧٢
عمر بن سعد يحسم أمره ٧٥

ابن زياد يعبّىء الناس للحرب ٧٦
حبيب يدعو بني أسد لنصرة الحسين عليه السلام ٧٧
حوار بين الحسين عليه السلام وابن سعد ٨٠
ابن زياد يحث عمر بن سعد علء قتل الحسين ٨١
جيش العدو يستعد للزحف ٨٣
الحسين عليه السلام يحلّ أصحابه من بيعته ٨٦
الحسين عليه السلام يعاتب الدهر ٩١
وقائع ليلة المعركة ٩٣
الفهرس ٩٧

الإمام الحسين (ع)

سيرة ومقتل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

محمد هادي

الإمام الحسين (ع)

سيرة ومقتل

مقتل الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

القسم الثاني

دار القارى

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
بيروت
١٤٢٢هـ — ٢٠٠٢م

دار القارئ
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ت: ٠٣/٤١٣٢٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

فحمدَ اللهَ وأَثنىٰ عليهِ، ثم قال لهم: «إنَّ الله سُبحانَهُ وتعالى قد أَذِنَ في قَتلِكُمْ وَقَتْلِي في هٰذا اليومِ، فعليكُمْ بالصبرِ والقتالْ».

ثم صفهّم للحربِ، وكانوا نيفاً وسبعينَ ما بينَ فارسٍ وراجلٍ، فجعلَ زُهيرَ بنَ القَيْنِ في الميمنةِ، وحبيبَ بن مظاهرِ الأسدي في الميسرةْ، وثَبَتَ هو وأهلُ بيتِه في القلبِ، وأعطىٰ الرايَة أخاهُ العباسَ عليه السلام.

أمّا عُمرُ بنُ سَعْدٍ، فقدْ أقبلَ في أكْثَرَ من ثلاثين ألفاً، وقد صفَّهمْ للحربِ، فجعلَ على المَيْمَنَةِ عمرو بنَ الحجَّاجِ الزبيدي، وعلىٰ المَيْسَرَةِ شمرَ بنَ ذي الجَوْشَنِ العامري، وعلى الخيلِ عزرةَ بن قيسِ الأحمَسِي، وعلى الرجّالةِ شِبثَ بن رَبعِي، وأعطىٰ الرايةَ مولاهُ ذويْد.

وأقبلَ القومُ يجولونَ حولَ مخيمِ الحسينِ عليه السلام، فيرونَ النار تَضطَرِمُ في خندقٍ كانَ أهلُ البيتِ عليهم السلام قد حفرُوهُ في الليلِ، لكيْ يَمنعُوا العدوَّ منَ الهجومِ عليهم من الخلفِ، فنادى شمرُ وقد اقترب من الخيام بأعلى صوتِهِ:

«يا حسينُ تعجَّلْتَ بالنارِ قبلَ يومِ القيامةِ».

فقال الحسينُ: «من هذا؟ كأنهُ شمرُ بنُ ذي الجوشن!».

قيل له: نعم.

فقال عليه السلام: «يابنَ راعيةِ المعزى، أنتَ أولى بها مني صلياً».

واستأذنَ مسلمُ بنُ عَوْسَجَة الحسينَ عليه السلام أن يَرْمِيَهُ بسهمٍ قائلاً: «دَعني حتّى أرميه؟ فإنَّ هذا الفاسقَ من اعداءِ اللهِ وعظماءِ الجبارين، وقدْ أمكن الله منهُ» ولكنَّ الحسينَ عليه السلام منعهُ وقال: «لا ترمِهِ، فإني أكرهُ أن أبدأَهُمْ بقتالٍ».

خطبة الحسين عليه السلام الأُولى:

ولما نظر الحسين عليه السلام إلى جمعهم كأنه السيلُ، رفع يديه بالدعاء قائلاً:

«اللّهُمَّ أنتَ ثِقَتِي في كلِّ كَرْبٍ، وَرَجائِي في كلِّ

شِدةٍ، وأنت لي في كلِّ أمرٍ نَزَلَ بي ثِقَةٌ وعدةٌ، كم من هَمٍّ يضعفُ فيه الفؤادُ، وتقلُّ فيه الحيلة، ويَخْذِلُ فيه الصديقُ، ويشمتُ فيه العدوُ، أنزلتُهُ بكَ وشكوتُهُ إليكَ، رغبةً مني إليكَ عَمَّنْ سواكَ فكشفتَهُ وفرَّجْتَهُ فأنتَ ولِيُّ كلِّ نِعمَةٍ، ومُنْتَهىٰ كُلِّ رَغْبَةٍ».

ثم دعا براحِلَته فركبها ونادى بصوتٍ عالٍ يسمعهُ جُلُّهم:

«أيها الناسُ اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعِظَكُمْ بما هو حقٌّ لكم عليَّ، وحتى اعتذرَ إليكمْ من مَقْدِمي عليكُمْ، فإن قَبِلْتُمْ عذري وصدَّقتُمْ قولي وأعطيتمُوني النَصْفَ من أنفسكم، كنتمْ بذلكَ أسْعَدَ، ولم يكن لكم عليَّ سبيلٌ.

وإن لم تقبلوُا منّي العُذرَ ولم تعطُوا النَصْفَ من أنفسكم، فأجمعُوا أمرَكُمْ وشركاءكم، ثم لا يكُنْ أمركُمْ عليكم غُمَّةً، ثم اقضُوا إليَّ ولا تنظرُونْ، ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾».

فلما سمعنَ النساءُ هذا منه صِخْنَ وبكينَ وارتفعت أصواتُهنَ فأرسل إليهنَّ أخاهُ العباس وابنهُ علياً الأكبرَ وقال لهما: «أسكِتاهُنَّ. . فلعَمْرِي لَيَكْثُرُ بُكاؤُهُنَّ».

ولما سكتنَ حمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمد وعلى الملائكة والأنبياء وقال في ذلك ما لا يُحصى ذكره، ولم يُسمع متكلمٌ أبلغَ منه في منطقِهِ، ثم قال:

«أيها الناس إنكم إن تتَّقُوا الله وتعرفُوا الحق لأهلهِ يكنْ أرضى لله عنكم، ونحن أهل بيتِ محمدﷺ أولى بولايةِ هذا الأمرِ عليكمْ من هؤلاء المدّعينَ ما ليس لهم، والسائرينَ فيكم بالجَوْرِ والطغيانِ، فلعمري ما الإمامُ إلاّ الحاكمُ بالكتابِ، القائمُ بالقسطِ، الدائنُ بدينِ الحقِ، الحابسُ نفسَهُ على اللهِ في ذلك. . .

عبادَ الله. . اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حَذَرٍ، فإن الدنيا لو بَقِيَتْ لأحدٍ أو بقيَ عليها أحدٌ لكانَ الأنبياءُ أحقُ بالبقاءِ وأولى بالرضا وأرضى بالقضاءِ، غيرَ أنَّ الله خلقَ الدنيا للفناءِ، فجديدُها بالٍ، ونعيمُها مُضْمَحِلٌ،

وسُرورُها مُكْفَهِرٌ، والمنزلُ تلعة، والدارُ قلعةٌ فتزودوا فإنَّ خيرَ الزادِ التقوى، واتقُوا الله لعلكمْ تُفلحون. . .

أيها الناسُ إنَّ الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دارَ فناءٍ وزوالٍ، مُتَصَرِفَةً بأهلها حالاً بعدَ حالٍ، فالمغرورُ من غرَّتْهُ، والشقيُ من فَتَنَتْهُ، فلا تَغُرَّنَّكُمْ هذه الدنيا فإنها تقطعُ رجاء مَن رَكَنَ إليها، وتخيّب طمعُ من طمع فيها. . .

وأراكمْ قد اجتمعتُمْ على أمرٍ قد أسخطتُمْ اللهَ فيه عليكم، وأعرضَ بوجههِ الكريم عنكم، وأحلَّ بكمْ نقمتَهُ، وجنَّبكُمْ رحمتَهُ فنعمَ الربُّ ربُّنا، وبئسَ العبيدُ أنتم: أقرَرْتُم بالطاعةِ، وآمنتُمْ بالرسولِ محمدٍﷺ، ثم انكمْ زحفتم إلى ذُرِّيَّتِهِ وعترتِهِ تريدون قتلهم! . . .

لقد استحوذَ عليكمُ الشيطانُ فأنساكُمْ ذكرَ اللهِ العظيم، فتباً لكمْ ولما تُريدونَ، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاءِ قومٌ كفرُوا بعد إيمانهم فَبُعداً للقومِ الظالمين. . .

أيها الناسُ إنسبوني من أنا، ثم راجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظرُوا هلْ يَحِلُ لكم قَتلِي وانتهاكُ حرمتي؟ . . .

ألستُ ابنَ بنتِ نبيكم؟ وابنَ وصيهِ وابنَ عمهِ وأولَ المؤمنين باللهِ، والمصدقَ لرسوله بما جاء من عند ربه؟ . . .

أوليسَ حمزةُ سيدُ الشهداءِ عمُّ أبي؟

أوليسَ جعفرُ الطيارِ عمّي؟

أولم يَبْلُغْكُمْ قولُ رسولِ الله لي ولأخي: «هذان سيِّدا شباب أهلِ الجنة؟».

فإن صدّقتموني بما أقولُ وهو الحقُ، واللهِ ما تعمدتُ الكَذِبَ منذُ علمتُ أن اللهَ يَمْقُتُ عليه أهلَهُ، ويضُر بهِ من أخْتَلَقَهُ، وإن كذْبتموني فإن فيكم من إنْ سألتموهُ عن ذلك أخبركُمْ، سلُوا جابِرَ بنَ عبدِ الله الأنصاري، وأبا سَعيدِ الخدري، وسَهْلَ بنَ سعدِ الساعدي، وزيدَ بنَ أرْقَمِ، وَأَنَسَ ابنَ مالكِ. . يخبروكم أنهم سمعُوا هذه المقالةَ من رسولِ الله لي ولأخي، أمَا في هذا حاجزٌ لكمْ عن سفكِ دمي؟!».

فقال الشمرُ: «هو يعبدُ اللهَ على حرفٍ، إنْ كان يدري ما يقولُ!».

فقال حبيبُ بنُ مُظاهرٍ: «واللهِ إني أراكَ تعبدُ الله على سبعينَ حرفاً، وأنا أشهدُ أنك صادقٌ، ما تدري ما يقولُ... قد طبعَ الله على قلبِكَ!».

ثم قال الحسين عليه السلام: «فإن كنتم في شكٍ من هذا القولِ، أَفَتَشُكُّونَ أني ابنُ بنتِ نبيكم؟، فواللهِ ما بين المشرقِ والمغربِ إبنُ بنتِ نبيٍ غيري فيكم ولا في غيركم، وَيْحَكُمْ أتطلبوني بقتيلٍ منكم قتلتُهُ! أو مالٍ لكم استهلكتُهُ؟ أو بقصاصٍ جِراحةٍ»؟

فأخذوا لا يكلمونه!

فنادى عليه السلام: «يا شِبثَ بن رَبعي، ويا حَجَّار بن أبجر، ويا قَيْسَ بنَ الأشْعَثِ، ويا زَيْدَ بنَ الحارثِ، ألم تكتبُوا إليّ، أن أقدِمْ فقد أينعتِ الثمارُ واخضرَّ الجنابُ، وإنما تقدمُ على جُندٍ لك مُجنَّدَة؟»

فقالوا: لم نفعل!.

فقال عليه السلام: «سبحانَ الله!. بلى والله لقد فعلتُمْ».

ثم قال: «أيها الناس إذا كرهتموني، فدعوني أنصرفُ

عنكم إلى مأمنٍ من الأرض».

فقال له قيسُ بنُ الأشعثُ: «أولا تنزلُ على حكمِ بني عمك؟. فإنهم لن يُرُوكَ إلا ما تحبُ، ولن يصلَ إليك منهم كروهٌ».

فقال الحسينُعليه السلام: «أنت أخو أخيك، أتريدُ أن يطلبكَ بنو هاشم بأكثرَ من دم مُسلم بن عَقيلٍ؟.. لا والله لا أُعطيهم بيدي إعطاءَ الذليلِ، ولا أفرُّ فرارَ العبيدِ...

عبادَ الله إني عُذتُ بربي وربّكم أن ترجمونْ، أعوذُ بربي وربّكم من كلِّ متكبرٍ لا يؤمنُ بيومِ الحساب».

ثم أناخَ راحِلَتَهُ وقفلَ راجعاً إلى الخيمةِ وأمرَ عُقبةَ بنَ سمعانٍ فَعَقَلَها.

وأقبل القومُ يزحفون نحوه، وكان فيهم عبدُ الله بنُ حَوْزَةَ التَمِيمِي فصاح:

«أفيكمْ حسينٌ؟» وكررها ثلاثاً وفي الثالثةِ قال أصحابُ الحسينِ: «هذا الحسينُ فما تريدُ منهُ؟

قال: يا حسينُ أبشرْ بالنارِ.

فقال الحسين عليه السلام: «كَذِبْتَ.. بل أَقدِمُ على ربٍّ غفورٍ كريمٍ مُطاعٍ شفيعٍ، فمنْ أنتَ؟».

قال: أنا ابنُ حَوْزَةَ.

فرفع الحسين يديه حتى بان بياضِ إبطيه وقال: «اللهم حُزْه إلى النار».

فغضب ابنُ حوزة وأقحمَ الفرسَ إليه، وكان بينهما الخندقُ الذي حفرَهُ أصحاب الحسين في الليل فسقط عنها وعلِقَتْ قدمُهُ بالركاب، وجالتْ به الفرسُ وانقطعتْ قدمُهُ وساقُهُ وفَخذُهُ، وبقي جانبُهُ الآخرُ معلقاً بالركاب، وأخذ الفرسُ يَضرِبُ به كل حجرٍ وشجر، وألقاه في النار المشتعلة في الخندق فاحترق بها ومات.

فخر الحسينُ ساجداً شاكراً حامداً على إجابة دعائه. ثم إنه رفعَ صوتهُ يقول: «اللَّهُمَّ إنا أهلُ بيتِ نبيكَ وذريتُهُ وقرابتُهُ، فاْقْصِم من ظلمَنا وغصَبَنا حقَّنا إنكَ سميعٌ قريبٌ».

يقول مَسرُوقُ بنُ وائلٍ الحَضْرَمِي: «كنت في أول

الخيل التي تقدمت لحرب الحسين لَعَلّي أن أُصيبَ رأسَ الحسينِ فأحظى به عند ابنِ زيادٍ، فلما رأيتُ ما صنع بابن حوزة عرفت أن لأهل هذا البيتِ حرمةً ومنزلةً عند الله، وتركت الناس وقلت: «لا أقاتلهم فأكونُ في النار».

خطبة زُهير بن القَيْنِ:

ثم إنَّ زُهيرَ بنَ القَيْنِ خرج إلى الأعداء على فرس ذَنوبٍ، وهو شاكٍ في السلاح، فرفع صوته قائلاً لهم: «يا أهلَ الكوفةِ.. إنذارٌ لكم من عذابِ الله، إنَّ حقاً على المسلم نصيحةُ أخيهِ المسلم، ونحن وأنتم حتى الآن اخوةٌ على دينٍ واحدٍ، ما لم يَقَعْ بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهلٌ، فإذا وقع السيفُ انقطعتْ العصمةُ، وكنا أمةً وكنتم أمّة...

أيها الناس إن الله ابتلانا وإياكُمْ بذريةِ نبيه محمدﷺ، لينظرَ ما نحن وأنتم عاملون؟ وإنا ندعوكُم إلى نصرهِمْ وخذلان الطاغيةِ يزيدَ وعُبيدِ اللهِ بن زيادٍ، فإنكم لا تدركون منهما إلا سوءُ عُمرِ سلطانهما، يُسمّلانِ

أعينَكُمْ، ويقطعانِ أيدِيَكُمْ وأرجلكَمْ، ويمثّلانِ لكمْ ويَرفعانِكمْ على جذوعِ النخل، ويقتلانِ أماثِلَكُمْ وقرّاءَكُمْ أمثالَ حجر بن عدي وأصحابِهِ وهاني بنِ عُروةِ وأشباهِهِ...».

فسبوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد وَدَعُوْا له وقالوا:

«لا نبرحُ حتى نقتلَ صاحبَكَ ومن معه، أو نبعثَ به وبأصحابِهِ إلى عبيدِ الله بن زياد سِلماً»!.

فقال زهير بن القين: «عبادَ الله.. إن وُلدَ فاطمةِ أحقُ بالودِّ والنصر من ابن سُميةٍ، فإن لم تنصروهم فأُعيذكم بالله أن تقتلوهم، فخلُّوا هذا الرجل يذهبُ إلى حيث يريد».

فرماه الشّمرُ بسهم وقال: «اسكت، أسكتَ الله نأْمَتَكَ، لقد أبْرَمْتَنا بكثرةِ كلامِكَ».

فقال زهير: «ما إياكَ أخاطبُ، إنما أنت بهيمةٌ، والله ما أظُنُّكَ تحكمُ من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم».

فقال الشمر: «إن الله قاتِلُكَ، وصاحبُكَ عن ساعة».

فقال زهيرٌ: «أفبالموت تخوفني؟ فوالله لَلْمَوْتُ معه، أحبُّ إليَّ من الخُلد معكم».

ثم أقبل على القوم رافعاً صوته وقال:

«عبادَ الله لا يَغُرَّنَّكُمْ عن دينكم هذا الجِلْفُ الجافي وأشباهُهُ، فوالله لا تَنالُ شفاعةُ محمدﷺ قوماً هَرَقُوا دماء ذريتهِ وأهلِ بيته، وقتلوا من نصرَهُمْ وذبَّ عن حريمهم».

فناداه رجلٌ من أصحابه قائلاً: إن أبا عبد الله يقول لك: «أقبل فلعَمْرِي لَئِنْ كان مؤمنُ آل فرعون نصحَ قومَهُ وأبلغَ في الدعاء، فلقد نصحتَ هؤلاءِ وأبلغتَ، لو نفعَ النصحُ والإبلاغُ».

خطبة بُرَيْر بنِ خُضَيْر:

ولما بلغ العطش بالحسين وأصحابِهِ مبلغاً كبيراً أقبل بُرَيْرُ بنُ خُضَيْرٍ إلى الحسين ـ وكان من شيوخ القرّاء في جامع الكوفة ـ واستأذنه في أن يكلم القوم فأذِنَ له.

فوقف قريباً منهم ونادى: «يا معشرَ الناس إن الله

بعث محمداً بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، وهذا ماءُ الفرات تقعُ فيه خنازيرُ السّوادِ وكلابُهُ، وقد حِيلَ بينَهُ وبينَ ابن بنت رسول الله. . أفجزاءُ محمدٍ هذا؟!».

فقالوا: «يا برير. قد اكثرت الكلام، فاكْفُفْ عنا، فوالله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله».

فقال بريرٌ: «يا قومُ إن ثقلَ محمدﷺ قد أصبح بين أظهركم، وهؤلاء ذريتُهُ وعترتُهُ وبناتُهُ وحرمُهُ، فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم».

فقالوا: «نريد أن نُمَكِّنَ منهم الأمير عُبيدَ الله بن زياد فيرى فيهم رَأْيَهُ».

فقال بريرٌ: «أفلا تقبلون منهم أن يَرْجِعُوا إلى المكان الذي جاؤوا منه؟».

«ويلكمْ يا أهلَ الكوفة، أنَسِيتُمْ كتبَكُمْ التي أعطيتموها وأشهدتُمْ الله عليها وعليكم؟. . .

ويلكم أَدَعَوْتُمْ أهلَ بيتِ نبيكُمْ، وزعمتُمْ أنكم تقتلون أنفسَكَمُ دونهم حتى إذا أتَوْكُمْ، أسلمتموهم إلى ابن زيادٍ،

وَحَلأْتُمُوهُمْ عن ماءِ الفرات؟ . . .

بئسما خَلَفْتُمْ نَبيَّكُمْ في ذرِّيته! . . .

ما لكم لا سقاكُمُ الله يومَ القيامةِ فبئسَ القومِ أنتم!».

فقال له نفر منهم: «يا هذا ما ندري ما تقولُ!؟».

فقال: «الحمدُ لله الذي زادني فيكم بصيرةً، اللَّهُمَّ إني أبرأُ إليكَ من فعالِ هؤلاء القوم، اللَّهُمَّ ألقِ بأسَهُمْ بينهم، حتى يَلْقَوْكَ وأنتَ عليهم غضبانٌ».

فجعلَ القومُ يرمونه بالسهامِ فرجع إلى أصحابه..

خطبة الحسين عليه السلام الثانية:

ثم إن الحسين عليه السلام ركب فرسَهُ، وأخذ مصحفاً ونشرَهُ على رأسِهِ وخرجَ إلى الناس فَاسْتَنْصَتَهُمْ، فأبَوْا أن ينصُتُوا، حتى قال لهم: «ويلكُمْ ما عليكُمْ أن تنصُتُوا لي، فتسمعُوا قولي؟! وأنا أدعوكمُ إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المُرْشَدِين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكُلُّكُم عاصٍ لأمري، غيرُ مستمعٍ قولي، فقد

مُلِئَتْ بطونُكُم من الحرامِ وطُبِعَ على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟ ألا تسمعون؟».

فتلاوم أصحاب عُمرِ بن سعدٍ بينهم وقالوا: «أُنصُتُوا له».

ولما سكتُوا، حمدَ الله وأثنى عليه وذكَرَهُ بما هو أهلُهُ، وصلَّى على محمدٍ والملائكةِ والأنبياءِ والرسلِ وأبلغَ في المقالِ...

ثم قال عليه السلام: «تباً لكمْ أيتُها الجماعةُ وَتَرَحاً! حين استَصْرَخْتُمُونا والهين فأصْرَخْناكُم مُوجِفِين، سَلَلْتُم علينا سيفاً لنا في أيمانِكُم وَحَشَشْتُمْ علينا ناراً اقْتَدَحْناها على عَدوِّنا وعدوِّكم؟. فأصبحتم إِلْباً لأعدائِكم على أوليائِكم، بغير عدلٍ أَفْشَوْهُ فيكم، ولا أملَ أصبحَ لكم فيهم، إلا الحرامَ من الدنيا أنالُوكُم، وخسِيسَ عيشٍ طَمَعْتُم فيه، من غيرِ حدثٍ كان منّا ولا رأيَ تفيل لنا...

فَهَلا لكمُ الويلاتِ؟! تركتُمُونا والسيفُ مَشِيمٌ والجَأْشُ طَامِنٌ، والرأيُ لما يُسْتَصْحَفْ، ولكن أسرعتم

إليها كطيرة الدبا، وتداعيتُم إليها كتداعي الفَراش. . .
فسحقاً لَكُمْ يا عبيدَ الأُمّة، وشُذّاذَ الأحزابِ، وَنَبذَةَ الكتابِ، ومُحَرِّفي الكَلِمِ، وَعُصْبَةَ الأثام، وَنَفْثَةَ الشيطانِ، وَمُطْفِئي السُنَنْ وقتلةَ أولادِ الأنبياء، ومُبيدي عترة الأوصياء، وَمُلْحِقِي العار بالنَسَبِ، ومُؤذِي المؤمنين وصُراخَ أئمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، ولبئسَ ما قدَّمتْ لهم أنفسهم وفي العذابِ هم خالدون. . .

ويلكم! أهؤلاء تَعْضُدون؟ وعنّا تتخاذَلُون؟ . . .

أجلْ والله غدرٌ فيكم قديمٌ وَشَجَتْ عليه أُصُولُكُم، وَتأزَّرَتْ عليه فرُوعُكُم، وثَبَتَتْ عليه قُلُوُبكُمْ وَغَشِيَتْ صدُورَكُمْ، فكنتم أخبث ثمرٍ شجاً للناظرِ، وأكلة للغاصِبِ. ألا لعنةُ الله على الناكثين، الذين ينقضُونَ الأيمان بعد توكِيدِها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً فأنتم والله هُمْ! . . .

ألا وإن الدعيَّ ابنَ الدَّعيّ، قد رَكَزَ بين اثنتين: بين السِّلَّةِ والذِّلَّةِ، وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا،

ورسولُهُ، والمؤمنون، وجدودٌ طابَتْ، وحُجُورٌ طَهُرَتْ، وأنوفٌ حَمِيَّةٌ، ونفوسٌ أَبِيَّةٌ من أنْ نؤثرَ طاعةَ اللئامِ على مصارعِ الكرامِ. . .

ألا قد أعذرتُ وأنذرتُ، ألا وإني زاحِفٌ بهذه الأسرة على قلةِ العددِ، وكَثْرَةِ العدوِ، وخِذلانِ النَّاصِرِ».

ثم أنشد أبيات فَرْوةِ بنِ مسيكٍ المرادي قائلاً:

فإن نُهْزَمْ فهزّامُونَ قُدْماً
وإنْ نُغْلَبْ فَغَيْرُ مُغَلَّبِينا

وما إنْ طَبَّنا جُبْنٌ ولكنْ
منايانا ودولةُ آخرينا

إذا ما الموتُ رَفَّعَ عن أناسٍ
كَلاكِلَهُ أناخَ بآخَرِينا

فأفنى الموتُ كلَّ سُراةِ قومي
كما أفنى القرونَ الأوَّلِينا

فلو خلدَ الملوكُ إذنْ خلدنا
ولو بقيَ الكرامُ إذن لبقينا

فـقـلْ لـلـشَّـامِـتِيـنَ بـنـا أَفِـيـقُـوا
سَـيَـلـقَـىٰ الـشَّـامِـتُـونَ كـمٰـا لَـقِـينا

ثم قال عليه السلام: «أما واللهِ لا تلبثُونَ بعدها إلاّ كَرَيْثِما يركبُ الفرسُ، حتى تدورَ بكم دَوْرَ الرَّحىٰ، وتقلقَ بكم قلق المحور، عهدٌ، عهدَهُ إليَّ أبي عن جَدِّي محمدٍ ﷺ فأَجمِعُوا أمركم وشركاءَكم ثم لا يكُنْ أمرُكُمْ عليكم غُمَّةً، ثم اقضُوا إليَّ ولا تَنْظُرُون إني توكلتُ على الله ربِّي وربِّكم، ما من دابّةٍ إلاّ هو آخذٌ بناصيتها. إن ربِّي على صراطٍ مستقيم».

ثم رفع يديه وقال: «اللَّهُمَّ احْبِسْ عنهم قَطْرَ السَّمٰاءِ، وابعثْ عليهم سِنينَ كَسِنِيِّ يوسف، وسلِّطْ عليهم غلامَ ثقيفٍ يسقِيهمْ كأساً مُصَبَّرَةً لا يدعُ فيهم أحداً إلا قتلَهُ، قَتْلَةً بقتلةٍ وَضَرْبَةً بِضربةً، ينتقم لي ولأوليائي وأهلِ بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرُّونا وكذَّبونا وخذلُونا، وأنت ربُّنا عليك توكلنا وإليك أَنَبْنا، وإليكَ المصيرُ».

الحسين عليه السلام يستدعي عُمَرَ بنَ سَعْدٍ:

ثم إن الحسين عليه السلام استدعى عُمرَ بن سَعْدٍ ليكلِّمَهُ، وكان كارهاً لا يحب أن يأتيَ الحسينَ عليه السلام، ولمّا جاء إليه قال له: ـ أي لعُمر ـ: «أَتَزْعُمُ أنكَ تقتلني، ويُوَليكَ الدعيُّ بلاد الرَّيِّ وجرجان؟. والله لا تهنأ بذلكَ، عهدٌ معهودٌ فاصْنَعْ ما أنت صانعٌ، فإنك لا تفرحُ بعدي بدنيا ولا آخرة، وكأني برأسِكَ على قصبةٍ يتراماهُ الصبيانُ بالكوفة، ويتَّخِذُونه غَرَضاً بينهم»، فصرف عمرُ بنُ سعدٍ بوجهه عنه مغضباً ولم يكلم شيئاً.

توبةُ الحُرِّ:

ولما سَمِعَ الحُرُّ بنُ يَزيدِ الرِّياحِيّ كلامَ الحسينِ عليه السلام ورأى أن القومَ قد صمّموا على قتاله، أقبل على عُمر بن سعدٍ وقال له:

«أمقاتلٌ أنت هذا الرجل؟».

قال: «أي واللهِ قتالاً أيسرُهُ أن تسقطَ فيه الرؤوسُ وتَطِيحَ الأيدي».

قال الحر: «ما لكم فيما عرضَه عليكُم من الخِصال؟».

فقال: «لو كان الأمرُ إليَّ لقبلتُ ولكنَّ أميركَ أبى ذلك».

فتركه الحر ووقف مع الناس، وكان إلى جنبه قرة بن قيسٍ فقالَ الحر لقرة: «هل سَقَيْتَ فرسكَ اليوم؟».

قال: «لا».

قال: «فهل تريد أن تسقِيَهُ؟».

فظن قرة من ذلك أنه يريدُ الاعتزال، ويكرهُ أن يشاهِدَهُ أحدٌ فتركه.

فأخذ الحر يدنو من الحسين قليلاً قليلاً، فقال له المُهاجرُ بنُ أَوْسٍ: «أتريدُ أن تحمل؟ فسكتَ الحر واخذته الرِّعدة، فارتابَ المهاجرُ من هذا الحال وقال له: إن أمرك لمريب، والله ما رأيتُ مثلكَ في موقفٍ قطُّ مثل هذا ولو قيل لي: من أشجعُ أهلِ الكوفة؟ لما عَدَوْتُكَ، فما هذا الذي أراهُ منك؟ فقال الحر: إني أُخيِّر نفسي بين الجنةِ

والنار، ووالله لا أختارُ على الجنةِ شيئاً، ولو أُحرقتُ».

ثم ضرب جواده نحو الحسين عليه السلام منَكّساً رمحه، قالباً تِرسَهُ، وقد طَأْطَأَ برأسه حياءً من آل الرسول بما أتى إليهم، وَجَعْجَعَ بهم في هذا المكان على غير ماءٍ ولا كلأٍ وكان يقول:

«اللّهُمَّ إليك أُنيبُ، فتُبْ عليّ فقد أرعَبْتُ قلوبَ أوليائِكَ وأولادِ نبيّك».

ولما قَرُبَ من خيمةِ الإمام رفع صوته قائلاً: «جُعلتُ فداك يابن رسولِ الله أنا صاحبُكَ الذي حبستُكَ عن الرجوعِ وسايرتُكَ في الطريق، وجَعْجَعْتُ بكَ في هذا المكان، وما ظننتُ أن القوم يردّون عليك ما عرضْتَهُ عليهم، ولا يبلُغُونَ منك هذه المنزلة، واللهِ لو علمتُ أنهم ينتهونَ بك إلى ما أرى ما ركبتُ مثل الذي ركبت، وأنا تائبٌ إلى الله ممّا صنعوه، مواسياً لكَ بنفسي حتى أموتَ بين يديك، فهل تَرى لي من توبة؟».

فقال الحسين عليه السلام: «نعم يتوب الله عليك، فأنزِلْ».

فقال الحر: «أنا لك فارساً خير مني راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعةً وإلى النزولِ يصيرُ آخرُ أمري».

فقال له الحسين عليه السلام «فاصنع يرحمُكَ الله، ما بدا لك».

الحر يخطب:

فتقدم الحر نحو عسكرِ عُمرِ بن سعد وخطبَ فيهم قائلاً: «يا أهل الكوفةِ لأُمِّكُمُ الهَبَلُ والعبر!

أَدَعَوْتُم هذا العبدَ الصالح حتى إذا أتاكم أسلمتُمُوه؟ وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكُمْ دونه، ثم عَدَوْتُمْ عليه لتقتلوه؟ وأمسكتُم بنفسهِ وأخذتم بكَلْكَلِهِ، وأحطْتُم به من كل جانب، لتمنعُوهُ التوجهَ إلى بلاد الله العريضةِ، فصارَ كالأسيرِ في أيديكم، لا يملكُ لنفسهِ نفعاً ولا يدفعُ عنها ضَراً، وَحَلأْتُمُوهُ ونساءَهُ وصبيتَهُ وأهلَهُ عن ماءِ الفرات الجاري الذي يشربُهُ اليهودُ والنصارى والمجوسُ، وتتمرغُ فيه خنازيرُ السوادِ وكلابُهُ فهاهم قد صرعهمُ العطش.

بئسما خلَّفتم محمداًﷺ في ذريتِه، لا سقاكمُ الله يومَ الظمأ».

فحمل عليه رجالٌ يرمونه بالنبلِ فرجع حتى وقفَ أمامَ الحسين عليه السلام.

عمر بن سعد يعلن بدء القتال:

ثم إن عُمرَ بنَ سعدٍ تقدمَ نحو معسكرِ الحسين عليه السلام ووضعَ سهماً في كَبِدِ قوسِهِ فرمى به وقال: «إشهدُوا لي عند الأمير، أني أولُ من رمى».

ثم رمىٰ أصحابُهُ، وأقبلتِ السهامُ من القومِ نحوَ معسكرِ أبي عبد الله كأنها القَطْرُ، فلم يبقَ من أصحابِ الحسينِ أحدٌ إلا أصابَهُ من سهامِهم. فقال الحسينُ لهم: «قوموا رَحِمَكُمُ الله إلى الموتِ الذي لا بدَّ منه، فإن هذه السهامَ رسلُ القومِ إليكم»!.

مقتلُ الحُر:

فالتفتَ الحرُ إلى الحسينِ عليه السلام وقال: «أبا عبد الله إذا

كنتُ أولَ من خرج عليك، فأذَنْ لي أن أكونَ أوَّل قتيلٍ بين يديكَ لعلّي أكونُ ممن يصافحُ جَدَّكَ محمداًﷺ غداً في القيامة».

فأذِنَ له الحسينُ عليه السلام فحملَ على أصحابِ عُمرِ بنِ سعدٍ وجعلَ يرتجزُ ويقول:

إنـي أنـا الـحـرُ ومـأوىٰ الـضَّـيْـفِ
أضـربُ فـي أَعْـنـاقِـكُـمْ بـالـسَّـيْـفِ
عـن خيـرِ مـن حَـلَّ بـأرضِ الـخَـيْـفِ
أضـربـكُـمُ ولا أرىٰ مــن حَـيْـفِ

فلم يزلْ يقاتلُ حتى عرقب فرسه وبقي يقاتل راجلاً وهو يقول:

آلـيـتُ لا أُقـتـلُ حـتـى أَقـتِـلا
أضـرِبُـهُـم بـالسيفِ ضـربـاً معضـلا
لا خـائـفٌ مـنـهـم ولا مـعـلـلا
لا عـاجـزٌ عـنـهـم ولا مـبـدّلا

وقاتل قتالاً شديداً، حتى قَتَلَ نَيْفاً وأربعين رجلاً،

وكانَ يحملُ هو وزُهَيْرُ بنُ القَيْنِ، فإذا حمل أحدهما وغاصَ فيهم، حملَ الآخرُ حتى يخلّصَهُ، ثم حملت الرجّالةُ على الحرِ وتكاثروا عليهِ حتى صرعوهُ، فاحتمَلهُ أصحابُهُ حتى وضعوهُ بين يدي الحسين عليه السلام وكان به رمقٌ ودمُهُ يشخبُ، فجعلَ الحسينُ عليه السلام يمسحُ الدّم والتراب عن وجههِ ويقول: «بخٍ بخٍ لك يا حُرُّ، أنت الحرُّ كما سمّتكَ أُمُّكَ، أنت حُرٌّ في الدنيا وسعيدٌ في الآخرة» ورثاه أحد أصحاب الحسين قائلاً:

لَنِعْمَ الحرُّ حرُّ بني رياحِ
صبورٌ عندَ مُشْتَبَكِ الرّماحِ
وَنِعْمَ الحرُّ إذ فادى حُسيناً
وجادَ بنفسِهِ عندَ الصَّبَاحِ

مقتل أبو الشعثاء الكندي:

وكانَ يزيدُ بنُ زيادِ الكِنْدِيُّ ويُكنّى أبا الشعثاءِ في أصحاب عُمرِ بنِ سعدٍ، فلما ردوا على الحسين عليه السلام ما عرضَهُ عليهم عَدَلَ عنهم إلى الحسين عليه السلام فقاتلَ بين يديهِ

وجعلَ يرتجزُ ويقول:

أنــا يــزيــدٌ وأبــي الـمـهــاجـرُ
أشـجـعُ مِـنْ ليثٍ بـغـيـلٍ خـادرُ
يـا ربِّ إنـي لـلـحـسـيـنِ نـاصـرٌ
ولابـنِ سـعـدٍ تـاركٌ وهـاجـرُ

وجثا بين يدي الحسين عليه السلام فرمى بمائةِ سهم وكلما رمىٰ يقولُ له الحسين عليه السلام «اللَّهُمَّ سدِّدْ رَمْيَتَهُ، واجعلْ ثوابَهُ الجنة» فقتلَ خمسةً من أصحاب عُمرِ بنِ سعد بالنُّشَّابِ وكان من أوائلِ من قُتل. . .

المواجهة الشاملة ومقتل خمسين من أصحاب الحسين عليه السلام:

ثم ارتمى الناس وتبارزُوا واقتتلُوا ساعةً من النهار فما انجلتِ الغَبرةُ إلا عن خمسين قتيلاً من أصحابِ الحسينِ مجزَّرين على الأرض كالأضاحي فضربَ الحسينُ عليه السلام يَدَهُ على لحيتِهِ وجعل يقول: «اشتدَ غضبُ الله على اليهودِ، إذ جعلُوا له ولداً. . واشتَدَّ غضبُهُ على النصارى، إذ جعلوهُ ثالثَ ثلاثةٍ، . . واشتدَّ غضبُهُ على المجوسِ، إذ عبدُوا

الشمسَ والقمرَ دونَهُ، واشتدَّ غضبُهُ على قومٍ اتفقتْ كلمتُهُم على قتلِ ابنِ بنتِ نبيِّهِم، أما واللهِ لا أُجيبُهم إلى شيءٍ مما يريدونَ حتى ألقىٰ اللهَ تعالى وأنا مُخَضَّبٌ بدمي». ثم صاحَ عليه السلام: «أما من مغيثٍ يغيثني؟ أما من ذابٍّ يذبُّ عن حرمِ رسولِ الله».

فبرز يَسَارٌ مولى زيادٍ وسالمٌ مولى عُبيدِ الله بن زيادٍ وقالا: «من يبارز؟» فوثب حَبيبُ بنُ مُظاهرٍ وَبُرَيْرُ بنُ خُضَيْرٍ فلم يأذنْ لهما الحسينُ عليه السلام.

مقتل عبد الله بن عمير الكلبي:

فقام عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَيْرٍ الكَلْبِيُّ فاستأذنَ الحسينَ عليه السلام في مبارزتهما، وكان طويلاً بعيداً ما بين المِنكَبيْنِ، شريفاً في قومِهِ شُجاعاً مُجرباً، فنظرَ إليه الحسينُ عليه السلام وقال: «إني أحسبُهُ للأقرانِ قَتّالاً» وأذِنَ له، وكانَ قد خرجَ من الكوفةِ ليلاً إلى الحسينِ عليه السلام لأنهُ لما رأىٰ العساكرُ تُعرضُ بالنخيلةِ لتسيرَ إلى حربِ ابن بنت رسول الله قال: «واللهِ لقدْ كنتُ على جهادِ أهلِ الشرك حَريصاً، وإني لأرجو أنْ

لا يكونَ جهادُ هؤلاءِ الذين يغزونَ ابنَ بنتِ نبيِّهم أقلَّ ثواباً عند الله من جهادِ المشركين» فأخبر زوجته بما يريدُ أن يفعل فقالت: «أصبْتَ أصابَ اللهُ بك ارشدَ أُمورِكَ أُخرجْ وأَخرِجني معك».

فلما برز عبدُ اللهِ قال له يَسارٌ: «من أنت»؟

فانتسبَ له، فقالَ له: «لستُ أعرفُكَ، ليخرجْ إليّ زُهيرُ بنُ القَيْنِ، أو حَبيبُ بنُ مظاهرٍ، أو بُرَيْرُ بنُ خُضَيْرٍ».

فقال ابنُ عُمير: «أيها المنافقُ، وبكَ رغبةٌ عن مبارزةِ أحدٍ من الناس؟ ولا يبرزُ إليك أحدٌ إلا وهو خيرٌ منك؟!».

ثم شدَّ عليه بضربةٍ بسيفه، وبينما هو مشتغلٌ به إذ شد عليه سالمٌ مولى عُبيدِ اللهِ فصاح به أصحابه: «قد رَهَقَكَ العبدُ» فلم يعبأ به فضرب سالمٌ بالسيف فاتقاها عبدُ الله بنُ عمير بيدهِ اليسرى، فأطارتْ أصابعَ كفِّه، ثم شد عليه ابنُ عُميرٍ فضربَهُ حتى قتلَهُ فرجعَ إلى الميدانِ وقد قتلهما جميعاً.

ثم قاتَلَ قتالاً شديداً، حتى قَتلَ رجلين آخرين، فحملوا عليه وقطعُوا ساقه، ثم أُخِذَ أسيراً وقُتلَ صبراً.

مجموعة من أصحاب الحسين عليه السلام تواجه جيش العدو:

وبرزَ عُمَرُ بنُ خالدِ الصَيْداويُّ، فقالَ له الحسينُ عليه السلام: «تقدم فإنا لاحقونَ بكَ عن ساعةٍ»، فحملَ هو وسعدٌ مولاهُ وجابرُ بنُ الحارثِ السَّلمانيُّ وَمَجمَعُ بنُ عبدِ الله العائِذِيّ، وشدُوا جميعاً على أهلِ الكوفةِ فلما أوغلُوا فيهم عَطَفَ عليهم الأعداء وقَطَعُوهُمْ عن أصحابهم، فندبَ إليهم الحسينُ عليه السلام أخاهُ العباسُ فاستنقذهمْ بسيفِهِ وقد جُرحِوا بأجمعهم، وفي أثناءِ الطريق اقتربَ منهم العدوُ فشدوا بأسيافهم، مع ما بهم من الجراح، وقاتلوا حتى قُتِلوا في مكانٍ واحد.

ولما نظر من بقيَ من أصحابِ الحسين عليه السلام إلى كَثرةِ من قُتلَ منهم، أخذ الرجلان والثلاثةُ والأربعةُ، يستأذنون الحسين عليه السلام في الذبِّ عنه، والدفعِ عن حرمِهِ، وكلٌّ يحمي الآخرَ من كيدِ عدوِهِ.

فأتاه فتيان وهما سَيْفُ بنُ الحارِثِ بنُ سَريعٍ ومالكُ ابنُ عبدِ اللهِ بنُ سَريعٍ الجابريان ـ وهما أبناءُ عمٍّ وأخوان لأمٍ ـ واستأذنا منه في القتالِ بين يديه فأذن لهما الحسينُ عليه السلام وقاتلا قتالاً شديداً حتى قتلا . .

الحسين عليه السلام ينادي مستغيثاً:

ثم صاح الحسينُ عليه السلام : «أما من مغيثٍ يُغيثنا لوجهِ الله . . أما من ذابٌ يذبُ عن حرمِ رسولِ الله» فسمعته النساء والأطفال فتصارَخنَ. وسمِعَ سَعْدُ بنُ الحارثِ الأنصارِيُّ العَجْلانِيُّ وأخوه أبوُ الحُتُوفِ استِنْصارَ الحُسينِ واستغاثَتَهُ والصراخَ من عياله، وكانا معَ عُمرِ بن سَعدٍ فمالا بسيفيهما معَ الحسينِ، على أعدائه فجعلا يقاتلان حتى قَتَلا جماعةً وَجَرحا آخرين، ثم قُتِلا معاً.

عمر بن سعد يطالب بالمواجهة الشاملة:

وأخذَ أصحابُ الحسين بعد أن قلَّ عدَدُهم، وبان النقصُ فيهم يبرزُ الرجلُ بعد الرجل، فأكثرُوا القَتلَ في أهلِ الكوفة.

فصاح عَمْرُو بنُ الحَجّاجِ بأصحابه: «أتدرونَ من تقاتلون. . تقاتلونَ فرسانَ المِصْرِ، وأهلَ البصائِرِ، وقوماً مستمِيتينَ، لا يبرزُ إليهم أحدٌ منكم إلا قتلوه على قِلّتِهم، واللهِ لو لم ترموهم إلا بالحجارةِ لقتلتموهم».

فقال عُمرُ بن سعد: «صدقتَ. . الرأيُ ما رأيتَ، أرسِلْ في الناس من يعزمُ عليهم أن لا يبارِزَهُم رجلٌ منهم وحداناً، ولو خرجْتم إليهم وحداناً لأتَوا عليكم» ودنا عَمرُو بن الحجاج من اصحاب الحسين وقال: يا أهل الكوفة إلزمُوا طاعَتَكم وجماعتكم ولا ترتابُوا في قتل من مَرَقَ من الدين وخالفَ الإمام ـ ويقصد يزيد بن معاوية ـ فقال الحسينُ عليه السلام: «يابنَ الحجاج اعليَّ تُحرّضُ الناسَ؟ أنحن مَرَقْنا من الدين وانتم ثَبَتُّمْ عليه؟ واللهِ لَتَعْلَمَنَّ ايَّنا المارقُ من الدين ومن هو أولى بصلِيِّ النار».

مقتل مسلم بن عوسجة:

ثم حمل عَمرُو بن الحجاج على ميمنةِ الحسين عليه السلام فثَبَتُوا له، وَجَثَوْا على الركبِ، وأشرعُوا الرماحَ، فلم تَقْدِمِ

الخيلَ فلما ذهبتْ الخيلُ لترجع، رشقَهُم أصحابُ الحسين بالنَّبْلِ، فصرعُوا رجالاً وجرحُوا آخرين، فحملَ عمرُو بنُ الحجَّاجِ من نحوِ الفرات فاقتتلُوا ساعة، وفيها قاتلَ مُسْلمُ ابنُ عَوْسَجَةِ الأسَدِيُّ، فشدَّ عليهم مُسلمُ بنُ عبدِ اللهِ الضَّبَّابِيُّ وعبدُ اللهِ البجلي، وثارَ من شدةِ الجِلادِ غَبرةٌ شديدة وما انجلتِ الغبرةُ إلا ومسلمُ بن عوسجة صريع على الأرض، وبه رَمَقٌ من الحياة. فمشى إليه الحسينُ عليه السلام ومعه حَبيبُ بن مُظاهرٍ الأسديُّ. فقال له الحسين: «رَحِمَكَ اللهُ يا مُسلمُ، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾. ودنا منه حبيبٌ وقال: «عزَّ عليَّ مصرعُكَ يا مسلمُ، أَبْشِرْ بالجنة».

فقال له مسلمٌ بصوتٍ ضعيف: «بشَّركَ الله بخيرٍ».

ثم قال له حبيبٌ: «لولا أني أعلمُ أني في الأثرِ من ساعتي هذه لأحببتُ أنْ توصِيَني بكلِّ ما أهَمَّكَ».

فقال له مسلمٌ: «فإني أوصِيكَ بهذا ـ وأشارَ إلى الحسين عليه السلام ـ فقاتلْ دونَهُ حتى الموت».

فقال له حبيبٌ: «أفْعَلُ وربُّ الكعبة، وَلأَنْعمَنَّكَ عينا». ثم مات رضوان الله عليه.

يقول الشاعر:

نـصـرُوهُ أحـيـاءَ وعـنـدَ مـمـاتـهـمْ
يُوصي بنُصْرَتِهِ الشقيقُ شقيقا
أوصىٰ ابنُ عَوْسَجَةِ حَبيباً قالَ
قاتِلْ دونَهُ حتَّى الحِمامَ تَذُوقا

وصاحتْ جارية له: «يا سيداه، يابن عوسجتاه».

فنادى أصحابُ عُمرِ بن سعد مستبشرين: «قتلنا مسلمَ بنَ عَوسَجة»، فقال شبثُ بنُ ربعي لمن حوله: «ثَكَلَتْكُمْ أُمهاتُكم، أما إنكم تقتلونَ أنفسَكُمْ بأيديكم، وتُذِلُّونَ أنفسكم لِغيركم، أتفرحُونَ بقتلِ مُسلمِ بن عَوسجةَ؟.. أما والذي أسلمتُ له، لرُبَّ موقفٍ له في المسلمين كريمٍ، لقد رأيتُهُ يوم (آذربايجان) وقد قَتَلَ ستةً من المشركين قبل أن تلتئمَ خيولُ المسلمين».

الشمر يهاجم فسطاط الحسين عليه السلام:

وحمل الشمرُ في جماعةٍ من أصحابه حتى طعنَ فُسطاطَ الحُسينِ عليه السلام بالرمحِ وقال: «عليَّ بالنار لأُحرِقَ بيوتَ الظالمين على أهلها»!!، فتصايحتِ النساءُ وخرجنَ من الفسطاطِ، وناداه الحسينُ قائلاً: «يابن ذي الجَوْشَنِ أنت تدعُو بالنار لتُحرقَ بيتي على أهلي، أحرَقَكَ الله بالنار!».

وقال له شبث بن ربعي: «أَمُرْعِباً للنساءِ صِرْتَ؟.. والله ما رأيتُ مقالاً أسوأُ من مقالِكَ، ولا موقفاً أقبحُ من موقِفِكْ».

فحمل على جماعته زُهيرُ بن القَيْنِ في عَشَرَةٍ من أصحابه حتى كشفوهُمْ عن البُيوتِ، وقتلوا في ذلك الموقع أبا غَذْرَةَ الضِّبابيَّ من أصحابِ الشمر..

وتقدمَ من أصحابِ الحسين سُوَيْدُ بنُ عَمْرُو بنُ أبِي المُطَاعِ الخَثْعَميُ. وكان شريفاً كثيرَ الصلاةِ وجعلَ يرتجزُ ويقول:

أَقْدِمْ حسينُ اليومَ تلقى أحمدا
وَشَيْخَكَ الحَبْرَ علياً ذا النَّدَى
وَحَسَناً كالبدرِ وافى الأَسْعدا
وَعَمَّكَ القَرْمَ الهُمَامَ الأرشَدَا
حمزةَ ليثَ الله يُدعى أسدا
وذ الجناحينِ تَبَوَّا مَقْعَدا
في جنةِ الفِردَوْسِ يعلُو صُعَدا

فقاتلَ قتالَ الأسدِ الباسلِ، وبالغَ في الصبرِ على الخَطْبِ النازلِ، حتى سقطَ بين القتلى وقد أُثخِنَ بالجراحِ فظن العدوُ أنه قد مات، فلم يزلْ كذلك وليسَ بهِ حراكٌ حتى سمعهم يقولون: «قُتِلَ الحسينُ، فتحاملَ وأخرجَ سكيناً من خُفِّهِ وجعل يقاتلُ حتى قُتِلَ رضوانُ الله عليه. وهو آخرُ من قُتِلَ من أصحابِ الحسينِ في يومِ عاشوراء.

الاستعداد للصلاة:

والتفت أبو ثُمامَة الصَّائِدِيُّ الهَمَدانِيُّ إلى الشمسِ فرآها قد زالتْ، فقال للحسينِ عليه السلام: «نفسي لكَ الفداءُ،

إني أرى هؤلاءِ قد اقتربُوا منكَ، لا والله لا تُقتَل حتى أُقتَلَ دونكَ، وأُحبُّ أن ألقىٰ الله وقد صَلَّيْتُ هذهِ الصلاةَ التي دنا وَقْتُها».

فرفَعَ الحسينُ رأسَهُ إلى السماء وقال: «ذكرتَ الصلاة، جعلكَ الله من المصلين الذاكرين، نَعَمْ هذا أولُ وقتها، سلُوهم أن يكفُّوا عنا حتى نُصلي» فقال أصحاب الحسين لأصحابِ عُمرِ بنِ سَعدٍ: «كفُّوا عن القتالِ حتى نصلّي لربِّنا».

فقال الحُصَيْنُ بنُ عَمْيرٍ من أصحابِ عُمرِ بن سَعدٍ: «إنها لا تُقبَلُ منكم».

فقال حَبيبُ بنُ مُظاهرٍ: «زعمتَ أنها لا تقبلُ من آلِ الرسول، وتُقبلُ منكَ يا خمّارُ؟».

فحمل عليه الحُصينُ فضربَ حبيبُ وجهَ فرسِهِ بالسيفِ، فشبَّتْ به ووقَعَ عنها واستنقذهُ أصحابُهُ فحملُوه.

مقتل حبيب بن مظاهر الأسدي:

وقاتلهم حبيبُ قتالاً شديداً، فقتَلَ على كِبَرِ سنّه اثنين

وستين رجلاً وحمَلَ عليهِ بَديلُ بنُ صَرِيم فضربَهُ بسيفهِ، وطعنَهُ آخرُ من تميم برمحِهِ فسقطَ حبيبُ على الأرض، فذهبَ ليقومَ وإذا «الحُصينُ» يضربهُ بالسيفِ على رأسهِ فسقطَ لوجهِهِ، ونزلَ إليهِ التَمِيمِيُ واحتزَ رأسَهُ فهدَّ مقتلُهُ الحسينَ فقال: «عندَ اللهِ أحتسبُ نفسِي، وحماةَ أصحابي» ثم أخذَ يكرّر: «إنا للهِ وإنا إليهِ راجعون».

إقامة الصلاة ومقتل سعيد بن عبد الله الحنفي:

وقام الحسين عليه السلام إلى الصلاة فصلَّى بمن بَقِيَ من أصحابِه، صلاة الخوفِ وتقدمَ أَمامهُ زُهيرُ بنُ القَيْنِ وسَعِيدُ ابنُ عَبدِ الله الحَنَفِيُّ يقيانِهِ السِّهام.

وكان كلما سدّد العدوُ سهماً إلى الحسين يقيه سعيدُ ابنُ عبدِ الله بصدرِهِ، ووجهِهِ، ولما أُثخِنَ بالجِراحِ سقطَ على الأرض وهو يقول: «اللَّهم ٱلعَنْهُمْ لعنَ عادٍ وثمودٍ، وأبلِغْ نبيكَ مني السلامَ، وأبلغهُ ما لقِيتُ من ألمِ الجراحِ فإني أردتُ بذلكَ ثوابَكَ في نُصرةِ ذريةِ نبيكَ صلَّى الله عليه وآله وسلم».. وقبل أن يلفظ أنفاسَهُ الأخيرةَ التفت إلى

الحسين قائلاً: «أَوَفَيْتُ يا بن رسولِ الله؟ فقالَ لهُ الحُسينُ عليه السلام: نعم أنتَ أمامي في الجنة». وقضى نحبَهُ، فوُجِدَ فيه ثلاثةَ عشرَ سهماً غيرَ الضربِ والطعنِ.

ولما فَرَغَ الحسينُ عليه السلام من الصلاةِ قال لأصحابه: «يا كرامُ هذه الجنةُ قد فُتِحَتْ أبوابُها، واتصلتْ أنهارُها، وأينَعَتْ ثِمارُها، وهذا رسولُ اللهِ والشهداءُ الذين قُتِلُوا في سبيلِ الله يتوقَّعُونَ قدُومَكُم، ويتباشرُونَ بكمْ، فحامُوا عن دينِ الله ودينِ نبيِّهِ وذُبُّوا عن حرمِ الرسولِ».

فقالوا: «نفوسُنا لنفسِكَ الفداءُ، ودماؤُنا لدمِكَ الوقاءُ، فوالله لا يصلُ إليكَ وإلى حرمِكَ سوءٌ وفينا عِرْقٌ يَضرِب».

ثم إن عُمرَ بنَ سعدٍ وجه «عمروُ بنُ سَعيدٍ» في جماعةٍ من الرماةِ فرمَوْا أصحابَ الحسينِ وعقرُوا خيولهم، واشتدَ القتالُ بين الجانبين، فكانَ الرجلُ والرجلانِ يخرجان من مخيمِ الحسينِ وكان كلُّ من أرادَ الخروجَ ودَّعَ الحسينَ بقوله: «السلامُ عليكَ يابنَ رسولِ الله». فيجيبُهُ

الحسينُ: «وعليكَ السلامُ ونحنُ خلفُكَ» ثم يقرأُ قولَهُ تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾.

مقتل سلمان والحجاج:

وخرج «سَلْمانُ بن مضاربِ البجلي» وكان ابنَ عمِّ زهيرِ بنِ القين فقاتلَ حتى قُتِل.

وخرج بعده الحجَّاج بنُ مسرُوقِ الجعفيُّ وهو مؤذِّنُ الحسينعليه السلام فوضع يده على منكبِ الحسين، وقال مستأذناً:

أقدم هُديت هادياً مهدياً
فاليومَ ألقى جَدَّك النبيّا
ثم أباكَ ذا الندى عليّا
ذاكَ الذي نعرفُهُ الوصيّا
والحسنَ الخيرَ الرضيَّ الوليّا
وذا الجناحينِ الفتى الكَمِيَّا
وأسدَ الله الشهيدَ الحيَّا

فقال الحسينُ: «وأنا ألقاهُمُ على أثَرِك»، فهجمَ على

العدوِ وقاتلَ حتى قُتِلَ رحمه الله . .

مقتل زهير بن القين:

ثم خرجَ زُهير بنُ القين وهو يرتجزُ ويقول:

أنـا زهـيـرُ وأنـا ابـنُ الـقـيـن
أذودُكُـمْ بـالـسـيـفِ عـن حُـسـيـنِ
إن حُـسـيـنـاً أحـدُ الـسـبـطـيـنِ
مـن عـتـرةِ الـبَـرِّ الـتـقـيِّ الـزيـنِ
ذاكَ رسـولُ اللهِ غـيـرُ الـمَـيْـنِ
أضـرِبُـكُـمْ ولا أرَىَ مـن شَـيْـنِ
يا ليتَ نفسِي قُسِمَتْ قِسمَيْنِ

فقاتلَ قتالاً شديداً، حتى قَتَلَ على روايةٍ مائة وعشرين رجلاً، فشدَ عليه كثيرُ بنُ عبدِ الله التَّمِيميُّ ومُهْاجِرُ بنُ أَوْسِ التَّمِيميُّ فقتلاه.

فقال الحسين عليه السلام حينَ بلغَهُ مصرعَهُ: «لا يبعدنَّكَ الله يا زهير، ولعنَ قاتليكَ لعنَ الذين مُسِخُوا قِردةً وخنازير».

مقتل عابس بن شبيب وشوذب:

وأقبل عابِسُ بنُ أبي شَبيبِ الشَّاكِرِيُّ، ومعهُ شَوْذَبٌ مَولى بني شاكرٍ، فقال عابسُ: «يا شوذب ما في نفسك أن تصنَعْ؟».

قال: «ما أصنعُ؟ أقاتلُ معكَ دونَ ابنِ بنتِ رسولِ الله ﷺ حتى أُقتل».

قال له عابس: «ذاكَ الظنُّ بكَ، فتقدَّمْ بينَ يدي أبي عبد الله حتى يَحْتَسِبَكَ كما احتسَبَ غيرَكَ، وحتى احتَسِبُكَ أنا، فإن هذا يومٌ ينبغي لنا أن نطلبَ فيهِ الأجرَ بكلِ ما نقدرُ عليه فإنه لا عملَ بعدَ اليوم وإنما هوَ الحسابُ».

فتقدم شوذب إلى الحسين عليه السلام فقال: «السلامُ عليكَ يا أبا عبدِ الله ورحمةُ الله وبركاته، استودِعُكَ الله» ثم قاتلَ حتى قُتِل.

وتقدم عابِسٌ فقال للحسين عليه السلام: «يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على وجهِ الأرضِ قريبٌ ولا بعيدٌ أعزّ عليَّ، ولا أحبُّ إليَّ منكَ ولو قدرْتُ أن أدفعَ عنكَ الضيمَ أو

القتلَ بشيءٍ أعزُّ من نفسي ودمِي لفعلتُ» وأضاف: «السلامُ عليكَ يا أبا عبد الله، أُشهِدُ الله على أني على هُداكَ وهدىٰ أبيكَ»..

ثم مضى بالسيف مُصْلَتاً نحوهمْ، وبه ضَربةٌ على جبينه، قال رَبيعُ بنُ تَميم الحارثي ـ وكانَ من خيلِ ابنِ سعد ـ: «فلمّا رأيتُهُ مُقبِلاً عرفتُهُ، وقد كنتُ شاهدتُهُ في المغازي وكانَ أشجعَ الناسِ فقلتُ: أيها الناسُ هذا أسدُ الأسودِ، هذا ابنُ أبي شبيبٍ القوي فلا يخرُجَنَّ إليه أحدٌ منكم، بل ارمُوهُ بالحجارة».

فجعلَ عابسٌ ينادي: «ألا رَجُلٌ؟... ألا رَجُلٌ..»، فامتنعَ الناسُ عن منازلتِهِ فَرَقاً منهُ، فقال لهم ابن سعد: «أرضَخُوهُ بالحجارةِ فَرَمَوْهُ بالحجارةِ من كلِ جانبٍ فلما رأىَ ذلك، ألقىٰ درعَهُ ومِغْفَرُهُ، وشدَّ على الناسِ، فقالَ لهُ أحدُ أصحابِهِ: «أجُنِنْتَ يا عابسُ؟»».

فقال: «نعم، إن حبَّ الحسينِ هو الذي أجَنَّني». ثم حملَ على الأعداءِ فانهزمُوا من أمامِهِ.

قال الراوي: «فوالله لقَد رأيتُهُ يطردُ أكثرَ من مائتين من الناسِ، ثم أحاطُوا بهِ من كلِ جانبٍ فقتلوهُ، فرأيتُ رأسَهُ في أيدي رجالٍ ذوي عدة، كلٌ يقولُ أنا قتلتُهُ، فقال ابنُ سعدٍ: «لا تختَصِمُوا فإن هذا لم يقتلهُ شخصٌ واحد» ففرَّقَ بينهم بهذا القول.

مقتل اسلم غلام الحسين عليه السلام:

وخرج غلام كان للحسين عليه السلام اسمه «أسْلَمْ» وكان تُركياً وقارئاً للقرآنِ، فجعلَ يقاتلُ وهو يرتجزُ ويقول:

البحرُ من طَعْنِي وضَربِي يَصْطَلِي
والجوُّ من سَهْمِي وَنَبْلِي يَمْتَلِي
إذا حُسَامِي في يميني يَنْجَلِي
ينشَقُّ قلبُ الحاسدِ المُبَجَّلِ

فقتلَ جماعةً من الأعداءِ ثم سقطَ صريعاً، فجاءَ إليه الحسينُ عليه السلام فبكىٰ عليه ووضعَ خدَّهُ على خدِّه، ففتح أسلمُ عينيه فرأى الحسينَ عليه السلام وهو يفعلُ ذلك فتبسَّمَ وفاضَتْ رُوحُه إلى الجنة.

مقتل واضح التركي:

وخرجَ واضِحٌ التركيُ مولى الحارثِ، وقاتلَ حتى إذا صُرع استغاث بالحسينِ عليه السلام فأتاهُ أبو عبد الله واعتنقَهُ، فقال الغلامُ: «من مثلي وابنُ رسول الله واضعٌ خدَّه على خدي! .» ثم فاضتْ نفسُهُ الطاهرة إلى بارئها.

مقتل بُرير بن خضير:

وخرج بُرَيْرُ بنُ خضيرِ الهَمَدانِي وكان شيخاً تابعياً، زاهداً عابداً وكان اقرأَ أهلِ زمانه، ويسمى بسيّد القُرّاءِ وكان يرتجز ويقول:

أنــا بُــريــرٌ وأبــي خُــضــيــرُ
لا خَـيْـرَ فـيـمـنْ ليسَ فـيـه خـيْـرُ

وجعلَ يحملُ على القومِ وهو يقول: «اقترِبُوا منّي يا قَتَلَةَ المؤمنين، اقتربوا مني يا قَتَلَةَ أولادِ البدريّين، اقتربوا مني يا قَتَلَةِ أولادِ رسولِ ربِّ العالمين وذرِّيتهِ الباقين».

فخرج إليه يَزِيدُ بنُ مَعْقِلٍ ونادى: «يا بريرُ كيفَ ترى صُنعَ اللهِ بك؟».

فقال: «صَنَعَ الله بي خيراً، وَصَنَعَ بكَ شراً».

فقال يزيدُ: «كذبتَ وقبلَ اليوم ما كنتَ كذاباً، هل تذكرُ يومَ كنتُ أماشيكَ في بني لواذِنْ، وأنتَ تقولُ: كانَ عثمانُ على نفسِهِ مُسرفاً، وإن معاويةَ ضالٌ مُضلٌ، وان إمامَ الهدى والحقِّ عليُّ بن أبي طالبِ».

فقال له برير: أشهد أنَّ هذا رأيي، وقولي».

فقال يزيد: «أشهدُ أنكَ من الضالين».

فقال له برير: «هلُمَ أُبَاهِلُكَ ولندعُ الله أن يلعنَ الكاذبَ منا، وأن يقتلَ المحقُّ منا المبطلَ».

فتباهلا ثم تبارزا فاختلفا ضربتين، فضربَ يزيدُ بُرَيْراً ضربةً خفيفةً ولم يضرهُ شيئاً، وضربَهُ بريرُ ضربة قَدَّتْ المِغْفَرَ ووصلتْ إلى دماغهِ فسقطَ والسيفُ في رأسهِ، فحملَ عليه شخص يقال له رضى بن منقذ العَبْدِيُّ فاعتنقَ بُريراً واعتركا ساعة، ثم إن بُريراً رمى به الأرض، وقعدَ على صدره فاستغاث الرجلُ بأصحابهِ، فحملَ كَعْبُ بنُ جابرِ الأَزْدِيُّ على بُرير وطعنهُ بالرمحِ في ظهرهِ، فنزل بريرُ

عن ابن منقذ بعذ أن عضّ أنفه فقطعَهُ فصاحَ عفيفُ بن زُهير بن أبي الأخْنَسِ: «هذا بريرُ بن خضير، القارىءُ الذي كان يقرئنا القرآنَ في جامعِ الكوفة» فلم يلتفتْ إليه وضربهُ بسيفِهِ حتى قتلَهُ رضوانُ اللهِ عليه.

فلما رجعَ كعبُ بنُ جابر قالت له امرأتُهُ واسمها «النوّار»: «أعنتَ على ابنِ فاطمةٍ، وقتلتَ سَيِّدَ القراءِ؟. لقد أتيتَ عظيماً من الأمرِ، والله لا أُكلمكَ من رأسي كلمةً أبداً».

مقتل وهب بن حباب:

ثم برزَ «وَهَبُ بنُ حبابِ الكَلْبِيُّ» وكان نصرانياً قد أسلم على يد الحسينِ عليه السلام وكانت معهُ امّه، وزوجتهُ.

فقالت له أمّه: «قمْ يا بُنّي فانصرْ ابنَ بنتِ رسولِ الله».

فقال: «أَفعل يا أُمّاه..

فبرز وهو يقول:

ان تَنكُرُوني فأنا ابنُ الكَلْبي

سوفَ ترُوني وترونَ ضَرْبي

وحَمْلَتي وَصَوْلَتي في الحربِ

أُدرِكُ ثاري بعدَ ثارِ صَحْبِي

وأدفعُ الكربَ وراءَ الكربِ

ليسَ جهادي في الوغى باللعبِ

ولم يزلْ يقاتلُ حتى قَتَلَ جماعة من الأعداء، ثم رجعَ إلى زوجته وأُمّه وقال: «أرضيتِ عنيّ يا أمّاه؟».

فقالت: «ما رضيتُ حتى تُقتلَ بين يدي الحسين عليه السلام» فتعلقتْ به زوجتُهُ وهي تقول: «باللهِ عليك لا تفجعني بنفسِك»

فقالت له أُمّه: «يا بني، اعزُبْ عن قولها، وارجعْ فقاتل بين يدي ابنِ بِنتِ نبيّك لتنالَ شفاعة جَدّهِ يومَ القيامة».

فرجعَ وهبٌ إلى الميدان وهو يرتجزُ قائلاً:

إنّي زعيمٌ لكِ أمَّ وهبِ

بالطعنِ فيهم تارةً والضَرْبِ

ضـربَ غـلامٍ مـؤمـنٍ بـالـرب

حـتـى يـذيـق الـقـومَ مـرَّ الحـربِ

إنـي امـرؤ ذو مـرّةٍ وعـصـبِ

ولـسـتُ بـالخـوّارِ عـنـدَ الـنـكـبِ

وبينما هو كذلك إذ رأى زوجتَهُ قد حملتْ عموداً، وهي تقول: فداكَ أبي وأُمي يا وهبْ، قاتلْ دونَ الطيبين، حُرم رسول الله».

فقال لها: الآن كنتِ تَنْهَيِنَني عن القتالِ، والآن جئتِ تقاتلين معي؟».

قالت: «يا وهب، لا تَلُمنِي إنَّ واعيةَ الحسين عليه السلام كَسَرتْ قلبي».

فقال لها: «ما الذي سمعتِ منه؟».

قالت: «يا وَهَبْ، رأيتُهُ واقفاً ببابِ الخيمة وهو يقول: وا قلةَ ناصراه»

فبكى وهب، وقال لها: «إرجعي إلى الخيمة رَحِمَكِ الله».

فأبت أن ترجعَ وقالت: «لنْ أعودَ، أو أموتَ دونك».

فصاح وهب: «أبا عبد الله رُدّها إلى الخيمة»

فقال لها الحسينُ عليه السلام: «جُزيتم من أهل بيت خيراً إرجِعي إلى النساء رحمكِ الله، فإنه ليسَ على النساءِ قتالٌ»

فانصرفت عنه، بينما رجع هو إلى الأعداء، وجعلَ يقاتلُ حتى اجتمع عليه القومُ، وقطَّعُوا يديه، وأرْدَوْهُ قتيلاً وحزّوا رأسه ورمَوْهُ إلى مخيمِ الحسين، وكانت امّه تنتظرُ ببابِ الخيمة، فأخذتْ رأسه قائلة: «هنيئاً لك الجنة، اسألُ الله الذي رزقَكَ الجنة، أن يَصحبني معك».

ثم شدت على الأعداء وهي تحملُ عمودَ الفُسطاطِ، فقتلت رجلين ممن قتلَ ولدها، فأعادها الحسينُ إلى المخيم، قائلاً لها: «إرجعي يا أُمَّ وهبٍ، فأنتِ وابنكِ مع رسولِ الله، فإن الجهاد مرفوعٌ عن النساء».

فرجعت وهي تقول: «إلهي لا تقطعْ رجائي»

فقال لها الحسينُ عليه السلام: «لا يقطعُ اللهُ رجاكِ يا أم

وهب» أمّا زوجتُهُ فقد مشتْ إلى جثمانه وجلست إليه قائلةً: «هنيئاً لك يا عزيزَ فؤادي، اسألُ الله الذي رزقكَ الجنة أن يصحبني معك» فقالَ الشمر لغلامِهِ «رُسْتُم» إضْرب رأسها بالعمود فضربها فماتتْ في مكانها، وهي أول امرأة قُتِلتْ من اصحاب الحسين يوم عاشوراء.

مقتل عمرو بن جنادة:

وكانَ معَ الحسينِ شابٌ قُتِلَ أبوهُ في المعركة واسمُهُ عَمْرُو بنُ جَنْادَةَ الأنصْارِيّ وعمرُهُ إحدى عشرة سنة. وكانتْ أُمُّهُ معهُ، فقالتْ له أُمّهُ: «أُخرج يا بُنيَّ وقاتلْ بين يدي ابنِ رسول الله» فخرجَ من الخيمةِ، فقالَ الحسينُ عليه السلام: «هذا شابٌ قُتلَ أبوهُ في المعركةِ، ولعلَ أُمّهُ تكرهُ خروجَهُ من الخيمةِ».

فقال الشابُ: «يا أبا عبدِ الله إن أمي هي التي أمرتني بذلكَ وألبَستني لامَةَ حربي، فَأْذَنْ لي يابنَ رسولِ الله حتى أُرزقَ الشهادةَ بين يديكَ» فجزاهُ الحسينُ خيراً وأذِنَ له فبرزَ وهو يقول:

أميري حُسَيْنٌ ونِعمَ الأميرُ
سُرورُ فؤادِ البشيرِ النذيرِ
عليٌّ وفاطمةٌ والداهُ
فهلْ تعلمونَ له من نظيرِ؟
لهُ طَلعةٌ مثلُ شمسِ الضُحى
له غُرةٌ مثلُ بدرٍ منيرِ

فقاتلَ قتالَ الأبطالِ، فأحاطَ به الأعداءُ من كل جانبٍ، وَأَرْدَوْهُ قتيلاً فَاْحتَزُوا رأسَهُ، وَرَمَوْا به نحوَ الخيامِ، فسعتْ أمُهُ إلى رأسِهِ، فأخذتهُ ومسحتِ الدمَ والترابَ عنه وقالت: «أحسنتَ يا بُني يا سرورَ قلبي، ويا قرةَ عيني،» . . ثم رمتْ برأسِهِ رجلاً من الأعداءِ كان قريباً منها فقتلته، وأخذت عمود خيمة وحملت عليهم وهي تقول:

أنا عجوزٌ سَيّدي ضَعِيفةْ
خاويةٌ باليةٌ نحيفةْ
أضرِبُكُم بضربةٍ عنيفةْ
دونَ بني فاطمةِ الشَّريفةْ

فأمرَ الحسينُ بصرفِها ودعا لها.

مقتل عمرو بن خالد الصيداوي:

وبرزَ عمرُو بنُ خالدِ الصَّيْداوِيُّ فقال للحسين عليه السلام: «يا أبا عبد الله قدْ هَمَمْتُ أن ألحقَ بأصحابي، وكرهتُ أن أتخلفَ وأراكَ وحيداً من أهلكِ قتيلاً».

فقالَ لهُ الحسين عليه السلام: «تقدم فإنا لاحقونَ بكَ عن ساعةٍ» فتقدمَ فقاتلَ حتى قُتِل.

مقتل حنظلة الشبامي:

وجاءَ حَنظَلَةُ بنُ أسعدِ الشِّبْامِيُّ فوقفَ بين يدي الحسين عليه السلام يقيه السهامَ والرماحَ والسيوف بوجههِ ونحرهِ.

ويـردُّ صـدرَ الـسَّـمـهـرِيِّ بـصـدرهِ
مـاذا يـؤثـر ذابـلٌ فـي ذابـلِ
وكـأنَّـهُ والـمـشـرفـيُّ بـكـفِّـهِ
بـحـرٌ يـكـرُ عـلى الـكـمـاةِ بـجـدولِ

وأخذ ينادي: «يا قومِ.. إني أخافُ عليكم مثلَ يوم الأحزاب، مثلَ دأبِ قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودٍ والذين من بعدهم، وما الله يريدُ ظلماً للعبادِ، يا قومِ إني أخافُ عليكم يوم التَّنَاد، يومَ تَولُّونَ مدبرين ما لكُمْ من الله من عاصمٍ، يا قومِ لا تقتلُوا حُسيناً فيعُمَّكم الله بعذابٍ وقد خابَ من افترى».

فقال له الحسينُ عليه السلام: «يابن سعد، رحمكَ الله، إنهم قد استوجبُوا العذابَ حينَ ردُّوا عليك ما دعوتَهُمْ إليه من الحقّ، ونهضُوا إليك يشتمونكَ وأصحابَكَ، فكيفَ بهم الآن وقد قتلُوا إخوانَكَ الصالحين».

قال: «صدقتَ جعلتُ فداك، أفلا نروحُ إلى ربنا ونلحقُ بإخواننا».

فقال له الحسينُ عليه السلام: «بلى، رُحْ إلى ما هوَ خيرٌ من الدنيا وما فيها وإلى ملكٍ لا يَبْلَىٰ».

فقال: «السلامُ عليكَ يا بنَ رسولِ الله صلّى الله عليكَ وعلى أهلِ بيتكَ، وجَمَعَ بيننا وبينكَ في الجنة».

فقال الحسين عليه السلام «آمين.. آمين» وتقدّمَ فقاتلَ قتالاً شديداً، فحملُوا عليه فقتلُوه رضوانُ الله عليه.

مقتل الغفاريان:

وجاءَ إلى الحسينِ الغَفْاريّانُ: عَبْدُ اللهِ وعَبْدُ الرحمنِ ابنا عزرة الغفاري فقالا له: «يا أبا عبدِ الله، السلامُ عليكَ، لقَدْ جئنا لنُقتلَ بين يديك ونُدافعَ عنك».

فقال الحسين عليه السلام: «مرحباً بكُما، أُدنُوا منّي» فَدَنَوا منهُ وهما يبكيانِ، فقالَ لهما الإمام: «يا بَني أخي ما يبكيكما؟ فواللهِ إني لأرجو أن تكونا بعد ساعةٍ قريري العين».

فقالا: «والله ما على أنفُسِنَا نَبكي، ولكنْ نبكي عليك حيثُ نراك قد أُحِيطَ بكَ، ولا نقدرُ على أن نَنفَعكَ».

فقال الحسين عليه السلام: «جزاكُما اللهُ يا بَني أخي بوجدكما من ذلك ومواساتِكما إياي بأنفسكما أحسنَ جزاءِ المتقين» فودَّعا الإمام.. وقاتلا حتّى قُتلا رحمهما الله.

مقتل نافع بن هلال:

وخرج نَافِعُ بنُ هِلالِ الجَمَلِيُّ فقاتلَ قتالاً شديداً، وكانَ يرمي القومَ بنبالٍ مسمومةٍ كتبَ إسمَهُ عليها وهو يقول:

أرمي بها مُعْلَمةً أفواقُها
والنفسُ لا ينفعُك إشفاقُها
مَسمومةً تجري بها أخفاقُها
ليملأَنَّ أرضَها رُشَاقُها

ولم يزلْ يرميهم حتى فَنِيَتْ سهامُهُ، ثم ضربَ يدَهُ إلى سيفهِ فاستلَّهُ وجعلَ يقول:

أنا الغلامُ اليَمني الجَمليْ
ديني على دينِ حسينٍ وعليْ
إن أُقتلُ اليومَ فهذا أَمَلِي
فذاك رَأيي وأُلاقي عَمَلِي

فقتلَ اثنى عشر رجلاً سوى من جُرحَ منهم، فأحاطُوا به يرمونَهُ بالحجارةِ والنِّصالِ حتى كَسرُوا عَضُدَيهِ وأخذُوه

أسيراً فأمسكهُ «شمرُ» وأتى به إلى ابنِ سعدٍ فقال له ابن سعد: «ويحكَ! يا نافع ما حملكَ على ما صنعتَ بنفسك؟».

فقال: «إن ربِّي يعلمُ ما أردتُ..» وكانت الدماءُ تسيلُ على وجههِ ولحيتِهِ.

فقال له رجلٌ وقد نظرَ إلى دماه: أما ترى ما بك؟

فقال نافع: «لقد قتلتُ منكم اثني عشر رجلاً، سوى من جرحتُ وما ألومُ نفسي على الجهد، ولو بقيتْ لي عَضُدٌ وساعدٌ ما أسرتُموُني».

فسلّ شمرٌ سيفه ليقتلُهُ، فقال له نافع: «والله لو كنتَ من المسلمين لعظمَ عليك أن تلقى الله بدمائِنا، فالحمدُ لله الذي جعلَ منايانا على يدي شرارِ خلقه»، ثم قدمه الشمر وضرب عُنُقه.

مقتل جَوْن:

وبرزَ جَوْنٌ مولى أبي ذرِ الغَفْاري، وكان اسودَ

اللون، كبيراً في العمر، فقال لهُ الحسينُ عليه السلام: «أنت في إذن مني، فإنما تَبعتنا للعافية، فلا تَبْتَلَّ بطريقتنا».

فقال: «يا بن رسولِ الله أنا في الرخاءِ ألحَسُ قُصاعَكُم، وفي الشدة أخذُلُكم!؟ والله إن ريحي لَنَتِنٌ! وإن حسبي للئيمٌ! وإن لوني لأسودُ! فتنفَّسْ عليَّ بالجنة فيطيبُ ريحي، ويشرُفُ حسبي! ويبيّضُ وجهي!» وأضاف: «لا والله لا أُفارقُكُم حتى يختلطَ هذا الدمُ الأسودُ مع دمائكم» فأذِنَ له الحسينُ، فخرجَ وهو يقول:

كيفَ تَرَىٰ الكُفّارُ ضَرَبَ الأَسْوَدِ

بالسَّيْفِ ضرباً عن بني محمدِ

أذبُّ عنهم باللِّسانِ واليدِ

أرجُو به الجنةُ يومَ المَوْرِدِ

ثم قاتلَ حتى قُتِلَ، فوقفَ الحسينُ عليه السلام على جثمانِه فقال: «اللَّهُمَّ بَيِّض وجهه! وطيّب ريحه! واحشُرهُ مَعَ الأبرار، وَعَرِّف بينه وبين آلِ محمدٍ صلى الله عليه وآله».

مقتل الصحابي انسُ بن الحارث:

وكان أَنَسُ بنُ الحارثِ الكَاهِليُّ شيخاً كبيراً صحابياً رأى النبيَّ وسمِعَ حديثَهُ وَشَهِدَ معه بدراً وحُنيناً، فاستأْذَنَ الحسينَ عليه السلام وبرزَ شاداً وَسَطَهُ بالعمامةِ رافعاً حاجبيهِ بالعِصابةِ، ولما نظرَ إليه الحُسينُ بهذه الهيئةِ بكى وقال: «شَكَرَ الله لكَ يا شيخُ» فقتلَ على كِبَرِهِ ثمانيةَ عشر رجلاً ثم قتل رضوانُ الله عليه.

مقتل مجموعة من الأصحاب:

وهكذا كان يأتي الرجلُ بعدَ الرجلِ إلى الحسين عليه السلام يستأْذِنُهُ ويذهبُ للقتال، وكانَ كلُّ واحدٍ منهم يهرولُ إلى الموتِ وكأنه يذهبُ إلى العرس، لما كانوا عليه من اليقينِ والإيمانِ الصادقِ، فقد خرج سَعْدُ بن حَنْظَلةِ التَّمِيميُّ وهو يقول:

صَبراً على الأسيافِ والأَسِنَّةْ

صَبراً عليها لدخُولِ الجنَّةْ

وَحُورٍ عَينٍ نَاعِماتٍ هنّة

لمن يُريدُ الفوزَ لا بالظِنّة

يا نفسُ للراحةِ فاجهدنَّهْ

وفي طِلابِ الخَيْرِ فارغبنَّهْ

فقاتلَ حتى قُتِل رضوان الله عليه . . .

مقتل رجل آخر من أصحاب الحسين عليه السلام:

وخرجَ رجل آخر من أصحاب الحسين وهو يقول:

أقسمتُ باللهِ العليِّ الأعظمِ

وبالحُجونِ صادقاً وزمزمِ

وبالحَطِيم والفنا المحرَّمِ

ليُخضَبَنَّ اليومَ جِسمي بدمِي

دونَ الحسينِ ذي الفَخَارِ الأقدَمِ

إمامِ أهلِ الفضلِ والتَّكَرُّمِ

فقاتل حتى قتل رحمه الله . . .

مقتل عبد الرحمن اليزني:

وخرجَ عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الله اليزْنيُّ وهو يقول:

أنـا ابـنُ عـبـدِ اللهِ مـن آلِ يَـزَنْ
ديـنـي عـلى دِيـنِ حُـسـيـنٍ وَحَـسَـنْ
أضـربـكُـمْ ضـربَ فـتًى من الـيـمـنْ
أرجُـو بـذلـك الـفـوزَ عـنـدَ المؤتَـمَـنْ

مقتل عمرو بن خالد الأزدي وولده:

وخرجَ والدٌ مع ولدِهِ وهما قَحْطَانِيّانِ، فسارعَ الوالدُ واسمُهُ عمرو بن خالدِ الأَزْدِي وهو يقول:

الـيـومَ يـا نـفـسُ إلـى الـرحـمـنِ
تمْـضِـيـنَ بـالـرَّوْحِ وبـالـرَّيْحَـانِ
الـيـومَ تُـجْـزَيْـنَ عـلـى الإحـسـانِ
مـا كـانَ مـنـكِ غـابـرَ الـزَّمـانِ
مـا خُـطَّ بـالـلـوحِ لـدى الـدَّيَّـانِ
فـالـيومَ زالَ ذاكَ بـالـغُـفـرانِ
لا تَـجْـزَعِـي فـكُـلُّ حـيٍّ فـانـي
والـصـبـرُ أحـظَـى لـكِ بـالأمـانِ

وقاتلَ حتى قُتلَ، فخرجَ ولده خالد بن عَمْرو وهو

يرتجزُ ويقول:

صَبراً على الموتِ بني قحطانِ

كيما نكونُ في رِضا الرحمنِ

ذِي المجدِ والعزَّةِ والبُرهانِ

وذي العُلا والطَّوْلِ والإحسانِ

يا أَبَتا قد صِرْتُ في الجِنانِ

في قصرِ درٍّ حَسنِ البُنيانِ

وقاتلَ حتى قُتل رحمه الله والتحقَ بأبيه.

منازلة علي الأكبر:

وهكذا قُتلَ كلُ من كانَ مع الحسين عليه السلام من أصحابِهِ، ولم يبقَ معهُ إلا أهلُ بيتِهِ، وهم أبناءُ عليٍّ عليه السلام، وولدُ جعفرٍ، وعقيلٍ عليه السلام والحسنِ عليه السلام، والحسين عليه السلام، فاجتمعُوا يودِّعُ بعضُهم بعضاً وعزمُوا على الحربِ ببأسٍ شديدٍ ونفوسٍ أبيّةٍ وثباتٍ على المواقفِ وكانوا سبعةَ عشرَ رجلاً وقيلَ أكثرُ من ذلك.

وأولُ من تقدَّمَ للحربِ هو عليُّ بنُ الحسين

الأكبر ﷺ وأمهُ لَيلَىٰ بنتُ أبي مُرَّةَ بنِ عُروَةَ بن مُسْعُودِ الثَّقَفِيَّة، وكانَ من أَصْبَحِ الناس وجهاً، وأحسنِهم خُلقاً، وكان عمرُهُ ثمانيَ عشرةَ سنة ـ وقيل خمساً وعشرين ـ وكان الشعراءُ يقصدونه حيث قال بعضهم فيه:

لَـمْ تَـر عـيـنٌ نَـظَـرَتْ مـثـلَـهُ
مـن محـتـفٍ يـمـشـي ومـن نـاعـلِ

أعني ابنَ ليلى ذا السَدى والنَدى
أعـنـي ابـن بـنـتِ الحسَب الفـاضِـلِ

لا يُـؤثِـرُ الـدُّنـيـا عـلـى دِيـنِـه
ولا يـبـيـعُ الحـقَّ بـالـبـاطـلِ

ولما استأذنَ عليٌّ الأكبر أباهُ في القتال نظرَ إليه نظرةَ آيسٍ منه وأرخى عينيهِ فبكى ثم رفعَ سبابتيه نحوَ السماء وقال: «اللهم اشهدْ على هؤلاءِ القومِ فقد بَرَزَ إليهم غلامٌ أشبهُ الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيِّكَ نظرنا إليهِ، اللّهم امنَعْهُمْ بركاتِ الأرض، وفرِّقْهُم تفريقاً، ومزِّقهم تمزيقاً، واجعلهُم طرائقَ قِدداً،

ولا تُرضِ الوُلاةَ عنهمْ أبداً، فإنهم دَعَوْنا لينصرُونا ثم عَدَوْا علينا يُقاتِلوننا».

ثم رفعَ صوتَهُ وتلا قولَهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

صاحَ عليه السلام يابنَ سعد: «قطعَ الله رحمَكَ، ولا باركَ لكَ في أمرِكَ، وسلَّطَ عليكَ من يذبَحُكَ بعدي على فراشِكَ، كما قطَعتَ رحمي، ولم تحفظْ قرابتي من رسولِ الله صلى الله عليه وآله».

ثم إن عليُّ الأكبر دخلَ الميدانَ فشدَّ على الأعداء وهو يقول:

أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنُ عليْ
نحن - وبيتُ اللهِ - أولى بالنبيْ
تالله لا يحكُمُ فينا ابنُ الدعي
أضربُ بالسيفِ أحامي عن أبيْ
ضربَ غُلامٍ هاشميٍّ علوي

مقتل علي الأكبر عليه السلام:

فلم يزل يقاتل حتى ضج الأعداءُ من كثرةِ من قتلَ منهم، ثم رجعَ إلى أبيه يستريحُ ويذكرُ له ما أجهدَهُ قائلاً: «يا أبه العطشُ قد قتلني، وثقلُ الحديد قد أجهدني فهل إلى شربةٍ من الماءِ سبيل».

فقال الحسين عليه السلام: «واغوثاهُ! يا بُنيَّ من أين آتي لك بالماء؟ قاتِلْ قليلاً فما أسرعَ ما تلقى جدَّكَ محمداً صلى الله عليه وآله فيسقيكَ بكأسِهِ الأوفى شَربةً لا تظمأُ بعدها أبداً».

فعاد عليٌّ الأكبر إلى الميدان وجعل يكرّ كرّةً بعد كرّةٍ، وهو يقول:

الحربُ قدْ بانتْ لها حَقائقُ
وظهرتْ من بعدِها مَصادِقُ
واللهِ ربِّ العرشِ لا نُفارقُ
جموعَكُمْ أو تُغمَدُ البوارِقُ

فنظر إليه مُرَّةُ بن مُنقذِ العَبْدِيُّ فقال: «عليَّ آثامُ العرب، إن هو فعلَ مثل ما أراه يفعل ومرَّ بي إن لم أثكِلْ أباه به».

ولما مرّ عليٌّ الأكبر يشدُّ على العدو كما كان يفعل، اعترضهُ «مرة» فطعنهُ بالرمح في ظهرهِ وضربهُ بالسيفِ على رأسه ففلق هامته، فاعتنقَ عليُّ الأكبرُ فرسه فسالتِ دماهُ على عيني الفرس فلم يعرفْ الطريق وحملهُ إلى معسكرِ الأعداء، فضربوه بسيوفهم، ولما أشرفَ على الموت نادى: «يا أبتاهُ عليكَ مني السلامُ، هذا جَدي قد سقاني بكأسهِ شَربةً لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقول: إن لكَ كأساً مذخُورةً».

فأتاهُ الحسينُ عليه السلام وانكبَّ عليه، واضعاً خدَّهُ على خدهِ وهو يقول: «قتلَ الله قوماً قتلوك، ما أجْرَأهُمْ على الرحمنِ وعلى انتهاكِ حرمةِ الرسول، على الدنيا بعدك العفا» ثم قال: يعزُّ على جدّك وأبيك أن تدعُوَهُمْ فلا يجيبونكَ، وتستغيثُ بهم فلا يُغيثونَكَ».

وأمر فتيانه أن يحملوه إلى الخيمة فجاؤوا به إلى الفُسطاطِ الذي كانوا يقاتلونَ أمامه. وحَرائِرُ بيتِ الوحي ينظرن إليه محمولاً قد جلَّلتهُ الدماءُ بمطارفَ من العز

حمراءَ وقد وزع جثمانه الضرب والطعن، فاستقبلنه بصدورٍ دامية، وَعَوْلَةٍ تصكُّ سمعَ الملكوت وأمامهن عقيلةُ بني هاشم «زينبُ الكُبرى» ابنةُ فاطمةِ بنتِ رسول الله ﷺ صارخةً نادبةً، فألقت بنفسها عليه تضمُ إليها جمامَ نفسِها الذاهب، وحِمى خِدرِها المُنثلمْ وعمادَ بيتها المنهدمِ. وهي تقول: «وامحمداه... واعليّاهُ... وافاطمتاهُ».

مقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل:

ثم برز عَبدُ اللهِ بنُ مُسلمِ بنِ عَقِيلِ بنِ أبي طالبٍ وأمهُ رُقَيَّةُ بنتُ عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام، وهو يرتجزُ ويقول:

ألـيـومَ ألـقـى مُـسـلِـماً وهـو أبـيْ
وفـتـيـةً بـادوا عـلى دِيـنِ الـنـبـيْ
لـيـسُـوا بـقـومٍ عُـرفـوا بـالـكَـذِبِ
لـكـنْ خـيـارٌ وكـرامُ الـنَـسَـبِ
من هاشمِ الساداتِ أهلِ الحَسَبِ

فقتل جماعةً بثلاث حملات، فرماهُ «زَيْدُ بنُ وَرَقاءَ» بسهم فاتقاهُ بيدهِ فسمَّرها إلى جبهته فما استطاعَ أن يزيلها

عن جبهتهِ فقال: «اللَّهُمَّ إنهم استَقَلُّونا واستذَلُّونا، فاقتلهمْ كما قتلُونا» وبينما هو على هذه الحالة إذ حملَ عليهِ رجلٌ فطعَنَهُ برمحهِ في قلبهِ فماتَ سلامُ الله عليه

مقتل أولاد عقيل:

ولما قُتِلَ عبدُ اللهِ بنُ مسلمٍ حمل آلُ أبي طالب حملةً واحدة فصاحَ بهم الحسينُ عليه السلام: «صبراً على الموتِ يا بني عُمُومَتي، والله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً».

وخرج مُحَمَّدُ بنُ مُسلمِ بنِ عقيلٍ فقاتلَ حتى قُتِل.

وخرج مُحمَّدُ بنُ أبي سَعِيدِ بن عقيلٍ فقاتلَ حتى قُتِل.

وخرج جَعْفَرُ بنُ عَقِيلٍ وهو يرتجز ويقول:

أنا الغُلامُ الأبْطَحِيُّ الطّالِبي
من معشرٍ في هاشمٍ وغالبِ
ونحنُ حقاً سادةُ الذّوائِبِ
هذا حُسينٌ أطيبُ الأطائبِ
من عترةِ البَّرِ التقيّ الغالبِ

فقتل جماعةً من عسكر ابن سعدٍ وقتله عَبدُ الله بنُ عُروةَ الخَثْعَمِيُّ.

وخرجَ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عقيلٍ وهو يقول:

أبـي عـقـيـلٌ فـاعـرفُـوا مـكـانـي
مـن هـاشـمٍ وهـاشـمٍ إخـوانـي
كـهـولِ صـدقٍ سـادةِ الأقـرانِ
هـذا حـسـينٌ شـامـخُ الـبُـنـيـانِ
وسـيـدُ الـشَّـيـبِ مـع الـشُّـبـانِ

فقتل جماعةً وحمل عليه عثمانُ بنُ خالدِ الجَهْنِي وبِشْرُ بنُ حوط القايفي فقتلاه.

وخرج عَبدُ اللهِ بنُ عَقيلٍ عليه السلام وأُمّه أم ولد وقاتلَ قتالاً شديداً حتى قُتِل.

مقتل محمد بن عبد الله:

وخرج مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ بنِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام وأمه الخَوْصٰاءُ من بني بَكْرِ بن وائلٍ وهو يقول:

أَشْكُو إلى اللهِ مِنَ العُدوانِ
قتالَ قومٍ في الرَّدى عميانِ
قد تركُوا معالِمَ القرآنِ
ومحكمِ التنزيلِ والتِّبيانِ
وأظهرُوا الكفرَ مع الطغيانِ

ثم قاتل حتى قتل.

مقتل عون بن عبد الله:

وخرج أخوه عونُ بنُ عَبدِ الله بنُ جعفرٍ وأمه زَيْنَبُ بنتُ أميرِ المؤمنين وهو يقول:

إنْ تنكرُوني فأنا ابنُ جعفرِ
شهيدُ صدقٍ في الجنانِ أَزْهَرِ
يطيرُ فيها بجناحٍ أخضرِ
كفى بهذا شرفاً في المحشرِ

ثم قاتل حتى قَتَلَ جمعاً منهم ثم حملُوا عليه فقتلوه.

مقتل عبد الله الأكبر:

وخرج أبو بكرِ بنُ الحسنِ بنُ علي واسمُهُ عَبدُ اللهِ الأكْبَرُ فقاتلَ حَتى قُتِلَ أيضاً.

مقتل القاسم بن الحسن عليه السلام:

وخرج القاسِمُ بنُ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالب عليهم السلام وأمه أمُّ ولد واسمها «رَمْلَة» وهو غلامٌ لم يبلُغِ الحُلُم فلمّا نظرَ الحسينُ عليه السلام إليه اعتنقهُ وجعلا يبكيان حتى غشيَ عليهما، ثم استأذنَ عمَّهُ في المبارزة فأبى أن يأذن له، فلم يزلْ الغلامُ يقبل يديه حتى أَذِنَ، فخرجَ ودموعُهُ تسيل على خديه وهو يقول:

إنْ تنكروني فأنا نجلُ الحسنْ
سِبطُ النبيِّ المصطفى والمُؤتَمَنْ
هذا حسينٌ كالأسيرِ المرتهن
بينَ إناسٍ لا سُقُوا صوبَ المُزُنْ

فقاتل قتالاً شديداً حتى قَتَلَ على صِغَرِ سنِّهِ مجموعةً من الأعداء.

قال حميدُ بن مسلم: «خرج علينا غلامٌ كأنَّ وجهَهُ شِقةُ قمر وفي يدهِ سيفٌ، وعليه قميصٌ وإزارٌ، وفي رجليه نعلان، قد انقطعَ شِسْعُ أحدهما، ما أنسى أنها كانتْ اليسرى، فوقفَ يشدُّه غير مكترثٍ بالجمع، ولا مبالٍ بألوفِ الأعداءِ».

وبينما هو على هذا إذ شدّ عليه عَمْرُو بنُ سَعدِ بنُ نَفيلِ الأزْدِيُّ فقال له حَمِيدُ بنُ مُسلم: «سبحان الله وما تريد من هذا الغلام؟ يكفيكَ هؤلاء الذين تراهم قد احتَوَشُوه!».

فقال: «والله لأشدن عليه» فما ولّى حتى ضربَ رأسَهُ بالسيف ففلق هامتَهُ، فوقع الغلام لوجهه، وكانت أمّه واقفةً بباب الخيمة تنظرُ إليه وهي مشدوهةٌ، فصرخَ القاسم قائلاً: «يا عمّاه!»

فأتاه الحسين كاللَّيثِ الغضبان، فضربَ قاتِلَهُ عَمْراً بالسيفِ فاتقاهُ بالساعدِ فَأَطَنَّها من المِرفقِ، فصاحَ صيحةً عظيمةً سمعها العسكرُ، فحملت خيلُ ابنُ سعد لِتَسْتَنْقِذَهُ

فاستقبلتهُ بصدرها ووطأتهُ بحوافرها فماتْ.

وما انجلتِ الغبرة إلا والحسينُ قائمٌ على رأسِ الغلامِ وهو يفحصُ برجليه! والحسينُ عليه السلام يقول: «بُعداً لقومٍ قتلوكَ، ومن خصمُهُم يومَ القيامةِ فيك جدُّكَ وأبوكَ».

ثم قال عليه السلام «عز والله على عمّكَ أن تدعُوَهُ فلا يجيبكَ، أو يجيبكَ فلا ينفعُكَ، صوتٌ واللهِ كَثُرَ واتِرُهُ، وقلَّ ناصِرُه».

ثم حمله واضعاً صدره على صدرِ الغلام ورجلاه تخطانِ على الأرض فجاءَ به حتى ألقاهُ مع ابنه عليٍّ الأكبر والقتلى من أهل بيته ثم دعا على أعدائِهِ قائلاً: «اللّهم إحصِهِمْ عدداً واقتُلْهُم بدداً، ولا تغادِرْ منهم أحداً ولا تغفِرْ لهُم أبدا».

مقتل أبي بكر بن علي عليه السلام:

وتقدم اخوةُ الحسين عليه السلام عازماً على أن يموت دونه، فأوّل من خرج منهم أبو بكر بنُ علي، واسمُهُ عُبَيْدُ

اللهِ وأمه ليلى بنتُ مسعود من بني نَهْشَل، فتقدم وهو يرتجزُ ويقول:

شَيْخِي عَليٌّ ذو الفَخَارِ الأطولِ
من هاشمِ الصدقِ الكريمِ المُفضلِ
هذا حسينُ ابنُ النبيِّ المرسلِ
عنه نُحامي بالحُسامِ المصقلِ
أفديه نَفْسِي من أخٍ مُبَجَّلِ

فلم يزل يقاتلُ حتى قتله زَجَرُ بنُ بَدْرٍ النَخعي.

مقتل عمر بن علي عليه السلام:

ثم برزَ من بعدِهِ أخوهُ من أمّه وابيه عُمر بنُ علي عليه السلام وقد قصدَ قاتلَ أخيهِ زَجَرَ بنَ بدر وكان يقول:

أضربُكُمْ ولا أرىَ فيكمْ زَجَرْ
ذاكَ الشَقيُّ بالنبيِّ قد كَفَرْ
يا زَجرُ يا زَجرُ تدانى من عُمَرْ
لعلكَ اليومَ تبوءُ مِنْ سَقَرْ

وحمل على زَجَرٍ فقتله واستقبلَ القومَ وجعل يضربُ

بسيفه ضرباً منكراً وهو يقول:

خلُوا عداة الله خَلُوا عن عُمَرْ
خلُوا عن اللَّيثِ الهَصُورِ المُكْفَهِر
يضربُكُم بسيفِهِ ولا يَفِرْ
وليسَ فيها كالجبانِ المُنْجَحِرْ

فلم يزل يقاتل حتى قُتل سلام الله عليه.

مقتل محمد الاصغر:

وخرج محمدٌ الأصغرُ بنُ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام وأمه أم ولد فرماه رجلٌ من بني تميم من بني أبان بنِ دارم فقتله وحزّ رأسَهُ.

مقتل أخوة العباس عليهم السلام:

ولما رأى العباسُ بنُ علي عليه السلام كَثْرَةَ القتلى من أهلهِ، قال لأخوته من أبيه وأمه وهم عبدُ الله وجعفرُ وعثمانُ، وأمهم أم البنين، فاطمةُ بنتُ حِزامِ الكِلابيّة: «يا بني أمي تقدموا حتى أراكُمْ قد نصحتُم للهِ ولرسولِه، تقدَّمُوا حتى أُثابَ بكم».

فبرَزَ عبدُ الله بنُ عليٍ عليه السلام وكان عمرهُ خمساً وعشرين سنةً وهو يقول:

إني ابنُ ذي النجدةِ والأفضالِ
ذاكَ عليُّ الخيرِ ذو الفِعالِ
سَيفُ رسولِ الله ذو النَكالِ
في كلِ يومٍ ظاهرِ الأهوالِ

فبارزه هاني بن ثبيت الحَضْرَمِيٌ فقتله هاني.

ثم برزَ بعدهُ أخوه جعفرُ بنُ عليٍ عليه السلام وهو يقول:

إني أنا جعفرُ ذو المعالي
ابنُ عليِّ الخيرِ ذي النَوالِ
حسبي بعمِّي شرفاً وخالي

فحمل عليه هاني بن ثبيت الحضرمي أيضاً فقتله، وحزّ رأسَهُ الشريف:

ثم برز بعده أخوهُ عُثمانُ بن عليٍّ وكان عمرهُ واحداً وعشرين عاماً وهو يقول:

إنـي أنـا عـثـمـانُ ذو الـمـفـاخـرِ

شـيـخـي عـلـيٌّ ذُو الـفِـعـالِ الـطَّـاهـرِ

أخـي حـسـيـنٌ خـيـرةُ الأخـايـر

وسـيِّـدُ الـكِـبـارِ والأَصْـاغِـرِ

بعد الرسول والوصي الناصر

فرماه «خولي بن يزيد الأصبحي» بسهم على جبينه، فسقطَ عن فرسهِ وحملَ عليهِ رجلٌ من بني أبان بنِ دارم فقتله وجاءَ برأسه.

مقتل العباس عليه السلام:

وبرز من بعدهم أخوهم أبو الفضل العباس عليه السلام بن علي عليه السلام وهو أكبرُهُم وكان عمرهُ أربعةً وثلاثين عاماً، وكان يلقب «بالسَّقَّاء» وقمرِ بني هاشم وهو صاحبُ لواءِ الحسين عليه السلام، وكان وَسيماً جميلاً جسيماً، يركبُ الفرس المُطَهَّمَ، ورجلاه تخطانِ في الأرض وكانَ عليه السلام آخرَ من بقي مع الحسين، فاستأذنَ أخاهُ في القتال.

فقال له الحسينُ عليه السلام: «يا أخي أنتَ صاحبُ لوائي».

قال العباس عليه السلام: «قد ضاقَ صدري، وسئمتُ الحياة وأريدُ أن آخذ ثأري من هؤلاءِ المنافقين».

فقال الحسين عليه السلام: «إذنْ فاطلبْ لهؤلاءِ الأطفالِ قليلاً من الماء».

فذهبَ العباسُ إلى القوم ووعَظَهُمْ وحذّرهم من غضب الجبار وكان فيما قال: «يا عُمرُ بنُ سعد.. هذا الحسينُ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قد قتلتمْ أصحابَه وأهلَ بيته، وهؤلاء عيالُهُ وأولادُه عطاشى، فاسقوهم من الماء فقد أحرقَ الظمأُ قلوبهم..».

فصاح الشمر: «يا بن أبي تراب، لو كانَ وجهُ الأرض كلُّه ماءً وهو تحت أيدينا لما سقيناكم منه قطرةً إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد!!».

ولما سمع العباسُ ذلك رجع إلى الحسين عليه السلام يخبره بالأمر، فسمع الأطفالَ ينادون: العطش، العطش، فركب جوادَهُ وأخذَ القِربَةَ، وقصد الفراتَ فأحاطَ به أربعةُ آلاف ممن كانوا موكّلين بالماء ورموه بالنبال فلم يَعْبَأْ

بجمعهم، ولا راعتْهُ كثرتُهُم فارتجزَ قائلاً:

أنا الذي أُعرفُ عند الزَّمْجَرَه
بابنِ عليٍّ المُسمَّى حَيْدَرَه

فكشفهم عن المشرعة، ودخل الماء واغتَرفَ منه غَرفةً ليشرب، فتذكر عطشَ الحسين وأهلِ بيته فرمى الماءَ من يده فقال:

يا نفسُ من بعدِ الحسينِ هوني
وبعدهُ لا كُنتِ أو تَكُوني
هذا الحسينُ شاربُ المنونِ
وتشربين باردَ المعينِ؟
تاللهِ ما هذا فعالُ ديني
ولا فعالُ صادقِ اليقينِ

ثم ملأَ القِربةَ، وتوجه نحو المخيَّمِ، فأخذُوا عليهِ الطريق واحاطوا به من كل جانب فجعل يضربُ فيهم وهو يقول:

لا أَرْهَبُ الموتَ إذا الموتُ زَقَا

حتى أوارىٰ في المصاليتِ لقا

إني أنا العباسُ أغدُوا بالسَّقا

ولا أخافُ الشرَّ يوم المُلتقىٰ

نفسي لسبطِ المُصطفى الطهرِ وِقا

ففرقهم، وكمنَ له زيد بن الرقاد الجهني من وراءِ نخلةٍ وعاونَهُ حكيم بن طُفيل، ولما مرّ به ضربه على يمينهِ فقطعها، فأخذَ السيفَ بشمالِه وحمل عليهم وهو يرتجزُ ويقول:

واللهِ إن قطعتُمُ يميني

إني أحامي أبداً عَنْ ديني

وعن إمامٍ صادقِ اليقين

نجلِ النبيّ الطاهرِ الأمينِ

فكمن له حكيم بن الطفيل من وراءِ نخلة أخرى وضربه على شمالِهِ فقطعها، فضمَّ اللواء إلى صدرهِ وأخذ يرتجزُ ويقول:

يـا نـفـسُ لا تَـخْـشَـيْ مـن الـكُـفَّـارِ

وأبـــشـــري بـــرحـــةِ الجـــبَّـــارِ

مـع الـنـبـيِّ الـسـيـدِ الـمـخـتـارِ

قـد قـطـعُـوا بـبـغـيـهـم يـسـارِي

فـأصـلِـهِـمْ يـا رب حـرّ الـنـارِ

فتكاثروا عليه من كل جانب وأتته السهامُ كالمطر، فسهمٌ أصابَ القِربة، وأُريقَ ماؤها، وسهم أصابَ صدرَهُ، وسهمٌ أصابَ عينَهُ، وضربهُ رجلٌ بالعمودِ على رأسه فهوى إلى الأرض منادياً: «السلامُ عليك يا أبا عبد الله»، فأتاهُ الحسينعليه السلام فرآه مقطوعَ اليمين واليسار، ممتلئاً بالجراحاتِ فانثنى عليه وبكى بكاءً عالياً وقال: «الآن انكسرَ ظهري، وقلَّت حيلتي، وشَمتَ بي عدوّي». وبينما كان يمسحُ عنه الدم والتراب فاضتْ روحُ أبي الفضل العباس إلى بارئها راضيةً مرضيّة ثم حملَ الحسينُعليه السلام على الأعداءِ يضربُ فيهمُ يميناً وشمالاً فيفرونَ من بين يديه كما تفرُّ المِعزى إذا شدَّ فيها الأسدُ وهو يقول: «إلى

أين تفرونَ وقد قتلتمْ أخي؟ إلى أينَ تفرُّونَ وقد قتلتم عَضِيدي»، ثم رجع عليه السلام إلى المخيم منكسراً حزيناً باكياً يكفكفُ دموعه بكُمّه.. فأتته سُكينةُ وسألتهُ عن عمّها، فأخبرها بقتلِه، فسمعتْ زينبُ ذلك فصاحتْ، «واآخاهُ، واعباساهُ، واضيعتنا بعدكَ» وبكتِ النسوةُ وبكى معهن الحسينُ وقال: «واضيعتنا بعدك».

الحسين عليه السلام وحيداً:

ولما فُجع الحسين بأهل بيته، وأصحابه واخوته التفتَ يميناً وشمالاً فلم يرَ أحداً يَنصُرُه، ونظرَ إلى أهلِهِ وصحبهِ مُجزّرين كالأضاحي وهو إذ ذاك يسمعُ عويلَ الأيامى، وصُراخَ الأطفالِ فنادى بأعلى صوته:

«هلْ من ذابٍ يذبُّ عن حرمِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله؟ هلْ من موحدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مُغيثٍ يرجو الله في إغاثتنا؟ هل من معينٍ يرجُو ما عندَ الله في إغاثتنا؟» وارتفعتْ أصواتُ النسوةِ بالعويل.

مقتل الطفل الرضيع:

ثم إن الحسين تقدمَ إلى بابِ الخيمة وقال لزينب: «ناوليني ولدي الصغير حتى أودّعه» فأتتْ إليه بابنه (عبدِ الله) وكان طفلاً رضيعاً وأمُّهُ الربابُ بنتُ امرىءِ القَيْسِ، فأخذهُ وأجلسَهُ في حجره والرضيعُ يتلهث عطشاً، فلما أومأ الحسين إليه ليُقبلهُ، رماه حَرْمَلَةُ بنُ كاهلِ الأسَدِيُّ بسهمٍ فوقع في نحرِهِ فذبحَهُ من الوريدِ إلى الوريد، فقال الحسين لزينب:

«خذيه» ثم تلقَّى الدم من نحر لبْنه بكفِّهِ فلما امتلأ رمى به نحو السماء قائلاً: «هَوَّنَ عليَّ ما نزلَ بي أنهُ بعينِ الله تعالى، اللّهُمَّ لا يكونُ أهونَ عليكَ من فصيلٍ(١)، إلهي إن كنتَ حبستَ عنّا النصرَ، فاجعلهُ لما هو خيرٌ منهُ وانتقم لنا من الظالمين، واجعلْ ما حلَّ بنا في العاجلِ ذخيرةً لنا في الآجلِ، اللهم أنتَ الشاهدُ على قومٍ قتلوا أشبهَ الناسِ برسولك

---

(١) يقصد عليه السلام بذلك فصيل ناقة صالح الذي قتله قوم صالح فعمّهم الله بالعذاب.

محمد ﷺ» ثم نزل عليه السلام وصلى على رضيعه صلاة الجنازة، وحفرَ له قبراً بِجَفْنِ سيفهِ ودفنه مُرمَّلاً بدمهِ.

الحسين عليه السلام يخرج للمبارزة:

وبعد ذلك تقدم نحو القوم مُصلتاً سيفَهُ، آيساً من الحياة، وقد لبس جبةَ خَزٍ دكناء وعمامةً موردةً أرخى لها ذؤابتين والتحفَ ببردةِ رسول الله، وتقلَّدَ بسيفِه، ودعا الناس إلى المبارزة فلم يزلْ يقتلُ كلَّ من برزَ إليه حتى قتلَ جمعاً كثيراً، ثم حملَ على الميمنةِ وهو يقول:

الـقَـتْـلُ أولـى مِـن رُكـوبِ الـعْـارِ
والـعـارُ أولى مِـن دخُـولِ الـنـارِ
والله مـا هــذا وهــذا جــارِي

وحمل على الميسرة وهو يقول:

أنــا الــحــسـيــنُ بــنُ عــلــيْ
آليتُ أن لا أنــثــنــي
أحــمــي عــيــالاتِ أبــيْ
أمــضِــي عــلى ديــنِ الــنــبــيْ

فصاحَ عُمَرُ بنُ سَعْدٍ: «هذا ابنُ الأنْزَعِ البَطِينِ، هذا ابن قَتَّالِ العَرَبِ».

قال بعض الرواة: «فوالله ما رأيتُ مَكْثُوراً قطُّ قد قُتِل ولدُه وأهلُ بيته وأصحابُه أربطَ جأشاً، ولا امضى جِناناً ولا أجرأ مقدماً منه، والله ما رأيتُ قبلَهُ ولا بعده مثله، وإن كانتِ الرَّجالة لتشدُّ عليه فيشدُّ عليها بسيفِهِ فتنكشفُ عن يمينهِ وعن شمالهِ انكشافَ المِعزى إذا شدَّ فيها الأسدُ الهَصُور، ولقد كان يحمل فيهم وقد اكتملُوا ثلاثين ألفاً فينهزمون من بين يديه كأنهم الجرادُ المنتشر، ثم يرجعُ إلى مركزهِ وهو يقول: «لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم».

ولما رَأىَ شمرٌ ذلك استدعَىٰ الفرسانَ فصارُوا في ظهورِ الرجالة، وأمرَ الرماة أن يرمُوا الحسينَ عليه السلام من كل جانب، فرشقُوُه بالسهام حتى صار درعُهُ كالقُنفُذِ، وجاءَ شِمْرٌ في جماعةٍ من أصحابهِ فحالُوا بينَهُ وبينَ رحله الذي في أهلُهُ وعيالُهُ، فصاحَ فيهم الحسينعليه السلام: «ويلكم يا

شيعةَ آلِ أبي سفيان، إن لم يكنْ لكم دين، وكنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونُوا أحراراً في دُنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتمْ عَرباً كما تزعمون».

فناداه شمر: «ما تقول يابن فاطمة؟».

فقال عليه السلام: «أقول: أنا الذي أقاتِلُكُم وأنتم تقاتلونني، والنساءُ ليس عليهن جُناحٌ، فامنعوا عُتَاتِكُمْ وجُهَّالَكُمْ وطُغَاتِكُمْ من التعرضِ لحرمي ما دمتُ حياً».

فقال شمر: «لك ذلك يابن فاطمة»، ثم صاح في جماعته: «إليكم عن حُرَم الرجلِ واقصدوه بنفسهِ فلعمري هو كفؤٌ كريم». . فقصدوه بالحرب فجعلُوا يحملون عليه وهو يحملُ عليهم فينكشفون عنه، وكان في تلك الحال يطلب شربةً من الماء فلا يعطونه.

فحمل من نحو الفرات على عَمْرُو بنُ الحَجَّاجِ، وكان في أربعة آلاف فكشفهم عن الماء، وأقحمَ الفرسَ الماءَ، فلما ولغَ الفرسُ ليشرب قال الحسين عليه السلام: «أنت عطشان وأنا عطشان والله لا ذقتُ الماء حتى تشرب» فرفعَ

الفرسُ رأسه كأنه فهم الكلام، ولما مدَّ الحسينُ عليه السلام يده إلى الماء ليشرب صاح جندُ ابنِ سعد «يا حسينُ أتتلذذُ بالماء وقد هُتِكَتْ حَرَمُك». . فرمى الماء وقصد المخيم.

الحسين عليه السلام يودع عياله:

ثم أنه عليه السلام ودعَ عياله، وأمرهم بالصبر ولبس الأُزُرَ وقال: «استعدُوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حامِيكُم، وحافِظُكم، وسينجِيكُم من شرِّ الأعداء، ويجعلُ عاقبةَ أمركم إلى خير، ويعذِّبُ عدوَّكُمْ بأنواع العذاب، ويعوِّضُكُم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا تَشْكوا ولا تقولوا بألسنَتِكُم ما ينقصُ من قدركم».

وفيما كان عليه السلام يوصي نساءَهُ التفت إلى ابنتهِ سُكينة وهي التي وصفها الحسين عليه السلام بقوله: «إن الاستغراقَ مع الله غالبٌ عليها»، فرآها منحازة عن النساء باكيةً نادبةً، فوقف عليها مُصَبِّراً لها ومسلِّياً ولسان حاله يقول:

هذا الوداعُ عزيزتي والمُلتَقى

يوم القيامةِ عندَ حوضِ الكَوْثرِ

فـدعـي الـبـكـاءَ ولـلأَسـارِ تـهـيَّـأي

واستَشْعِرِي الصَبْرَ الجَميلَ وبادِري

وإذا رأيـتـيـنـي عـلـىٰ وجـهِ الـثَـرى

دامـي الـوريـد مـبـضَّـعـاً فـتـصَـبَّـرِي

فقالت سكينةُ: يا أبة، استسلمتَ للموت؟ فقال: كيف لا يستسلمُ للموت من لا ناصرَ له ولا مُعين؟

ولما رأى عمرُ بنُ سعدٍ أن الحسين عليه السلام مشغولٌ بعياله نادى بأصحابه قائلاً: «ويحكُمْ اهجُمُوا عليه ما دامَ مشغولاً بنفسِهِ وحرمِهِ، فواللهِ إن فرغَ لكم لا تمتازُ ميمَنَتُكُمْ عن ميسَرَتِكُمْ».

فحملوا عليه يرمونه بالسهام، حتى تخالفتْ السهامُ بين أَطْنابِ المخيم، وشقَّ بعض السهام أُزُرَ النساء فدهشنَ، وأُرعبن، وصِحنَ، ودخلنَ الخيمة ينظرنَ إلى الحسين كيف يصنع.

فحمل عليه السلام عليهم كالليث الغضبان وكان لا يلحقُ أحداً إلا بَعَجَهُ بسيفه فقتلهُ، والسهام تأخذُهُ من كل ناحية

وهو يتَّقِيها بصدرِهِ ونحره.

ثم إنه رجعَ إلى مركزه وهو يُكثِرُ من قولِ: «لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم»، وطلب في هذه الحال ماءً فقال الشمر: «لا تذوقَهُ حتى تَرِدَ النار».

وناداه رجل: «يا حسين ألا ترى الفرات كأنه بطونُ الحيات؟ فلا تشربْ منه حتى تموتَ عطشاً».

فقال الحسين عليه السلام: «اللَّهُمَّ أمتهُ عطشاً».

ثم إنه عليه السلام لم يزلْ يقاتلُ حتى أصابهُ اثنان وسبعون جراحة فقال: «اللهم إنّك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العُصاة.. اللَّهُمَّ إحصِهِمْ عدداً، واقتُلْهُمْ بَدَاً، ولا تَذَرْ على وجهِ الأرض منهم أحداً، ولا تغفِرْ لهم أبداً».

وصاح بصوت عالٍ: «يا أُمَّةَ السوء! بئسما خلَّفتم محمداً صلى الله عليه وآله في عترته.. اما إنكم لا تقتلونَ رجلاً بعدي فتهابون قتله، بل يهُون عليكم ذلك عند قتلِكُم إيايَ، وأَيْمُ الله إني لأرجو أن يُكرِّمَني الله بالشهادة، ثم ينتقمَ لي منكم من حيثُ لا تشعرون».

الحسين عليه السلام يضعف عن القتال:

ولما ضَعُفَ عليه السلام عن القتال وقف يستريح فرماه أبو الحُتُوفِ الجعفي بحجر على جبهته الشريفة فسالَ الدمُ على وجهه ولحيته فأخذَ الثوبَ ليمسحَ الدم عن عينه، فرماه آخرُ بسهمٍ مسمومٍ له ثلاثُ شُعَبْ فوقع في صدره، فسقط من على الفرسِ قائلاً «بسم الله وبالله وعلىٰ مِلةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله».

ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: «إلهي إنك تعلمُ أنهم يقتلونَ رجلاً ليسَ على وجهِ الأرضِ ابنُ بنتِ نبيٍ غيره».

ثم أخذ السهم فأخرجه من وراء ظهره، فانبعثَ الدمُ كأنه مِيزْابٌ، فوضع يده تحت الجرح فلما امتلأت رمىٰ بالدمِ نحو السماء وقال: «اللَّهُمَّ إني أشكُو إليك ما يُفعل بابن بنتِ نبيّك».

وأعياه نزفُ الدم فجلس على الأرض ينوء برقبته، فجاء إليه على تلك الحال مٰالِكُ بنُ النَّسْرِ الكِندي فشتمَهُ

وضربَهُ على رأسه الشريف بالسيف، وكان على رأسه بُرنُس، فامتلأ البرنُس دماً فقال الحسين عليه السلام: «لا أكَلْتَ بيمينك، ولا شَرِبْتَ بها، وحشركَ الله مع القومِ الظالمين» ثم ألقى البُرنُس واعتم على القُلنسُوة.

مقتل عبد الله بن الحسن:

وبينما هو على تلك الحال إذ خرج عَبْدُ اللهِ بنُ الحسن عليه السلام وله من العمر إحدى عشرة سنة قاصداً عمَّهُ الحسين عليه السلام الذي كانَ جالساً لا يستطيعُ النهوض وقد أحاط به العدو، فلحقتهُ زينبُ بنتُ علي عليهما السلام لتحبِسَهُ فأبى وامتنع عليها امتناعاً شديداً، وجاء يركضُ إلى عمِّهِ الحسين عليه السلام حتى وقف إلى جانبه وقال: «والله لا أفارق عمي» فأهوى بَحْرُ بنُ كَعْبٍ إلى الحسينِ عليه السلام بالسيف فقال له الغلام: «ويلك يابنَ الخبيثةِ أتقتلُ عمي؟!».

فضربه بحرُ بنُ كعبٍ بالسيف، فاتقاها الغلام بيده فأَطَنَّهَا إلى الجلد فإذا هي معلقةٌ، فنادى الغلام «يا عماه لقد قطعُوا يميني» فأخذه الحسين عليه السلام فضمَّه إلى صدره

الحسين عليه السلام يضعف عن القتال:

ولما ضَعُفَ عليه السلام عن القتال وقف يستريح فرماه أبو الحُتُوفِ الجعفي بحجر على جبهته الشريفة فسالَ الدمُ على وجهه ولحيته فأخذَ الثوبَ ليمسحَ الدم عن عينه، فرماه آخرُ بسهمٍ مسمومٍ له ثلاثُ شُعَبْ فوقع في صدره، فسقط من علىٰ الفرسِ قائلاً «بسم الله وبالله وعلىٰ مِلةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله» .

ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: «إلهي إنك تعلمُ أنهم يقتلونَ رجلاً ليسَ على وجهِ الأرضِ ابنُ بنتِ نبيٍ غيره» .

ثم أخذ السهم فأخرجه من وراء ظهره، فانبعثَ الدمُ كأنه مِيزٰابٌ، فوضع يده تحت الجرح فلما امتلأت رمىٰ بالدمِ نحو السماء وقال: «اللّٰهُمَّ إني أشكُو إليك ما يُفعل بابن بنتِ نبيّك» .

وأعياه نزفُ الدم فجلس على الأرض ينوء برقبته، فجاء إليه على تلك الحال مٰالِكُ بنُ النَّسْرِ الكِندي فشتمَهُ

وضربَهُ على رأسه الشريف بالسيف، وكان على رأسه بُرنس، فامتلأ البرنُس دماً فقال الحسين عليه السلام: «لا أكَلْتَ بيمينك، ولا شَرِبْتَ بها، وحشركَ الله مع القومِ الظالمين» ثم ألقى البُرنُس واعتم على القُلنسُوة.

مقتل عبد الله بن الحسن:

وبينما هو على تلك الحال إذ خرج عَبْدُ اللهِ بنُ الحسن عليه السلام وله من العمر إحدى عشرة سنة قاصداً عمَّهُ الحسين عليه السلام الذي كانَ جالساً لا يستطيعُ النهوض وقد أحاط به العدو، فلحقتهُ زينبُ بنتُ علي عليهما السلام لتحبِسَهُ فأبى وامتنع عليها امتناعاً شديداً، وجاء يركضُ إلى عمِّهِ الحسين عليه السلام حتى وقف إلى جانبه وقال: «والله لا أفارق عمي» فأهوى بَحْرُ بنُ كَعْبٍ إلى الحسينِ عليه السلام بالسيف فقال له الغلام: «ويلك يابنَ الخبيثةِ أتقتلُ عمي؟!».

فضربه بحرُ بنُ كعبٍ بالسيف، فاتقاها الغلام بيده فأَطَنَّهَا إلى الجلد فإذا هي معلقةٌ، فنادى الغلام «يا عماه لقد قطعُوا يميني» فأخذه الحسين عليه السلام فضمَّه إلى صدره

وقال: «يابن أخي، اِصبِرْ على ما نزلَ بك، واحتسبْ في ذلك الخير، فإن الله يلحقُكَ بآبائِكَ الصالحين، فرماه حرملةُ بنُ كاهلٍ بسهم فذبحه وهو في حِجرِ عمه!!

فرفع الحسين عليه السلام يديه وقال: «اللَّهُمَّ أَمسِكْ عنهمْ قَطْرَ السَّماءِ، وامنعْهُمْ بركاتِ الأرض، اللهم فإنْ متَّعتهم إلى حين ففرِّقهم تفريقاً واجعلهم طَرٰائِقَ قِددا، ولا تُرضِ الولاةَ عنهم أبداً، فإنهم دَعَوْنا لينصُرُونا ثم عَدَوْا علينا فقتلونا».

وبقيَ الحسينُ عليه السلام مطروحاً على الأرضِ ملياً، ولو شاؤوا أن يقتلوهُ لفعلوا، إلا أنَّ كل قبيلة تتَّكِلُ على غيرها وتكرهُ الإقدام على قتله.

الحسين عليه السلام يجود بنفسه:

قال هِلالُ بنُ نٰافِعٍ: «إني لواقفٌ مع أصحاب عمر بن سعد إذ صرخ صارخ: أبشر أيها الأمير فهذا شمرٌ يريدُ قتلَ الحسين، فخرجتُ بين الصفين فوقعتْ عيني عليه وإنه ليجودُ بنفسه، فوالله ما رأيتُ قتيلاً مضمَّخاً بدمِهِ أحسنَ منه

ولا أنورَ وجهاً، ولقد شغلني نورُ وجهه وجمالُ هيئته عن الفكرة في قتله، فاستسقى في تلك الحال ماءً، فسمعتُ رجلاً يقول: «والله لا تذوقُ الماء حتى تَرِدَ الحامية، فتشرب من حَمِيمِها». فسمعتهُ يقول: «أنا أرِدُ الحامية فأشربُ من حميمها!؟ لا والله بل أردُ على جَدّي رسول الله ﷺ، وأسكنُ معه في داره في مقعدِ صدقٍ عند مليك مقتدر، وأشربُ من ماءٍ غيرِ آسن، وأشكُو إليه ما ارتكبتُم مني وفعلتم بي».

فغضبوا بأجمعهم حتى كأن الله لم يجعل في قلبِ أحدٍ منهم من الرحمة شيئاً.

دعاء في اللحظة الأخيرة:

ولما اشتَدَّ به الحالُ رفع الحسين عليه السلام طَرْفَهُ نحو السماء وقال: «اللَّهُمَّ مُتعالي المكان، عظيمُ الجبروت، شديدُ المحال، غنيٌّ عنِ الخلائق، عريضُ الكبرياء، قادرٌ على ما تشاءُ، قريبُ الرحمةِ، صادقُ الوعدِ، سَابغُ النعمةِ، حَسَنُ البلاءِ، قريبٌ إذا دُعِيتَ، مُحيطٌ بما خَلَقْتَ، قابلُ

التوبةِ لمن تابَ إليكَ، قادرٌ على ما أردْتَ، تُدركُ ما طلبتَ، شكورٌ إذا شُكِرْتَ، ذكُورٌ إذا ذُكِرْتَ، أدعوكَ محتاجاً وارغبُ إليك فقيراً، وأفزعُ إليك خائفاً، وأبكي مكروباً، واستعينُ بك ضعيفاً وأتوكلُ عليك كافياً، اللهم احكُمْ بيننا وبين قومنا، فإنهم غرُّونا وخَذَلُونا وغَدرُوا بنا وقتلونا، ونحنُ عترةُ نبيّك وولدُ حبيبك محمدٍ ﷺ، اصطفيتَهُ بالرسالةِ وائتمنتهُ على الوحي فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً يا أرحم الراحمين».

وأضاف عليه السلام: «صبراً على قضائِكَ يا ربُّ، لا إله سواكَ يا غياثَ المستغيثين، ما لي ربٌّ سواك، ولا معبودٌ غيرك، صبراً على حُكمِكَ، يا غِياثَ من لا غِياثَ له، يا دائماً لا نفادَ له، يا محييَ الموتى، يا قائماً على كلِ نفسٍ بما كسبت، أُحكُم بيني وبينهم وأنتَ خَيرُ الحاكمين».

التنافس على طعن الحسين عليه السلام:

فصاحَ شمرٌ بالفرسان والرَّجَّالة: «ويحكم ما تنتظرون بالرجل وقد اثخنته الجراح والسهام؟ احملوا عليه ثكلتكم

أمهاتكم»، فحملوا عليه من كل جانب، فضربهُ زَرْعَةُ بنُ شريك على كتفِه ضربة كبا بها لوجهه.. وجعل يقومُ ويكبُو، وطعنَهُ سِنان بن أنسِ النَّخعي في تُرقُوَتِهِ، ثم في بواني صدره، ورماه أبو أيوب الغنوي بسهم فوقع في نَحرِه، وطعنه صالحُ بنُ وهبٍ في خاصرته فوقعَ على الأرض، ثم جلس قاعداً فنزع السهم من نحره، وقَرَنَ كفيه جميعاً، فكلما امتلأتا دماً خضَّب بها رأسَهُ ولحيتَهُ وهو يقول: «هكذا ألقىٰ الله مخضباً بدمي، مَغصُوباً عليَّ حقي».

الفرس يتوجه نحو المخيّم وحيداً:

وأقبل الفرسُ يدوُر حوله ويلطِّخُ ناصيته بدمه ثم توجهَ نحو المخيم، وهو يصهل عالياً صهيلَ جوادٍ قُتل صاحبُهُ، فلما نظرن النساء إلى الجوادِ مَخْزِياً، والسرجِ عليه ملوياً، خرجنَ من الخدور ناشراتِ الشعور! على الخدودِ لاطماتٍ، وبالعويلِ داعيات، وبعد العزِّ مذلَّلاتٍ، وإلى مصرعِ الحسين مبادرات.

فـواحـدةٌ تـحـنُـو عَـلـيـه تَـضـمُّـه
وأُخـرى عـلـيهِ بـالـرداءِ تُـظـلِّـلُ
وأخرى بفيضِ النَحْرِ تصبغُ وجهها
وأخـرى تُـفـدِّيـهِ وأُخـرى تـقـبِّـلُ
وأُخرى على خوفٍ تلوذُ بجنبه
وأُخـرى لما قـدْ نـالـهـا ليسَ تَـعْـقِـلُ

ونادت زينبُ العقيلةُ: «وامحمداهُ وآأبتاهُ، وآعلياهُ، وآجعفراهُ، وآحمزتاهُ، هذا حسينٌ بالعراء صريعٌ بكربلا»، ثم نادت «ليتَ السماءَ أطبقتْ على الأرض، وليتَ الجبالَ تَدَكْدَكَتْ على السهل!!».

ولما دنت إلى الحسين وقد اقتربَ منه عُمرُ بنُ سعد في جماعةٍ من أصحابه، والحسينُ يجودُ بنفسه! صاحت: «أي عمر أيُقتَلُ أبو عبد الله وأنت تنظرُ إليه؟» فصرف ابن سعدٍ بوجهه عنها وهو يتظاهرُ بالحَياءِ.

فقالت: «ويحكُمْ أما فيكُمْ مُسلِمٌ؟ فلم يُجبها أحد.

شمر يقتل الحسين عليه السلام :

ثم صاح ابنُ سعد بأصحابه : «أنزلوا إليه وأريحوه» فبدر إليه شمر فرفسَهُ برجله، وجلسَ على صدره الشريف، وقبضَ عليه شيبتهِ المقدسة، وضربهُ بالسيفِ اثنتي عشرة ضربة، واحتزَ رأسَهُ المقدس!! ورفعَهُ على رمح طويل.

يتكالبون على سلبه عليه السلام :

ثم أقبلَ القومُ على سلبه، فأخذ إسحاقُ بنُ حويّة الحَضْرَميُ قميصَهُ، وأخذ اخنَسُ بنُ مرثدٍ عمامتَهُ وأخذ الأسودُ بنُ خالِدٍ نعليه، وأخذ أبجر بن كَعبٍ سراويلَهُ، وجاء «بجدلُ بنُ سليم»، فلم يجد ما يُسلبُ منه عدا خاتم في إصبعه والدماء عليه فقطعَ اصبعه، وأخذ الخاتم، وتعاركُوا فيما بينهم على سلبِ ثيابهِ وما كان عليه.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون وسيعلَمُ الذين ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ ينقلبُونَ والعاقبةُ للمتقين.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفاتحة	٥
الإستعداد للحرب	٧
خطبة الحسين عليه السلام الأولى	٩
خطبة زهير بن القين	١٧
خطبة برير بن خضير	١٩
خطبة الحسين عليه السلام الثانية	٢١
الحسين عليه السلام يستدعي عمر بن سعد	٢٦
توبة الحر	٢٦
الحر يخطب	٢٩
عمر بن سعد يعلن بدء القتال	٣٠
مقتل الحر	٣٠

مقتل أبو الشعثاء الكندي ٣٢
المواجهة الشاملة ومقتل خمسين من أصحاب الحسين عليه السلام ٣٣
مقتل عبدالله بن عمير الكلبي ٣٤
مجموعة من أصحاب الحسين عليه السلام تواجه جيش العدو ٣٦
الحسين عليه السلام ينادي مستغيثاً ٣٧
عمر بن سعد يطالب بالمواجهة الشاملة ٣٧
مقتل مسلم بن عوسجة ٣٨
الشمر يهاجم فسطاط الحسين عليه السلام ٤١
الاستعداد للصلاة ٤٢
مقتل حبيب بن مظاهر الأسدي ٤٣
إقامة الصلاة ومقتل سعيد بن عبد الله الحنفي ٤٤
مقتل سلمان والحجاج ٤٦
مقتل زهير بن القين ٤٧
مقتل عابس بن شبيب وشوذب ٤٨
مقتل أسلم غلام الحسين عليه السلام ٥٠
مقتل واضح التركي ٥١

مقتل برير بن خضير ٥١
مقتل وهب بن حباب ٥٣
مقتل عمرو بن جنادة ٥٧
مقتل عمرو بن خالد الصيداوي ٥٩
مقتل حنظلة الشبامي ٥٩
مقتل الغفاريان ٦١
مقتل نافع بن هلال ٦٢
مقتل جون ٦٣
مقتل الصحابي أنس بن الحارث ٦٥
مقتل مجموعة من الأصحاب ٦٥
مقتل رجل آخر من أصحاب الحسين عليه السلام ٦٦
مقتل عبد الرحمن اليزني ٦٦
مقتل عمرو بن خالد الأزدي وولده ٦٧
منازلة علي الأكبر ٦٨
مقتل علي الأكبر ٦٨
مقتل عبدالله بن مسلم بن عقيل ٧٣

مقتل أولاد عقيل ٧٤

مقتل محمد بن عبد الله ٧٥

مقتل عون بن عبد الله ٧٦

مقتل عبدالله الأكبر ٧٧

مقتل القاسم بن الحسن ٧٧

مقتل أبي بكر بن علي عليه السلام ٧٩

مقتل عمر بن علي عليه السلام ٨٠

مقتل محمد الأصغر ٨١

مقتل أخوة العباس عليه السلام ٨١

مقتل العباس عليه السلام ٨٣

الحسين عليه السلام وحيداً ٨٨

مقتل الطفل الرضيع ٨٩

الحسين عليه السلام يخرج للمبارزة ٩٠

الحسين عليه السلام يودع عياله ٩٣

الحسين عليه السلام يضعف عن القتال ٩٦

مقتل عبد الله بن الحسن ٩٧

الحسين عليه السلام يجود بنفسه ٩٨
دعاء في اللحظة الأخيرة ٩٩
التنافس على طعن الحسين عليه السلام ١٠٠
الفرس يتوجه نحو المخيّم وحيداً ١٠١
شمر يقتل الحسين عليه السلام ١٠٣
يتكالبون على سلبه عليه السلام ١٠٣
الفهرس ١٠٥

الإمام الحسين (ع)

سيرة ومقتل

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد هادي

الإمام الحسين (ع)

سيرة ومقتل

حوادث ما بعد مقتل الحسين عليه السلام

القسم الثالث

دار القارى

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
بيروت
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

دار القارئ
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ت: ٠٣/٤١٣٢٥٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا

ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ

عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله مالكِ الملكِ، مجرِي الفُلكِ، مسخّرِ الرياحِ، فالقِ الإصباحِ، ديّانِ الدينِ ربِّ العالمين.

والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، أمينِ الله على وحيه، وعزائمِ أمرِه، الخاتم لما سبق، والفاتحِ لما استقبل، والمهيمنِ على ذلك كلّه. . .

وعلى أهلِ بيتهِ شجرةِ النبوة، وموضعِ الرسالة، ومختلفِ الملائكة، ومعدنِ العلم، وأهلِ بيت الوحي. . .

إضرام النار في الخيام وسلب النساء:

لـمّا قُتلَ الحسينُ واصحابُه، مالَ العدوُّ على أهله وعياله، ومَتاعهِ. . فنهبُوا ما في الخيام، ثمَّ اضرموا فيها النار.

ثم تسابقَ القومُ على سلبِ النساءِ الطاهرات وما كانَ عليهنَّ من الحُلِيِّ والاقنعة، ففررن بنات رسول الله ﷺ حاسراتٍ، باكياتٍ، مسلبات، وكان الرجالُ يهجمونَ على المرأة منهن لسلبِ مَقنَعتِها من رأسها، أو خاتَمِها من أصبعها، أو قُرطِها من أُذُنِها، أو خَلخالَها من رجلها.

ورُوِي رجلٌ منهم قد هجم على أم كلثوم، وخَرَمَ أُذُنها ليأخذ قُرطَها. وهجم آخرُ على فاطمةَ بنتِ الحسين، فانتزع خَلخالها من رِجلها، وهو يبكي.

فقالت له: ما لك تبكي؟

قال: وما لي لا أبكي، وأنا أسلبُ ابنةَ رسول الله.

فقلت: إذَنْ دعني ولا تسلبني

فقال: أخاف أن يأخذه غيري

سَوْقُ النساء:

وأخذ الأعداءُ يسوقونَ النِساءَ بكِعابِ رماحهم وهنَّ

يلذن بعضهن ببعض، وقد اخذوا ما عليهن من الخمار والسوار.

ولقد روي أن فاطمةَ بنت الحسين عليه السلام كانت في معزل، فرآها رجل منهم، فقصدها، ففرت منه فاتَّبعها برمحه فسقطت لوجهها على الأرض مغشياً عليها. ولما أفاقت رأت عمتها زينب عليها السلام واقفة عند رأسها تبكي.

ثم إن زينب رفعت صوتها تنادي بشكل حزين قائلة: «وآمحمداه.. صلّىٰ عليك مليكُ السماء، هذا حسينُكَ مرمَّلٌ بالدماءِ، مقطَّعُ الأعضاء، وبناتُك سبايا..

إلى اللهِ المشتكى، وإلى محمدٍ المصطفى، وإلى عليٍّ المرتضى، وإلى حمزةَ سيدِ الشهدا...

وآمحمداه.. بنَاتُكَ سبايا، وذريَّتُك مُقتّلة، تسْفي عليهم ريحُ الصَّبا، وهذا حسينٌ محزوزُ الرأسِ من القفا، مسلوبُ العمامةِ والردا..

بأبي، من هو لا غائبٌ فيُرتجى، ولا جريحٌ فيداوى بأبي العطشانُ حتى مضَى، بأبي من شيبتهُ تقطرُ الدماء».

فأبكت كل عدوٍ وصديق.

يقول حَميدُ بنُ مُسلم: «رأيتُ امرأةً من آل بكر بن وائل كانتْ مع زوجها في اصحاب عُمَرِ بنِ سعدٍ فلما رأتْ القومَ قد اقتحموا على نِساءِ الحسين فُسطاطَهُنَّ وهم يسلبونَهُنَّ، اخذت سيفاً واقبلت نحو الفُسطاط فقالت: «يا آل بكرِ بنِ وائل، أتُسلبُ بنات رسولِ الله؟. لا حُكْمَ إلاّ لله.. يا لثاراتِ رسولِ الله!».

فأخذها زوجُها وردَّها إلى رَحلِه.

محاولة قتل الإمام زين العابدين عليه السلام:

ثم ان القوم انتهوا إلى «عليِّ بنِ الحسين» زين العابدين وكان مريضاً لا يستطيعُ النهوضَ، فقال قائلٌ منهم: «اقتلُوهُ، ولا تدعوا منهم صغيراً ولا كبيراً»

وقال آخرُ: «لا تعجلوا حتى نستشير الأمير عمرَ بنَ سعدٍ».

وجرّد «الشمر» سيفَهُ يريدُ قتله، فتعلقتْ به

زينبُ عليها السلام وهي تقول: «لا يقتلُ حتى أُقتَلَ دُونَهُ». وقال له حَميدُ بنُ مُسلمٍ: «يا سبحان الله، اتقتل هذا المريض؟».

وجاء عُمَرُ بنُ سعدٍ فمنعه عن قتلِهِ..

ولما رأينه نساءُ الحسينِ وأهلُ بيته صرخنَ في وجهه، وبكين على قتلاهن، فمنَعَ القومَ عنهن، وقد اخذوا ما كانَ عليهن، ولم يردّوا منه شيئاً، فوكَّل بهن جماعة ممن كانوا معه وقال: «احفظوهم حتى لا يخرج منهم أحد».

وطء جسد الحسين عليه السلام بالخيل:

وعاد إلى جنده فنادى: «ألا من ينتدبُ إلى الحسين فيوطىء الخيلَ صدرَه وظهره». فقامَ منهم عَشَرةَ فركبوا خيولَهُمْ، وداسوا بها جسدَ أبي عبد الله حتى رضُوا صدره وظهرَه.

وفيما بعد جاء هؤلاء العشرة ـ وعلى رأسهم «أسيد

ابنُ مالك» إلى عُبيدِ الله بن زياد، وهو يرتجز قائلاً:

«نحن رضضنا الصدرَ بعدَ الظُّهْرِ

بكلِّ يَعْبُوبٍ[1] شديدِ الأسرِ».

فقال لهم ابن زياد: «من أنتم؟»

قالوا: «نحن الذين وطأنا بخيولنا ظهرَ الحسين عليه السلام حتى طحنّا جَناجِنَ صدرِهِ».. فأمر لهم بجائزة على ذلك..

تقطيع الرؤوس واقتسامها بين القبائل:

وأمر ابنُ سعدٍ بالرؤوس فقطُعتْ واقتسمتها القبائل فيما بينها لتتقرب إلى ابن زياد، وكانتْ نيّفاً وسبعين رأساً فجاءت كِندةُ بثلاثةَ عشر رأساً وصاحبُهم قيسُ بن الأشعث، وجاءت هَوازِنُ باثني عشرَ وصاحبُهم شمرُ بنُ ذي الجَوْشَنْ وجاءت تَمِيمُ بسبعةَ عشرَ وبنو أَسَدٍ بستةَ عشر ومذحِجْ بسبعةٍ، وجاء آخرون بباقي الرؤوس ومنعت عشيرةُ الحرّ الرياحي من قطعِ رأسِهِ ورضّ جسده.

---

(١) اليَعْبُوب: الفرس الطويل السريع على التشبيه بالنهر الشديد الجري.

وسرح ابن سعد في اليوم العاشر رأس الحسين مع خُولي بنِ يزيدِ الأصْبَحِي وحَميدُ بنِ مُسلمِ الأَزْدِيْ وسرح رؤوس أهلِ بيته وصحبِه مع الشمر وقيسِ بن الأشْعَث وعُمرُو بنُ الحَجَّاجِ.

رأس الحسين عليه السلام في قصر الإمارة:

وكان منزل خولي على فرسخٍ من الكوفة فأخفى الرأسَ عن زوجته «العيوف» الأنصارية لما كان يعهده من موالاتها لأهل البيت عليهم السلام إلا أنها لما رأت من التنور نوراً راعَها ذلك إذ لم تعهد فيه شيئاً، فلما قربت منه سمعتْ اصواتَ نساء يندبن الحسين بأشجى ندبة، فحدثت زوجها وخرجت باكية ولم تكتَحِل ولم تتطيبْ حُزناً على الحسين.

وعند الصباح غدا بالرأس إلى قصر الإمارة عندَ ابنِ زياد فوضعَ الرأس بين يديه وهو ضاحك مستبشر.

الخروج من كربلاء:

ثم إن ابنَ سعدِ أرسلَ الرؤوس إلى الكوفة وبقي في

كربلاء مع الجيش إلى الزوال من اليوم الحادي عشر فجمعَ قتلاه وصلى عليهم ودفنهم وترك سيدَ شبابِ أهل الجنة وريحانةَ الرسول الأكرم ومن معه من أهل بيته وصحبِهِ بلا غُسل ولا كفنٍ ولا دفن.

وبعد الزوال ارتحل إلى الكوفة ومعهُ نساءُ الحسين وصبيتُه وجواريه وعيالاتُ الأصحاب وكُنَّ عشرين امرأة عدا الأطفال وسيَّروهن على أقتابِ الجمال بغير وطاء وهنّ ودائعُ خير الأنبياء ومعهن السجَّادُ عليّ بن الحسين وعمرهُ ثلاث وعشرون سنة وهو على بعير ظالعٍ بغيرِ وطاء وقد انهكهُ المرضُ ومعه ولدُهُ الباقر وله سنتان وشهور ومن أولاد الإمام الحسن المجتبى زيد وعمرو والحسن المثنى فإنه أُخذ أسيراً بعد أن أصابتهُ ثمان عشرة جراحة وقطِعتْ يدُه اليمنى فانتزعَهُ أسماءُ بنُ خارجةَ الفزاري لأن «أم المثنى» فزارية فتركهُ ابن سعد له ولما أرادوا الخروج من كربلاء قالت النسوةُ من أهلِ البيت: «بالله عليكم إلا ما مررتُم بنا على القتلى»، ولما نظرنَ إليهم مقطَّعي الأوصال قد طعمتهُمْ سمُرِ الرّماح ونهلت من دمائهم بيضُ الصِّفاح

وطحنتهُمْ الخيلُ بسَنابِكِها، صِحنَ ولَطَمن الوجوه وصاحت زينب: «يا محمداهُ هذا حسينُ بالعراء مرمَّلُ بالدماء مقطَّعُ الأعضاء، وبناتُكَ سبايا وذرِّيتُكَ مُقتَّلة» فأبكت كل عدو وصديق.

ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء قائلة: «إلهي تقبَّل منا هذا القربان».

وتشاطَرَتْ هي والحسينُ بدعوةٍ
حتَمَ القضاءُ عليهما أن يُندبا
هذا بمشتبكِ النصولِ وهذه
في حيثُ معتركِ المكارهِ في السَّبا

واعتنقت سكينة جسد أبيها الحسين عليه السلام.

ولم يستطع أحد أن ينحيها عنه حتىٰ اجتمع عليها عددٌ من الرجال وجرُّوها بالقهرِ والاكراه.

وأما عليُّ بنُ الحسينِ فانه لما نظر إلى أهله مجزَّرين كالأضاحي وبينهم والده الحسين عظم ذلك عليهِ واشتد حزنُه وكاد أن يلفظَ أنفاسه، فعرفت زينب عليها السلام ذلك

فأخذت تسليه وتصبُره قائلة:

«ما لي أراك تجودُ بنفسك يا بقيَّةَ جدي وأبي واخوتي فوالله إنَّ هذا لعهدٌ من الله إلى جدّك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاقَ أُناسٍ لا تعرفهم فراعنةُ هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماواتِ، إنهم يجمعون هذه الأعضاءُ المقطعةَ والجسومَ المضرجةُ فيوارُونها، وينصبونَ بهذا الطف عَلماً لقبر أبيكَ سيد الشهداء لا يُدرَسُ أثرهُ ولا يُمحى رسمُهُ على كرورِ الليالي والأيام، وَلَيَجْتَهِدَنَّ أئمةُ الكفرِ واشياعُ الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزدادُ أثرهُ إلا علواً.

وأتاهن زجر بن قيسٍ وصاحَ بهن فلم يقمنَ، فأخذ يضربهنَّ بالسوط حتى أركبوهنَّ على الجمال.

السبايا في الكوفة:

ولما ادخلت بناتُ أميرِ المؤمنين إلى الكوفة اجتمع اهلُها للنظرِ إليهم فصاحت أمُ كلثوم: يا أهلَ الكوفة أما تستحونَ من الله ورسولهِ أن تنظروا إلى حرمِ النبيﷺ؟.

وأشرفت عليهنَّ امرأة من الكوفيات ورأتهنَ على تلك الحال المشجية فقالت من أيِّ الأُسارى أنتم؟ فأجبنها نحنُ أُسارى آلِ محمد!! وأخذ بعض أهل الكوفة يناولون الأطفال التمرَ والجوزَ والخبزَ فصاحت زينبُ الكبرى: «إن الصدقةُ علينا حرامٌ» ثم رمت بصدقاتهم إلى الأرض.

خطبةُ زينب:

يقول الراوي: ثم إن زينبَ ابنةَ علي عليهما السلام أومأت إلى الناس أن اسكُتُوا فسكنت الأنفاسُ والأجراسُ فعندها اندفعت بخطابها مع طمأنينة نفسٍ وثباتِ جأشٍ فقالت صلواتُ الله عليها:

«الحمدُ لله والصلاةُ على أبي محمدٍ وآلهِ الطيبين الأخيار.

أما بعدُ يا أهلَ الكوفة، يا أهلَ الخَتْلِ والغَدْرِ، أتبكُونَ فلا رَقَأَتِ الدمعةُ، ولا هَدأَتِ الرنَّةُ، إنما مثلُكُم كَمَثَلِ التي نَقَضَت غزلها من بعدِ قُوَّةٍ انكاثاً، تتخذونَ أيْمانَكُم دخلاً بينكم، ألا وهلْ فيكُمُ إلا الصَلفُ النَطفُ

والعَجبُ والكَذِبُ والشَّنِفُ ومَلَقُ الاماءِ، وغَمْزُ الأعداءِ، أو كَمَرْعَى على دِمْنَةٍ أو كقصة على مَلحودَةٍ ألا بئسَ ما قدَّمت لكُمْ انفُسكُم أنَّ سخطَ اللهِ عليكم وفي العذابِ انتم خالدون. . .

أتبكونَ وتنتحبونَ، إي واللهِ فابكُوا كثيراً، واضحكُوا قليلاً فلقد ذهبتُمْ بعارِها وشنارِها، ولن ترحضُوها بغُسلٍ بعدها أبداً، وأنَّىٰ ترحضُون، قتيلَ سليلِ خاتمِ الأنبياءِ وسيدِ شبابِ أهلِ الجنة. ومدره حُجَّتِكُمْ ومنارِ محجتكم، وملاذِ خِيرتِكم، ومفزعِ نازِلَتِكم. ألا ساءَ ما تزِرُون.

فبعداً لكم وَسُحقاً، فلقدْ خابَ السَعْيُ، وتبَّتْ الأيدي، وخَسِرَتِ الصفقة، وبؤتُمْ بغضبٍ من اللهِ ورسولِهِ، وضُرِبَتْ عليكُمُ الذِّلة والمَسْكَنةِ. . .

ويلكُمْ يا أَهلَ الكوفة، أتدرُون أيَّ كبدٍ لرسولِ الله فريتم؟ وأيَّ كريمةٍ لهُ أبرزتم؟ وأيَّ دم له سفكْتُم؟ وأيَّ حرمةٍ له انتهكْتُم؟ لقد جئتُمْ شَيْئاً إدّاً، تكادُ السمواتُ يَتَفَطرْنَ منهُ، وتنشقُ الأرضُ، وتخرُ الجبال هدّاً!

ولقد أتيتُم بها خرقاءَ، شَوْهاءَ، كَطِلاعِ الأرض وملءِ السماء أفعجِبْتُم أنْ مطرَتْ السماءُ دماً، ولعذابُ الآخرةِ أخزى وهم لا يُنصرون فلا يستخفَّنّكم المَهلُ، فإنه لا يحفزُه البِدارُ، ولا يخافُ فوتَ الثار، وإنَّ ربَّكُم لبالمرصادِ».

فقال لها علي بنُ الحسين عليه السلام «يا عمة أُسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمدِ الله عالِمةٌ غيرُ مُعَلَّمة وفهِمَةٌ غيرُ مُفَهَّمَة».

قال الراوي: فوالله لقد رأيتُ الناس يومئذٍ حَيارى يبكون، وقد وضعُوا أيديَهم في أفواههم ورأيتُ شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي وهو يقول: «بأبي أنتم وأُمّي كهُولكم خيرُ الكهول وشبابكم خيرُ الشباب، ونساؤكم خيرُ النساء، ونسلكُم خيرُ نسل، لا يُخزى ولا يُبزى».

خطبة فاطمة بنت الحسين:

وخطبت فاطمة بنت الحسين عليه السلام فقالت:

«الحمدُ لله عددَ الرمالِ والحَصى، وزِنَةَ العرشِ إلى

الثَّرَى، أحمدُه وأُؤمنُ به وأتوكَلُ عليه، وأشهدُ أن لا إله إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسُولُه. وأن أولادَهُ ذُبِحوا بشطِ الفرات، من غيرِ ذَحلٍ ولا ترات.

اللّهُمَّ إني أعوذُ بكَ أن أفتري عليك الكذب، وأن أقولَ عليكَ خلافَ ما أنزلتَ من أخذِ العهودِ والوصيةِ لعلي ابنِ أبي طالب المسلوبِ حقُّه المقتولِ من غير ذنبٍ في بيتٍ من بُيوتِ الله تعالى، فيه معشرٌ مُسلمةٌ بألسنَتِهم، تُعساً لرؤوسهم ما دفعتْ عنه ضيماً في حياتهِ ولا عندَ مماتِه، حتى قبضتَهُ إليكَ محمودَ النقيبةِ، طيِّبَ العريكةِ، معروفَ المناقبِ، مشهورَ المذاهبِ، لم تأخذه اللّهُمَّ فيك لومةُ لائم، ولا عذلُ عاذلٍ، هَدَيْتَهُ اللّهُمَّ للإسلام صغيراً، وحَمِدْتَ مناقبه كبيراً، ولم يزلْ ناصحاً لك ولرسولك، زاهداً في الدنيا غيرَ حريصٍ عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رَضِيتَهُ فاخترته وهديتَهُ إلى صراطٍ مستقيم...

أما بعد يا أهل الكوفةِ، يا أهلَ المكرِ والغدرِ

والخُيَلاء، فإنا أهلُ بيتٍ ابتلانا الله بكم، وابتلاكُم بنا. فجعلَ بلاءنا حسناً، وجعلَ علمَهُ عندنا وفهمه لدينا، فنحنُ عيبةُ علمه، ووعاءُ فهمه وحكمتِهِ، وحجَّتُهُ على الأرضِ في بلادِه لعبادهِ، أكرَمَنا الله بكرامتِهِ، وفضَّلنا بنبيهِ محمداًﷺ على كثيرٍ ممن خلقَ الله تفضيلا . . .

فكذَّبتُمُونا وكفرتمونا، ورأيتُمْ قتالنا حلالاً، وأموالَنا نهباً، كأننا أولادُ تُركٍ أو كابلُ كما قتلتُمْ جَدَّنا بالأمس، وسيوفُكُم تقطرُ من دمائنا أَهلَ البيت لحقدٍ متقدمٍ، قرت بذلك عيونُكُم، وفَرِحَت قُلُوُبكم افتراءً على الله ومكراً مكرتم، والله خيرُ الماكرين، فلا تدعُوَنَّكُم أنفسَكُم إلى الجذلِ بما اصبتم من دمائِنا، ونالتْ أيديكم من أموالنا، فإنَّ ما أصابنا من المصائبِ الجليلةِ، والرزايا العظيمةِ في كتابٍ من قبل أن نبرَأَهَا، إنَّ ذلكَ على اللهِ يسيرُ، لكيلا تأسَوْا على ما فاتَكُم ولا تفرحُوا بما آتاكم، والله لا يحبُّ كل مختالٍ فخور . . .

تباً لكم فانتظروا اللَّعنةَ والعذابَ، فكأَن قد حلَّ بكم

وتواترتْ من السماءِ نقمات، فيسحتكم بما كسبتم ويذيقُ بعضكم بأسَ بعضٍ ثم تخلّدُون في العذابِ الأليم يومَ القيامةِ بما ظلمتُمُونا، ألا لعنةُ اللهِ على الظالمين. . .

ويلكم. أتدرونَ أيةَ يدٍ طاعنتنا منكُم. وأيةَ نفسٍ نزعَتْ إلى قتالنا. أم بأيةِ رجلٍ مشيتم إلينا تبغونَ محاربتنا، قسَتْ قلوبكم وغلُظَتْ أكبادُكُم، وطبَعَ الله على أفئدتِكُم، وختَمَ على سمعِكُم وبصرِكم وسوَّل لكُمْ الشيطانُ وأملى لكم، وجعلَ على بصرِكم غشاوةً فأنتم لا تهتدون. . .

تباً لكم يا أهل الكوفة، أي ترات لرسولِ الله قِبَلُكم. وذحولٍ له لديكُم. بما عندتُم بأخيه عليٍّ بنِ أبي طالب جَدي وبنيهِ وعترتهِ الطيبين الأخيار، وافتخر بذلك مفتخركم قائلاً:

نحنُ قَتَلْنا عَلياً وبني عليٍّ

بسيوفٍ هنديةٍ ورماحِ

وسبَيْنا نِساءَهُم سبيَ تركٍ

ونطحناهُمُ بأيَ نِطاحِ

بفيك أيها القائل الكثكث ولك الأثلب افتخرتَ بقتلِ قوم زكّاهمُ الله وطَهّرهم وأذهبَ عنهُمُ الرجسَ فأكضم وأقْعِ كما أقعى أبوكَ فإنما لكلِ امرىءٍ ما اكتسب. وما قدمت يداه.

حسدتمونا ويلاً لكم على ما فضَّلنَا الله تعالى، ذلكَ فضلُ الله يؤتيهِ من يشاءُ والله ذُو الفضلِ العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور».

فارتفعتِ الأصواتُ بالبكاءِ والنحيبِ وقالوا حسبُكِ يا ابنة الطاهرين فقدْ أحرقتِ قلوبنا وأنضجتِ نُحورنا وأضرمتِ أجوافنا فسكتت.

خطبة أم كلثوم:

ثم إنَّ أم كلثوم رفعت صوتها بالبكاء وخطبت في ذلك اليوم قائلة:

«صه يا أهل الكوفة: تقتُلُنا رجالكُمُ، وتبكينا نساؤكم. فالحاكمُ بيننا وبينكُمُ الله يومَ فصلِ الخطاب. . .

يا أهلَ الكوفةِ سوأةً لكم، ما لكُمْ خذلتُمْ حُسيناً وقتلتُموُه وانتهبتُمْ أموالَهُ، وسبيتُم نساءهُ ونكبتُموه، فتباً لكم وسُحقاً، ويلكم أتدرونَ أيَّ دواهٍ دَهَتْكُم وأيَّ وزرٍ على ظهوركم حَمَلْتُم، وأيَّ دماءٍ سَفَكْتُم، وأيَّ كريمةٍ أصبتُمُوها، وأيَّ صبيَّة أسلمتُمُوها، وأيَّ أموالٍ انتهبتُمُوها، قتلتُم خَيرَ الرجالاتِ بعدَ النبي ونُزِعتْ الرحمةُ من قلوبِكم ألا إنَّ حزبَ الله هُمُ المفلِحُون، وحزبَ الشيطان هم الخاسرون.

ثم قالت:

قتلتم أخي صبراً فويل لامكم
ستجزون ناراً حرّها يتوقدُ
سفكتم دماءَ حرّم الله سفكها
وحرمها القرآن ثم محمّدُ.
ألا فابشروا بالنار انكم غداً
لفي سقر حقاً يقيناً تخلدُوا
وإني لابكي في حياتي على أخي
على خير من بعد النبي سيولدُ

بدمعٍ غزيرٍ مستهلٍ مكفكفٍ

على الخد مني ذائباً ليس يجمد»

فضج الناس بالبكاء ولطمت النساء على الخدود، ودعون بالويل والثبور، فلم ير أكثر باك وباكية من ذلك اليوم.

خطبة السجاد عليه السلام:

وجيء بعليٍّ بنِ الحسين على بعير بلا وطاء والسلاسل على كتفه ويداه مغلولتانِ إلى عُنقِه وأوداجِهِ تشخُبُ دماً فأخذ يقول:

يا أُمَّةَ السُّوءِ لا سُقياً لربعِكُمُ

يا أُمَّةً لم تُراعِ جدَّنا فِينا

لو أنّنا ورسولُ اللهِ يجمعُنا

يومَ القيامةِ ما كنتمُ تقُولونا؟

تسيِّرونا على الأقتابِ عاريةً

كأننا لم نُشيِّد فيكُمُ دينا!

وأومأ إلى الناسِ أن اسكُتُوا، فلما سكتُوا حمدَ الله وأثنى عليه وذكر النبيَّ فصلَّى عليه ثم قال:

«أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرِفني فأنا عليُّ بنُ الحسين بنِ علي بن أبي طالب، أنا ابنُ من انتُهِكت حرمتُهُ، وسُلبت نعمتُه وانتُهِب ماله، وسُبيَ عيالُه. أنا ابنُ المذبوح بشطِّ الفراتِ من غَيرِ ذحل ولا ترات، أنا ابنُ من قُتِل صبراً وكفى بذلكَ فخراً. . .

أيُها الناسُ ناشدتُكُمُ الله، هل تعلمونَ انَّكُم كتبتُم إلى أبي وخدعتُمُوه وأعطيتُمُوه من أنفسِكم العهدَ والميثاقَ والبيعةَ، وقاتلتمُوُه وخذلتُمُوه، فتبّاً لكم لما قدَّمتم لأنفُسِكم، وسوأةً لرأيكم، بأيَّةِ عينٍ تنظرون إلى رسولِ الله، إذ يقولُ لكم: «قتلتم عترتي، وانتهكتُم حُرمتي، فلستُم من أُمتي».

فارتفعت الأصوات بالبكاء وقال بعضهم لبعض هلكتُم وما تعلمون.

ثم قال عليه السلام: «رحِمَ الله امرءاً قَبِل نصِيحَتي، وحَفَظَ وصيَّتي في اللهِ وفي رسولِهِ وأهلِ بيته، فإنَّ لنا في رسولِ الله أُسوةً حسنة».

فقالوا: نحن يابن رسولِ الله سامعونَ مُطيعون حافظونَ لذِمامك، غيرُ زاهدين فيك، ولا راغبين عنكَ، فمُرنا بأمركَ يرحمُكَ الله فإنا حربٌ لحربِك، وسِلمٌ لسِلمكَ، نبرأُ ممن ظلمَكَ وظَلَمنا.

فقال عليه السلام: «هيهاتَ هيهاتَ أيها الغدرةُ المكرةُ، حِيلَ بينكُم وبينَ شهواتِ أنفسِكم، أتريدون أن تأتُوا إليَّ كما أتيتُم إلى أبي من قبل، كلا وربِّ الراقصات، فإنْ الجُرحَ لما يندمل، قُتِل أبي بالأمس وأهلُ بيته ولمْ ينسَ ثكلَ رسولِ اللهِ وثكل أبي وبني أبي، إن وجده والله لبين لهاتي ومرارته بين حناجري وحلقِي، وغُصَّتُه تجري في فراشِ صدري ومسألتي أن لا تكونُوا لنا ولا علينا».

دفن أجساد أهل البيت عليهم السلام:

ولما كان اليَوْمُ الثالثُ عشر من المحرم أقبل عليُ بنُ الحسين زينُ العابدين لدفنِ جسد أبيه الشهيد عليه السلام واجسادِ أهلِ البيت عليهم السلام ولما وصلَ إلى كربلاء وجد بني أسدٍ مجتمعين عندَ القتلى متحيِّرين لا يدرون ما يصنعون ولم

يهتَدُوا إلى معرفتهم، وقد فرَّقَ القومُ بين رؤوسهم وأبدانِهم كانوا يسألون عن أهلِهم وعشيرتِهم!!

فأخبرهم عليه السلام عما جاء إليه من مواراة الأجساد الطاهرةِ وأوقفَهم على اسمائِهم كما عرفهم بالهاشميين من الأصحاب فارتفعَ البكاءُ والعويلُ، وسالتِ الدموعُ منهم كلَّ مسيلٍ.

ثم مَشَى الإمامُ زينُ العابدين إلى جسدِ أبيهِ واعتنقَهُ وبكىٰ بكاءً عالياً، واتى إلى موضعِ القبر ورفعَ قليلاً من التراب فبانَ قبرٌ محفورٌ وضريحٌ مشقوق فبسطَ كفَّيهِ تحتَ ظهرِه وقال: «بسم الله وفي سبيلِ الله وعلىٰ ملةِ رسول الله، صدَقَ الله ورسولُه، ما شاءَ الله لا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله العظيم».

وانزله وحدهُ لم يشاركهُ بنو أسدٍ فيه وقال لهم: «إن معي من يعينني». ولما أَقرَّهُ في لحدِهِ وضعَ خده على منحرِهِ الشريف قائلاً:

«طُوبى لأرضٍ تضمنَت جَسَدكَ الطاهر، فإنَّ الدنيا

بعدكَ مُظلمةٌ والآخرةَ بنورِكَ مشرقةٌ، أما الليلُ فمسهَّد والحزنُ سرمد أو يختارُ الله لأهلِ بيتك داركَ التي أنتَ بها مُقيم وعليكَ مني السلامُ يابن رسولِ الله ورحمةُ الله وبركاته».

وكتب على القبر: «هذا قبر الحسين بنِ علي بن أبي طالبِ الذي قتلُوه عطشاناً غريباً».

ثم مشَى إلى عمِّه العباس عليه السلام فرآه بتلك الحالة فوقعَ عليه يلثم نحره المقدس قائلاً: «على الدنيا بعدكَ العفا يا قمرَ بني هاشم وعليكَ مني السلام من شهيدٍ محتسبٍ ورحمةُ الله وبركاته».

وشقَّ له ضريحاً وأنزلَهُ وحده كما فعلَ بأبيه الشهيد ثم سمحَ لبني أسدٍ بمشاركته في دفنِ الشهداءِ وعيَّنَ لهُمْ موضعين، وأمرهم أن يحفرُوا حفرتين ووضعَ في الأولى بني هاشم وفي الثانية الأصحاب.

وأما الحرُّ الرياحيُّ فأبعدته عشيرته إلى حيث مرقده الآن وقيلَ إنَّ أُمه كانت حاضرةً فلما رأتْ ما يُصنعُ

بالأجساد حملت الحرَّ إلى هذا المكان.

وكـان أقـربُ الـشـهـداء إلـى الـحـسـيـن ولـدُه «الأكبر عليه السلام».

رأس الحسين عليه السلام أمام ابن زياد:

وفي الكوفة جلس ابنُ زيادٍ في قصرهِ، وقد وضعَ رأسَ الحسين أمامه وأذنَ للناسِ إذناً عاماً وأمرَ بادخال السبايا مجلسَه فأُدخِلَتْ عليه حرمُ رسولِ الله بحالةٍ يندى لها جَبينُ كل شريف.

ووضعَ رأس الحسين عليه السلام بين يديه وجعلَ يَنْكُتُ بالقضيبِ ثناياهُ.

فقال له زَيْدُ بنُ أَرْقَم: «إرفعْ القضيبَ عن هاتين الشَّفَتَين فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيتُ شفتي رسولِ الله، ما لا أُحصيه، على هاتين الشفتين يقبّلهما» ثم بكى.

فقال له ابنُ زياد: «أبكى الله عينيك، فوالله لولا أنكَ شيخٌ قد خَرِفْتَ وذهب عقلُك لضربتُ عنقك»!

فخرج زيدٌ من المجلس وهو يقول: «ملكَ عبدٌ عُبُداً فاتخذهم تلداً، انتُم يا معشر العرب العبيدُ بعد اليومَ قتلتُم ابنَ فاطمة وأمّرتم ابنَ مرجانةَ يقتلُ خياركم ويستعبدُ شراركم فرضِيتُم بالذلِ فبعداً لمن رضي بالذل».

وانحازت زينبُ ابنةُ أمير المؤمنين عليه السلام عن النساء وهي متنكرة فنظر إليها ابنُ زياد فقال: من هذه المتنكرة؟

فقيل له هي ابنة علي إنها زينب فقال لها مُتَشَمّتاً: «الحمدُ للهِ الذي فضَحَكم، وقتَلَكم، وأكْذَبَ أُحْدُوثَتَكُمْ».

فقالت عليها السلام: «الحمدُ لله الذي اكرمنا بنبيه محمدٍ، وطهّرنا من الرجسِ تطهيرا، إنما يفتضحُ الفاسقُ. ويُكذِّبُ الفاجرُ. وهو غيرنا».

فقال ابن زياد: «كيفَ رأيتِ صنع اللهِ بأهلِ بيتك؟».

قالت عليها السلام: «ما رأيتُ إلا جميلا. هؤلاء قومٌ كتبَ الله عليهم القتلَ فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمعُ الله بينك وبينهم فتُحاجُ وتخاصمُ فانظرْ لمن الفَلَجُ يومئذ ثَكلتك أُمكَ يابن مرجانة».

فغضبَ ابنُ زيادٍ واستشاط من كلامِها معه في ذلك المُخْتَشَد وهمَّ أن يضربهْا.

فقال له عَمْرُو بنُ حريث: «إنها امرأةُ وهل تؤاخَذُ بشيء من منطقها. ولا تُلام على خَطَل!».

فالتفت إليها ابنُ زياد وقال: «لقد شفى الله قلبي من طاغيتِكِ والعصاةِ المردةِ من أهل بيتك. !».

فقالت زينب عليها السلام: «لَعَمْرِي لقد قتلتَ كهلي وابرزتَ أهلي وقطعتَ فرعي واجتثثت أصلي فان يُشفِكَ هذا فقد اشتَفَيْت وإني لأعجبُ ممن يشتفى بقتل أئمته وهو يعلم أنهم منتقمون منه في آخرته».

والتفت ابنُ زياد إلى عليّ بن الحسين وقال له: ما أسمك؟

قال: «أنا علي بن الحسين».

فقال له: أولم يقتل الله علياً؟

فقال السجاد عليه السلام: «كان لي أخٌ أكبرُ مني يُسمّى علياً قتلهُ الناس».

قال ابن زياد: بل الله قتله.

فقال السجاد: «الله يَتوفىٰ الأنفسَ حين موتها، وما كانَ لنفسٍ أن تموتَ إلا بإذنِ الله».

فقال ابنُ زياد: «ولك جُرأةٌ على جوابي» فغضب ابن زياد من ردّه على كلامه وأمر أن تُضرب عنقَهُ. فتعلقت به عمَّتُه زينب وصرخت في وجه ابن زياد قائلة: «حسبُكَ يابن زياد من دمائنا ما سفكتَ وهل ابقيتَ أحداً غيرَ هذا فإن اردتَ قتله فاقتلني معه».

فقال السجاد عليه السلام: «أبالقتلِ تهددني يابن زياد؟ أما علمتَ أن القتلَ لنا عادةٌ وكرامتنا من الله الشهادة».

فنظر ابن زياد إليهما وقال: «دعوه لها. عجباً للرحم ودت أنها تقتل معه».

وأخذت الرباب زوجةُ الحسين الرأس ووضعته في حجرها وقبلته وقالت:

واحسيناً فلا نَسِيتُ حُسيناً

اقصدته اسنةُ الأعداءِ

غـــادرُوه بــكــربـــلاء صَـــريـــعـــاً

لا ســقــىٰ الله جــانــبــي كــربــلاءِ

والتفت ابنُ زياد إلى امِّ كلثوم، فقال لها: «الحمد لله الذي قتلَ رجالكم، فكيفَ تَرونَ ما فعل بكم؟».

فقالت أم كلثوم: «يابن زياد لئن قرّت عينُك بقتلِ الحسين فطالما قرّت به عين جدّه، وكانﷺ يقبّله ويلثم شفتيه ويضعُه على عاتقه.

يابن زياد أعِدَّ لجدِّه جواباً، فإنه خصمُك غداً».

ولما ضجَّ الحاضرون لما رَأَوا وسمعُوا، وزاد لغطُ أهل المجلس، خاف ابن زياد هياجَ الناس، فأمر الشرطة بحبس الأسرى في دار جنبَ المسجد الأعظم..

قال حاجبُ ابنِ زياد: «كنتُ معهم حين أمرَ بهم إلى السجن، فرأيت النساءَ والأطفالَ مجتمعين يبكون وينتحبون فيما بينهم.

وقالت زينبُ بنتُ عليٍّ عليها السلام: «لا لا يدخُلَنَّ علينا عربيةٌ إلاّ أم ولد، أو مملوكةٌ، فانهن سُبِين كما سبينا».

وفي اليوم التالي دعا ابنُ زيادٍ مرة اخرى الأسرى فلما أُدخِلوا عليه رَأَيْنَ النّسوةُ رأسَ الحسين بين يديه فلم تتمالك «الربابُ» زوجة الحسين دون أن وقعت عليه تقبّله وقالت:

إنَّ الذي كانَ نوراً يستضاءُ به
بكربلاء قتيلٌ غيرُ مدفونِ
سبطُ النبيِّ جزاكَ الله صالحةً
عنا وجُنِّبْتَ خسرانَ الموازينِ
قد كنتَ لي جبلاً صعباً ألوذُ به
وكنتَ تَصْحَبُنا بالرحمِ والدِّينِ
مَنْ لليتامى ومَنْ للسائلين ومَنْ
يعني ويأوي إليه كلُّ مسكينِ
واللهِ لا ابتغي صهراً بصهركم
حتى اغيَّب بينَ الماءِ والطِّينِ

ثورة ابن عفيف:

ثم ان ابنَ زيادٍ أمر أن يُنادى الصلاة جامعة فاجتمعُوا

في الجامع الأعظم فصعد المنبرَ فقال: «الحمدُ لله الذي اظهَرَ الحقَّ وأهلَهُ ونصَرَ اميرَ المؤمنين يزيد وحزبَهُ وقتل الكذَّابَ ابنَ الكذابِ الحسينَ بنَ عليّ وشيعتَه.

فنهض من بين الناس عبدُ اللهِ بنِ عَفيفِ الأزديّ وكان رجلاً تابعياً قاتلَ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد ذهبَت عينُهُ اليسرى في يوم الجمل وعينُهُ اليمنى في يوم صفين صارخاً في وجهه قائلاً:

«إنَّ الكذابَ ابن الكذاب أنت وأبوك، والذي ولاك وأبوه، يا عدوّ الله اتقتلونَ أبناءَ النبيين وتتكلمونَ بكلامِ الصديقينَ».

فقال ابن زياد «من هذا المتكلم؟».

قال ابن عفيف: «أنا المتكلم يا عدو الله! تقتلونَ الذريةَ الطاهرَة التي أذهبَ الله عنهم الرجس وتزعُمُ أنك على دين الإسلام؟، واغوثاهُ أينَ أولادُ المهاجرين والأنصار لينتقمُوا من طاغيتك اللعين ابنِ اللعين على لسانِ محمد رسول رب العالمين».

فازداد غضب ابن زياد فصرخ بشرطته «عليّ به».

فقامت إليه الشرطة.

فنادى ابنُ عفيف بشعار قبيلة الأزد «يا مبرور» فوثب إليه عددٌ كثير ممن حضر من رجالهم وانتزعُوه وأتَوْا بِهِ أهلَه.

وقال له عَبدُ الرحمنِ بنِ مخنفِ الأزْدِيّ: «ويح غيرك لقد أهلكتَ نفسكَ وعشيرتك».

ثم أمر ابنُ زياد بحبسِ جماعة من الأُزْد وارسل في الليل جماعةً من شرطته وجلاوزته إلى منزلِ ابن عفيفٍ ليعتقلُوه، ولما عرف قومُهُ بذلك تجمعوا وانضم إليهم أحلافُهم مِن اليمن فاقتتلوا اَشدَ قتال وقُتِل من الفريقين جماعة ووصل جندُ ابنِ زياد إلى دار ابن عفيف واقتحموا الدار فصاحتِ ابنتُه: «اتاك القوم من حيث تحذر».

فقال لها: «لا عليك، ناوليني سيفي» فناولته إياه فجعل يذب به عن نفسه ويقول:

أنا ابنُ ذِي الفضلِ العفيفِ الطاهرِ

عفيفُ شيخي وابنُ امِ عامرِ

كـم دارعٍ مـن جـمـعـكـم وحـاسـرِ

وبــطــلــغ جــدلــتــهُ مــغــادرِ

وابنتُه تقولُ له: ليتني كنتُ رجلاً أذبُ بين يديك هؤلاءِ الفجرةَ قاتلي العترةِ البررة.

ولم يقدر أحد منهم أن يدنو منه فكان كلّما هجموا عليه من جهةٍ تقول له ابنته: «أتاكَ القومُ من جهة كذا» ولما أحاطوا به صاحت: «واذلاه يحاطُ بأبي وليس له ناصرٌ يستعين به» ودان يدور بسيفه ويقول:

أُقسِمُ لـو يُفْسَحُ لي عن بَصَرِي

ضـاقَ عـليكُـم مَوردِي ومَصْدَرِي

وبعد أن تكاثروا عليه وجرحوه أخذُوه وأتَوا به إلى ابن زياد فقال له ابن زياد: الحمد لله الذي اخزاك.

فقال ابن عفيفٍ: وبماذا أخزاني؟

والله لــو فــرَّجَ لــي عــن بــصــري

ضـاقَ عـليكُـم مـوردي ومـصـدري

قال ابن زيادٍ يا عدوَ الله ما تقولُ في عثمان؟».

فشتمهُ ابن عفيف وقال: «ما أنت وعثمان أَساءَ أم أَحسن، أصلَحَ أم أفسَدْ وان الله تبارك وتعالىٰ وليُّ خلقِهِ يقضي بينهم وبين عثمانَ بالعدلِ والحق، ولكن سلني عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه».

فقال ابن زياد: «لا سألتك عن شيء، ولتذوقَ الموتَ غصةً بعد غصة».

قال ابن عفيف: «الحمدُ لله رب العالمين أما أني كنت أسألُ ربي أن يرزقُني الشهادةَ من قبلِ أن تلدكَ أُمك وسألتُ الله أن يجعلَها على يدي ألعن خلقِهِ وأبغضِهم إليه ولما كفَّ بصري يئستُ من الشهادة أما الآن والحمدُ لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها وعرّفني الإجابةَ في قديمِ دعائي».

فأمر ابن زياد بقتله فضرَبُوا عنُقَه وصلَبُوه في السبخة.

ودعا ابنُ زياد بجُندبِ بنِ عبدِ الله الأزدي وكان شيخاً كبيراً فقال له: «يا عدوَ الله أَلستَ صاحبَ أبي ترابٍ في صفين؟».

قال: «نعم واني لأُحبهُ وافتخرُ به وامقُتُكَ وأباكَ سيّما الآن وقد قتلتَ سبطَ الرسولِ وصحبَه وأهلَه ولم تَخَفْ من العزيزِ الجبّار المنتقم».

فقال ابن زياد: «إنك لأقلُّ حياءً من ذلك الأعمى واني ما أراني إلا متقرباً إلى الله بدمك».

فقال ابن جندب: «إذاً لا يقربك الله».

وخاف ابن زياد من نهوض عشيرته فتركه وقال: إنه شيخ ذهبَ عقله وخَرِفَ وخلّى سبيله.

ولما أصبحَ عُبيدُ الله بن زياد بعث برأس الحسين عليه السلام فداروا به في سككِ الكوفةِ وقبائلها. وقد روي عنْ زَيْدِ بن أرقم انه مرَّ بهِ الرأس الشريف وكأنه سمعهُ يتلو قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ فتوقفَ شعري على بدني، فقلتُ: «يابن رسول الله رأسُكَ اعجبُ وأعجبُ».

أما ابن زياد فعاد من جديد يخطبُ في المسجد وكان المختارُ بنُ أبي عُبيدِ الثَّقَفِيّ مطلقَ السراح بشفاعةِ عبد الله

بن عُمرِ بنِ الخطابِ إذ كان زوجُ اختهِ صفيةُ بنتِ أبي عبيد الثقفي ولما خطبَ ابنُ زياد بعد قتل ابن عفيف ونال من عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ثار المختارُ في وجههِ وشتمه وقال: «كذبتَ يا عدوَ الله وعدوَ رسوله، بل الحمد لله الذي أعزَّ الحسين وجيشه بالجنةِ والمغفرة واذلَّك وأذلَّ جيشك بالنارِ والخزيِ» فضربه ابن زياد بعمود حديد فكسر جبهته وأمرَ به إلى السجن. ثم تشفع فيه ثانياً عبدُ الله بن عمر عند يزيد فكتبَ إلى عبيد الله بن زياد بإطلاقه.

تشفي بني أمية من قتل الحسين:

قال ابنُ جرَير: أرسلَ ابنُ زياد رجلاً إلى المدينة يخبر واليه عمرو بن سعيدِ الاشدق بقتلِ الحسين وأمرهُ أن يجدَّ السير فإن قامت به الراحلةُ يشتري غيرها ولا يسبقهُ الخبرُ من غيره فسارَ مجداً حتى إذا وصل المدينة وأمر المنادي أن يعلن بقتل الحسين في أزقة المدينة فلم يُسمعْ ذلك اليوم واعيةٌ مثل واعيةِ نساءِ بني هاشم في دُورهن على سيدِ شبابِ أهل الجنة واتصلتِ الصيحةُ بدارِ

«الأشدق» فضحكَ وتمثل بقولِ عمرو بن معد يكرب:

عـجّـت نـسـاءُ بـنـي زيـادٍ عـجّـةً
كـعـجـيـجِ نـسـوتـنـا غـداةَ الأرنـبِ

ثم قال: «واعية بواعية عثمان».

والتفت إلى قبر رسول الله وقال: «يوم بيوم بدر يا رسول الله» فأنكر عليه قوم من الأنصار.

ثم رقى المنبر وقال: «أيها الناس إنها لَدْمَةٌ بلدمة، وصَدْمَةٌ بصدمة، كم خطبةٍ بعد خطبة حكمةٍ بالغة فما تغني النذر، لقد كان يسبُّنا ونمدحُهُ ويقطعُنا ونصِلُهُ كعادتنا وعادته ولكن كيف نصنعُ بمن سلَّ سيفَهُ علينا يريد قتلنا إلا أن ندفعَه عن أنفسنا».

فقام إليه عَبدُ اللهِ بنُ السائبِ وقال: لو كانتْ فاطمةُ حيةً ورأتْ رأس الحسينِ لبكت عليه.

وكان والي يزيد هذا على المدينة فظاً غليظاً قاسياً أمرَ صاحبَ شرطتِهِ على المدينة بعدَ قتلِ الحسين أن يهدمَ دورَ بني هاشم ففعل وبلغَ منهم كل مبلغٍ وهدمَ دارَ ابنَ مُطيعٍ

وضربَ الناسَ ضرباً شديداً.

وخرجت بنتُ عقيل بنِ أبي طالب في جماعةٍ من نساء قومها حتى انتهت إلى قبر النبيﷺ فلاذتْ بهِ وشهقتْ عنده ثم التفتتْ إلى المهاجرين والأنصار تقول:

مـاذا تـقُـولُـونَ إنْ قـالَ الـنـبـيُّ لـكـمْ
يومَ الحسابِ وصدقُ القولِ مسموعُ
خَـذلـتـمُ عِـتـرتـي أو كـنـتُـمُ غـيـبـاً
والحـقُّ عـنـدَ وليِّ الأمـيـرِ مجـمـوعُ
اسلمتمُوهُمْ بأيدي الظالمين فما
مـنـكُـمْ لـه اليومَ عـنـدَ الله مـشـفـوعُ
ما كانَ عندَ غداةِ الطفِّ إذ حضرُوا
تـلـكَ المنـايـا ولا عـنـهُـنَّ مـدفـوعُ

فأبكتْ من حضرَ ولم يُر بالمدينة باكٍ وباكيةٌ أكثر من ذلك اليوم.

بنو هاشم في عزاء الحسين:

لما ورد نعيُ الحسين إلى المدينة جلس عبدُ الله بنُ

جعفرٍ للعزاء وأقبلَ الناسُ يعزونه فقال مولاه (أبو اللسلاس): هذا ما لقيناهُ من الحسين!! فرماهُ بنعله وقال: «يابن اللَّخْناءِ ألِلحسينِ تقولُ ذلك؟! والله لو شهدتُه لأحببت أن لا أُفارقه حتى أقتل معه، والله انه لمما يسخى بنفسي عن وَلدَيَّ ويهون عليّ المصاب بهما أنهما أُصيبا مع أخي وابنِ عمي مواسِيَين له صابرَين معه».

ثم أقبل على جلسائه وقال: «الحمد لله لقد عزّ عليَّ المصابُ بمصرعِ الحسين أن لا أكونَ واسيتُه بنفسي، فلقد واساهُ ولداي.

وكان ولداه من زينب عليها السلام قد قُتِلا في كربلا، مع الحسين عليه السلام.

عبد الله بن عباس يعاتب يزيد:

لما اعلن عبد الله بن الزُّبير التمردَ في مكة، امتنعَ عبد الله بنُ عباس عن بيعته، فظن يزيد أنه انما فعل ذلك وفاءً منه ليزيد فكتب إليه رسالة جاء فيها:

«أما بعد فقد بلغني أن الملحدَ ابنَ الزبير دعاك إلى بيعتهِ والدخولِ في طاعته لتكون على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً، فامتنعتَ عليه وانقبضتَ عنه لما عرفك الله في نفسك من حقنا أهلَ البيت فجزاكَ أفضلَ ما جزى الواصلين عن أرحامهم الموفين بعهودهم، ومهما انسى من الأشياءِ فلا أَنسى وصلكَ وحسنَ جائزتِك التي أنت أهلُها في الطاعةِ والشرفِ والقرابة من رسول الله ﷺ فانظر من قبلك من قومك، ومن يطرأُ عليك من أهلِ الآفاق ممن يسحرهُ ابن الزبير بلسانه وزُخرفِ قولهِ فاجذبهم عنه فإنهم لك أطوعُ ومنك أسمعُ منهم للملحد المارق والسلام».

فكتب إليه ابن عباس الجواب التالي:

«أما بعدُ فقد جاء في كتابكَ تذكر فيه دعاء ابن الزبير إيَّاي إلى بيعته وأني امتنعت عليه معرفةً لحقك فإن يكنْ ذلك كذلك فلستُ أرجو بذلك برَّك، ولكن الله بما أنوي عليمٌ. وكتبتَ إليّ أنه احثَّ الناس عليك واخذْلَهم عن ابن الزبير فلا ولا سرور ولا حبُور، بفيكَ الكثكث ولك

الاثلب وانك العازبُ الرأي أن متّتكَ نفسُك وإنك لأنت المنقودُ المثبور!! وكتبت إلي بتعجيل بِرّي وَصِلَتِي، فاحبسْ أيها الإنسانُ برَّكَ فاني حابسٌ عنك ودي ونصرتي، ولعمري ما تعطِينا مما في يدك لنا إلا القليل وتحبس منه الطويل العريض لا أباً لك.. أتراني انسى قتلك حسيناً وفتيانَ بني عبدِ المطلب، ومصابيحَ الدجى، ونجومَ الهدى، وأعلامَ التقى وغادَرَتْهُم خيولُك بأمرك فاصبحوا مصرَّعين في صعيدٍ واحد مرمّلين بالدماءِ مسلوبين بالعراء لا مكفَّنين ولا موسَّدين تَسفي عليهم الرياح وتغزوهُمُ الذئابُ وتنتابُهُم عُوجُ الضباعِ حتى أتاحَ الله لهم قوماً لم يشركُوا في دمائِهم فكفّنوهم وأجنّوهم وبهِم والله وبي من الله عليك العذاب.! ومهما انسى من الأشياء فلستُ أنسى تسليطَكَ عليهم الدعيَّ ابن الدعيِّ الذي كان للعاهرةِ الفاجرة البعيدِ رَحِماً اللئيمِ أباً وأماً الذي اكتسبَ أبوكَ في ادعائِهِ العارَ والمأثَمَ والمذلةَ والخزيَ في الدنيا والآخرةِ لأن رسول الله قال: «الولدُ للفراشِ وللعاهرِ الحجر» وإن

أباكَ يزعمُ أن الولدَ لغيرِ الفراش ولا يضيرُ العاهرَ ويلحق به ولده كما يلحق به الولد الرشيد! ولقد أمات أبوكَ السنَّة جهلاً واحيا الأحداثَ المضلة عمدا. . .

ومهما أنسى من الأشياء فلستُ أنسى تسييركَ حسيناً من حَرَمِ رسول الله إلى حَرَمِ الله تعالى وتسييرك إليه الرجالَ وادساسِكَ إليهم أن يقتلوه فما زلتَ بذلك وكذلك حتى اخرجتَهُ من مكة إلى أرضِ الكوفة تزأرُ به خيلُكَ وجنودُكَ زئيرَ الأسد عداوةً منكَ لله ولرسولهِ ولأهل بيته!! ثم كتبتَ إلى ابن مرجانة أن يستقبلَهُ بالخيلِ والرجالِ والأسنَّةِ والسيوفِ وكتبتَ إليه بمعاجلتِهِ وتركِ مطاولتِهِ حتى قتلته ومن معه من فتيان بني عبد المطلب أهل البيت الذين اذهبَ الله عنهم الرجسَ وطهّرهم تطهيراً ونحنُ كذلك لا كآبائك الجفاةِ اكبادِ الحمير ولقد علمتَ أنه كان أعز اهلِ البطحاءِ قديماً واعزَّه بها حديثاً لو ثوى بالحرمينِ مقاماً واستحلَّ بها قتلاً ولكنه كرهَ أن يكون هو الذي يُستَحَلُّ بهِ حرَمَ الله وحرَمَ الرسول وحُرمةَ البيت الحرام فطلبَ الموادَعةَ وسألكم الرجعةَ فطلبتم قلةَ انصاره واستئصالَ

أهلِ بيته كأنكم تقتلون أهلَ بيت من التركِ أو كابل! . . وكيف تجدني على وُدِّك وتطلبُ نصري فقد قتلتَ بني أبي وسيفُكَ يقطر من دمي وانت طلبَةُ ثاري فان شاء الله لا يطل إليك دمي ولا تسبقني بثأري وان تسبِقْنا فقتلتنا ما قتلت به النبيون فطلب دمائهم في الدماء وكان الموعدُ الله وكفى بالله للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقماً. . . !

والعجَبُ كل العجبِ ما عشتَ يريك الدهر عجباً حملُكَ بناتُ عبد المطلب وأبناؤهم أغيلمةٌ صغاراً إليك بالشام ترى أنك قهرتنا وانك تذلُّنا وبهم والله وبي من الله عليك وعلى أبيك وامك من السباء. . . وأيْمُ الله إنك لتصبحُ وتمسي آمناً لجراح يدي وليعظمن جرحَكَ بلساني ونقضي وابرامي لا يستفزنَّك الجدل فلن يُمهلكَ الله بعد قتل عترة رسول الله إلا قليلاً حتى يأخُذَكَ الله اخذاً عزيزاً ويخرجَك من الدنيا آثماً مذموماً فعشْ لا أبا لك ماشئتَ ولقد أرداك عندَ الله ما اقترفت».

إبن زياد يرسل السبايا إلى الشام:

وبعث ابنُ زيادٍ رسولاً إلى يزيد يُخبره بقتل الحسين ومن معه وأن عيالَهُ في الكوفة وينتظرُ امره فيهم.

فأمر ابن زياد أن تكتب رقعةٌ ربطَ فيها حجراً ورماه في السجن المحبوس فيه آلُ محمدٍ ﷺ وجاء فيها: «خرج البريدُ إلى يزيد بأمركم في يوم كذا ويعود في كذا، فإذا سمعتم التكبير فأوصُوا وإلا فهوَ الأمان».

ورجع البريد من الشام يأمر ابن زياد بأن يرسلَ آل الحسين ورؤوس الشهداء إلى الشام.

فأمر ابنُ زياد جماعة من أهل الكوفة أن يحملوا رأسَ الحسين ورؤوسَ من قُتِل معه إلى يزيد.

وسرَّح في أثرهم عليَّ بن الحسين مغلولةً يديه إلى عنقهِ وعياله معه على حالة مزريةٍ ووضع مشين.

وكان معهم شمرُ بن ذي الجَوشن، وشبثُ بن ربعي وأمرهم أن يلحقوا الرؤوس ويشهروهم في كل بلد يأتونها فجدّوا السير حتى لحقوا بهم في بعض المنازل.

وقبل أن يصلوا إلى الشام وضعُوا الرأس على صخرةٍ هناك فسقطتْ منه قطرةُ دمٍ على الصخرة فكان يجتمعُ الناسُ هناك من الأطراف فيقيمونَ المأتمَ على الحسين ويكثرُ العويلُ حولها وبقي هذا إلى أيام عبد الملكِ بن مروان فأمرَ بنقلِ الحجر من موضعه ومنع التباكي عنده، غير أن الحمدانيين بنوا حولَهُ مشهداً عُرف بمشهد النقطة وهو مقامٌ معروفٌ في حلب كما أن بالمدينة نفسها مشهدٌ يعرف بمشهد السقط، وذلك أن سبايا الحسين لما وصولا إلى هذا المكان اسقطت احدى زوجات الحسين سقطاً كان يسمى (محسناً).

دخول السبايا على يزيد:

وسار القومُ برأس الحسين عليه السلام ونسائِهِ والأسرى من رجاله، فلمّا قربُوا من دمشق دنت أُمُّ كلثوم من شمر وكان في جملتهم فقالت: لي إليك حاجة.

فقال: ما حاجتك؟

فقالت: «إذا دخلتَ بنا البلد، فاحملنا في درب قليل

النَّظّارة وتقدَّمْ إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل، وينحّونا عنها فقد خُزينا من كثرة النظر إلينا، ونحن في هذه الحال».

فأمر في جواب سؤالها أن تجعل الرؤوس على الرِّماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً، وسلك بهم بين النَّظّارة على تلك الصفة.

وفي أول يوم من صفر دخلوا دمشق فاوقفوهم على (باب الساعات) وقد خرج الناس بالدفوف والطبول وهم في فرح وسرور، ودنا رجلٌ من «سكينة» بنت الحسين وقال: من أي السبايا أنتم؟

قالت: نحن سبايا آل محمدﷺ.

وكان يزيدُ جالساً في منظرة على «جيرون» ولما رأى السبايا والرؤوس على أطراف الرماح وقد اشرفوا على مدخلِ المدينة نعبَ غرابٌ فأنشأ يزيدُ يقول:

لمّا بدَتْ تلكَ الحمولُ واشرَقَتْ

تلكَ الرؤوس على رُبى جيرونِ

نَعَقَ الغرابُ فقلتُ صِح، أو لا تصِحْ

فلقدْ قضيتُ من النبيِّ ديوني

يقول سَهْلُ بنُ سَعْدٍ: «خرجتُ إلى بيت المقدس حتى توسّطت الشام فإذا أنا بمدينة مطَّردةِ الأنهار كثيرةِ الأشجار قد علَّقُوا السّتورَ والحُجُبَ والدِّيباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساءٌ يلعبن بالدُّفوف والطّبول، فقلتُ في نفسي: لا نرى لأهلِ الشّام عيداً لا نعرفه نحن، فرأيتُ قوماً يتحدَّثون فقلت: يا قومُ لكم بالشام عيدٌ لا نعرفه نحن؟

قالوا: يا شيخ نراك أعرابيّاً.

فقلت: أنا سَهْلُ بنُ سَعدٍ صاحب رسول الله محمَّدٍ ﷺ.

قالوا: هذا رأس الحسين عليه السلام عترةِ محمّد ﷺ يُهدى من أرض العراق.

فقلت: «واعجباه يُهدى رأسُ الحسين، والناس يفرحون؟ ثم سألتهم: من أي بابٍ يدخلون؟ فأشاروا إلى

بابٍ يقال له باب الساعات.

وبينا أنا كذلك، وإذا رأيتُ الرايات يتلو بعضها بعضاً، فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السِّنان عليه رأسٌ من أشبهِ الناس وجهاً برسول الله، وكان وراؤه نسوة على جمالٍ بغير وطاء فدنوت من إحداهن فقلتُ لها: يا جارية من أنتِ؟ فقالت: أنا سُكَيْنَةُ بنتُ الحسين عليه السلام.

فقلت لها: ألك حاجة إليَّ فأنا سهلُ بنُ سعد ممّن رأى جدك وسمعت حديثه.

فقالت يا سعد قل لصاحبِ هذا الرأس أن يقدم الرأس أمامنا حتى يشتغل الناسُ بالنظر إليه، ولا ينظروا إلى حرم رسول الله.

قال سهل: فدنوتُ إلى حامل الرأس فقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربعمائة دينار؟

قال: ما هي؟

قلت: تقدم الرأس أمام الحرم ففعل ذلك، فدفعت إليه ما وعدته».

ووضع الرأس في «حقة» ودخلوا على يزيد، فدخلتُ معهم، وكان يزيدُ جالساً على السرير، وعلى رأسه تاجٌ مكللٌ بالدر والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قريش، فلما دخل صاحبَ الرأس أخذ يقول:

إمـــلأ ركـــابــي فــضــةً أَوْ ذهــبــا
إني قـتـلـتُ الـسـيّـد المحـجّـبـا
قـتـلـتُ خـيـرَ الـنـاس أُمـاً وأبـا
وخـيـرُهـم إذ يـنـسـبـون الـنـسـب

فقال له يزيد: «لو علمتَ أنه خيرَ الناس فلم قتلته؟

فقال: «إنما رجوت الجائزة منك».

ولما وضعوا الرأس أمام يزيد قال شامتاً: «كيفَ رأيت يا حسين».

قالوا: وجاء شيخٌ فدنا من نساء الحسين وعيالِه، وقد أقيموا على درجِ باب المسجد، فقال: الحمدُ لله الّذي قتلكم وأهلككم، وأراحَ البلادَ من رجالكم وأمكنَ أمير المؤمنين منكم.

فقال له عليُّ بن الحسين: يا شيخ هل قرأت القرآن؟

قال: نعم.

قال: فهل قرأت هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

قال الشيخ: قد قرأتُ ذلك.

فقال له عليُّ: فنحنُ القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآيــة: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

قال: نعم.

قال عليٌّ: فنحن القربى يا شيخ، وهل قرأت هذه الآيــة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال الشيخ: قد قرأت ذلك.

قال عليٌّ: فنحنُ أهلُ البيت الّذين خصّصنا بآية الطهارة يا شيخ!

فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به ثم قال: بالله إنّكم هم؟

فقال عليُّ بن الحسين: تالله إنّا لنحن هم من غير شكّ، وحقِّ جدِّنا رسول الله إنّا لنحن هم فبكى الشيخ، ورفعَ رأسه إلى السماء وقال: اللَّهم إني أبرأ إليك من عدوِّ آل محمّد من جنٍّ وإنس ثمَّ قال: هل لي من توبة؟ فقال له: نعم، إن تبت تاب الله عليك، وأنت معنا، فقال: أنا تائب، فبلغ يزيدَ بن معاوية حديثَ الشيخ فأمر به فقتل.

وقبل أن يدخلوهم إلى مجلس يزيد أتوهم بحبال فربطوهم بها، فكان الحبل في عنق زين العابدين إلى زينبَ وباقي بناتِ رسول الله ﷺ وكلما قصّروا عن المشي ضربوهم حتى أوقفوهم بين يدي يزيد وهو على سريره، فقال علي بن الحسين عليه السلام: «يا يزيد ما ظنك برسول الله لو يرانا على هذه الحال؟».

فأمر بالحبال فقطعت.

ثم وضع الرأس المقدَّس بين يدي يزيد وهو ضاحك مسرور.

فالتفت إلى النعمان بن بشير وقال: الحمد لله الذي قتله.

فقال النعمان قد كان أمير المؤمنين معاوية يكره قتله.

فقال يزيد: قد كان ذلك قبل أن يخرجَ ولو خرجَ على أمير المؤمنين لقتله.

يزيد مع السجاد:

والتفت يزيد إلى علي بن الحسين فقال: يا علي كيف رأيتَ صنعَ الله بأبيك الحسين؟.

قال السجادُ: «رأيت ما قضاهُ الله عزَّ وجل قبل أن يخلقَ السماوات والأرض!».

وشاور يزيد من كان حاضراً عنده في أمره فاشاروا عليه بقتله!

فقال زين العابدين عليه السلام: «يا يزيد لقد أشارَ عليكَ هؤلاء بخلاف ما أشارَ به جلساءُ فرعون عليه حين شاورهم في موسى وهارون فانهم قالوا له: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ ولا يقتل الأدعياءُ أولادَ الأنبياء وابناءهم».

فأمسك يزيد مطرقاً. ثم قال:

﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

فقال علي بن الحسين: «ما هذه فينا نزلت إنما نزل فينا ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ فنحن لا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما آتانا» فأنشد يزيد قول الفضل بن العباس بن عتبة:

مهلاً بني عمّنا مهلاً موالينا

لا تنبشُوا بيننا ما كان مدفونا

وأمر يزيد الخطيب أن يصعدَ المنبر ويثني على معاوية وينالَ من الحسين وآله فصعد الخطيب المنبّر واكثر من الوقيعة في علي والحسين، فصاحَ به السجاد عليه السلام «بفيك أيّها القائل لقد اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوأ مقعدك من النار».

وقال ليزيد: «أتأذنُ لي أن أرقى هذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه لله تعالى رضاً ولهؤلاء الحاضرين أجرٌ وثواب»

فأبى يزيد، وألح الناس عليه فلم يقبل فقال له ابنه معاوية إئذن له، فما قدرُ أن يأتيَ به هذا الفتى.

فقال يزيد إن هؤلاء قوم ورثوا العلم والفصاحة وزُقوا العلم زقاً، فما زالوا يصرّون عليه حتى أذن له، وقال لعلي ابن الحسين: «نعم. على أن لا تقول هجراً». فقال علي ابن الحسين: «لقد وقفتُ موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر».

ثم أنه صعد المنبر، فحمد الله واثنى عليه، وقال:

«الحمد لله الذي لا بدايةَ له، والدائمُ الذي لا نفادَ له، والأولِ الذي لا أوليةَ له، والآخرِ الذي لا آخرية له، والباقي بعد فناءِ الخلق، قدّر الليالي والأيام، وقسَّم فيما بينهم الأقسام، فتباركَ الله الملكُ العلام»

ثمَّ قال: «أيّها الناس أُعطينا ستّاً وفُضّلنا بسبع: أُعطينا العلمَ، والحِلمَ، والسماحةَ، والفصاحةَ، والشجاعةَ، والمحبَّةَ في قلوب المؤمنين، وفُضّلنا بأنَّ منّا النبيَّ المختار محمّداً، ومنّا الصدِّيق، ومنّا الطيّار، ومنّا

أسد الله وأسد رسوله، ومنّا سبطا هذه الأُمّة، ومن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأتُهُ بحسبي ونسبي. . .

أيّها الناس أنا ابنُ مكّة ومنى، أنا ابنُ زمزمَ والصفا، أنا ابنُ من حملَ الركنَ بأطرافِ الرّدا، أنا ابنُ خيرِ من ائتزر وارتدى، أنا ابنُ خيرِ من انتعل واحتفى، أنا ابنُ خيرِ من طافَ وسعى، أنا ابنُ خيرِ من حجّ ولبّى، أنا ابنُ من حُمِلَ على البُراق في الهوا، أنا ابنُ من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابنُ من بلغَ به جبرئيل إلى سدرةِ المنتهى، أنا ابنُ من دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابنُ من صلّى بملائكة السماء، أنا ابنُ من أوحى إليه الجليلُ ما أوحى، أنا ابن محمّدٍ المصطفى، أنا ابنُ عليٍّ المرتضى، أنا ابنُ من ضرَبَ خراطيمَ الخلق حتّى قالوا: لا إله إلاّ الله. . . أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفينِ، وطعن برمحين، وهاجرَ الهجرتين، وبايعَ البيعتين، وقاتلَ ببدرٍ وحُنين، ولم يكفُر بالله طرفةَ عين، أنا ابنُ صالحِ المؤمنين، ووارثِ النبيّين، وقامعِ الملحدين،

ويعسوبِ المسلمين، ونورِ المجاهدين وزينِ العابدين، وتاجِ البكّائين، وأصبرِ الصابرين، وأفضلِ القائمين من آل ياسين رسولِ ربِّ العالمين، أنا ابنُ المؤيَّدِ بجبرئيل، المنصورِ بميكائيل، أنا ابنُ المحامي عن حرمِ المسلمين، وقاتلِ المارقين والناكثين والقاسطين، والمجاهِد أعداءه الناصبين، وأفخرِ من مشى من قريش أجمعين، وأوَّلِ من أجاب واستجابَ لله ولرسولهِ من المؤمنين، وأوَّلِ السابقين، وقاصمِ المعتدين، ومبيدِ المشركين، وسهم من مرامي اللهِ على المنافقين، ولسانِ حكمةِ العابدين، وناصِر دين الله، ووليِّ أمرِ الله، وبستانِ حكمة الله، وعيبةِ علمه . . .

سمحٌ ، سخيٌّ، بهيٌّ، بهلولٌ، زكيٌّ، أبطحيٌّ، رضيٌّ، مِقدامٌ، هُمامٌ صابرٌ، صوَّامٌ، مهذَّبٌ، قوَّامٌ، قاطعُ الأصلاب، ومفرّقُ الأحزابِ، أربطهُم عناناً، وأثبتُهم جناناً، وأمضاهُم عزيمةً، وأشدُّهم شكيمةً، أسدٌ باسل، يطحنُهم في الحروب إذا ازدلفتِ الأسنّةُ، وقربتْ الأعنّةُ، طَحْنَ الرّحى ويذروهم فيها ذَرْوَ الرّيح الهشيم، ليثُ

الحجازِ، وكبشُ العراقِ، مكّيٌّ، مَدنِيٌّ، خيفيٌّ، عقبيٌّ، بدريٌّ، أُحديٌّ، شجريٌّ، مُهاجريٌّ، من العرب سيّدُها، ومن الوغى ليثُها، وارثُ المشعرين وأبو السبطين الحسن والحسين، ذاك جدّي عليُّ بن أبي طالب. . .

ثمَّ قال: أنا ابنُ فاطمةَ الزَّهراءِ، أنا ابنُ سيّدةِ النساء»

فلم يزل يقول: «أنا، أنا»، حتّى ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن يكون فتنة فأمر المؤذّن فقطع عليه الكلام، فلمّا قال المؤذّن الله أكبر الله أكبر.

قال عليّ: «لا شيء أكبر من الله».

فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله.

قال عليُّ بن الحسين: «شهد بها شَعري وبشَري ولَحمِي ودمي».

فلمّا قال المؤذّن أشهد أنَّ محمّداً رسول الله، التفت علي بن الحسين من فوق المنبر إلى يزيد فقال: «محمدٌ هذا جدّي أم جدُّك يا يزيد؟ فان زعمت أنّه جدُّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنّه جدّي فلم قتلت عترته؟».

وفرغ المؤذّن من الأذان والإقامة وتقدّم يزيدُ فصلّى صلاة الظهر.

رأس الحسين بين يدي يزيد:

ثم ان يزيد دعا برأس الحسين عليه السلام ووضعه أمامه في طست من ذهب وكان النساءُ خلفه فقامت سكينة وفاطمة يتطاولان للنظر إليه ويزيدُ يسترهُ عنهما فلما رأينه صرخن بالبكاء، ثم اذن للناس أن يدخلوا، واخذ يزيد القضيب وجعل ينكت ثغر الحسين ويقول: يوم بيوم بدر. وانشد قول الحُصينُ بنُ الحمامِ:

أبى قومُنا أن يَنْصِفُونا فأنصَفَتْ
قواضبُ في أيمانِنا تقطرُ الدّما
نفلّقُ هاماً من رجالٍ أعزةٍ
علينا وهم كانُوا اعقّ واظلما

وكان أبو برزةُ الأسلمي حاضراً فقال: «أشهد لقد رأيت النبيَّ يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليه السلام ويقول: انتما سيدا شباب أهل الجنة.

فغضب يزيد منه وأمر به فأخرج سحباً.

ثم اخرج الرأس من المجلس وصلب على باب القصر ثلاثة أيام، فلما رأت هِندُ بنتُ عمرو بنُ سهيلٍ زوجةُ يزيدَ الرأس على باب دارها دخلت المجلس على يزيد وهي تقول: «رأس ابن بنت رسول الله على باب دارنا» فقام إليها وقال لها: إعولي عليه يا هندُ فانه صريخةُ بني هاشم عجّل عليه ابن زياد.

وأمر يزيدُ بالرؤوس أن تصلب على أبواب البلد والجامع الأموي ففعلوا بها ذلك.

النساء والصبيان بين يدي يزيد:

ثم إن يزيد دعا النساء والصبيان، فاجلبوا بين يديه.

قالت فاطمة بنت الحسين: «ولمّا جلسنا بين يدي يزيد قام إليه رجلٌ من أهلِ الشام فقال: يا أميرَ المؤمنين هبْ لي هذه الجارية» يعنيني، وكنت جارية وضيئة، فأرعدت وظننت أنَّ ذلك جائز لهم، فأخذت بثياب عمّتي زينب وقلت لها:

أُوتمت وأُستخدم؟

فقالت عمّتي للشاميّ: «كذبت والله ولؤمتَّ، والله ما ذلك لك ولا له».

فغضب يزيد وقال: كذبتِ والله إنَّ ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت، فقالت عمتي: «كلاّ والله ما جعل الله لك ذلك إلاّ أن تخرج من ملّتنا وتدين بغيرها» فاستطار يزيد غضباً وقال: إيّاي تستقبلين بهذا؟ إنّما خرج من الدّين أبوك وأخوك.

فقالت زينب: «بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وأبوك وجدُّك إن كنت مسلماً» قال: كذبت يا عدوَّة الله.

قالت زينب: «أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر لسلطانك». فكأنّه استحيا وسكت، وعاد الشاميُّ فقال ليزيد مرة اخرى: هب لي هذه الجارية فقال له يزيد: اعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً.

ثم إن يزيد أخذ يقرأ الأبيات التالية:

ليتَ اشياخي ببدرٍ شَهِدُوا

جزعَ الخزرجِ من وقعِ الأسَلْ

لأهلُّوا واستَهَلُّوا فَرَحاً

ثُم قالُوا يا يزيد لا تُشَلْ

قد قَتَلْنا القَرْمَ من ساداتِهِمْ

وعدلناهُ ببدرٍ فاعتَدَلْ

لَعِبَتْ هٰاشِمُ بالمُلكِ فلا

خبرٌ جاءَ ولا وَحْيٌ نَزَلْ

لَستُ من خَنْدَفٍ إن لم أنتَقِمْ

من بني أحمدَ ما كانَ فَعَلْ

فلما سمعتْ زينب عليها السلام ذلك منه قامت صارخة في وجهه وقالت:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسولهِ وآله أجمعين، صدَقَ الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾. اظننت يا يزيد حيثُ اخذتَ علينا اقطارَ الأرض، وآفاقَ

السماء، فأصبحنا نُساقُ كما تُساقُ الأُسارى أنَّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة؟ وإن ذلك لِعِظَم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيتَ الدنيا لك مستوسقة، والأمورَ متسقة، وحين صفا لكَ مُلكُنا وسلطانُنا فمهلاً مهلاً، أنسيتَ قولَ الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

أمن العدل يابن الطلقاءِ، تخديرُكَ حرائِرُكَ وإماؤك، وسوقُكَ بناتُ رسول الله سبايا، قد هُتِكت ستورُهُنَّ، وأُبدِيت وجوههن، تحدُو بهن الأعداءُ من بلدٍ إلى بلدٍ، ويستشرفُهُنَّ أهلُ المناهلِ والمعاقلِ، ويتصفحُ وجوهَهُنَّ القريبُ والبعيد، والدنيُّ والشريف، ليس معهنَّ من حماتهن حمي ولا من رجالهن وليٌّ، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فُوهُ اكبادُ الأزكياء، ونبت لحمُهُ من دماء الشهداء، وكيف يُستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشَّنَفِ والشنآن، والإحَنِ والاضغان ثم تقولُ غير متأثمٍ ولا مستعظم:

لأهــلُــوا واســتــهــلُــوا فَــرَحــاً

ثــمَّ قــالُــوا يــا يــزيــدُ لا تُــشَــلْ

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تَنْكُتُها بِمْخصرتكْ وكيف لا تقولُ ذلك، وقد نكأتَ القرحة، واستأصلتَ الشأفة، باراقتِكَ دماءَ ذريةِ محمدٍ ﷺ ونجومِ الأرض من آلِ عبدِ المطلب وتهتفُ بأشياخك زعمتَ أنك تناديهم فَلْتَرِدَنَّ وشيكاً موردَهُم ولتودَّن أنَّكَ شُلِلت وبُكِمت ولم تكُنْ قلتَ ما قلت وفعلتَ ما فعلت . . .

اللّهُمَّ خذ لنا بحقنا، وانتقمْ ممن ظلمنا، واحلُل غضبَك بمن سفَكَ دماءنا، وقَتَلَ حُماتنا . . .

فوالله ما فَرَيْتَ إلا جلدك، ولا حزَزْتَ إلا لحمك، وَلَتَرِدَنَّ على رسولِ الله ﷺ بما تحملتَ من سفكِ دماءِ ذريته وانتهكتَ من حرمتِه في عترتِه ولحمتِهِ، حيث يجمعُ الله شملهم، ويلمُّ شعثهم، ويأخذُ بحقهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ . . .

وحسبُكَ بالله حاكماً، وبمحمدٍ ﷺ خصيماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلمُ من سوى لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وأيكم شر مكاناً، واضعف جنداً...

ولئن جرَّت عليَّ الدواهي مخاطبتُك، إني لأستصغرُ قَدْرَكَ واستعظمُ تقريعَكَ، واستكثر توبيخَكَ، لكنَّ العيون عبرى، والصدورَ حرّى...

ألا فالعجبُ كلُّ العجبِ من قتل حزب الشيطان الطلقاء، لحزب الله النجباء فهذه الأيدي تنطّف من دمائنا، والأفواهُ تتحلبُ من لحومنا وتلك الجثثُ الطواهر الزواكي تنتابها العواسلُ، وتعَفّرُها امهاتُ الفراعل ولئن اتخذتنا مغنما، لتجدنّا وشيكاً مغرما، حين لا تجدُ إلا ما قدَّمت، وما ربُّكَ بظلامٍ للعبيد، وإلى الله المشتكى وعليه المعوَّل.

«فكدْ كيدَكَ، واسعَ سعيكَ، وناصبْ جُهدك، فوالله لا تمحُو ذكرنا، ولا تُميتُ وحينا ولا تدركُ امدَنا، ولا يرحضُ عنك عارها، وهل رأيُكَ إلاّ فند، وأيامك إلاّ

عدد، وجمعك إلاّ بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنةُ الله على الظالمين. . .

والحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادةِ والمغفرة ولآخرنا بالشهادةِ والرحمة، ونسأل الله أن يكملَ لهم الثواب، ويوجبُ لهم المزيد ويحسنُ علينا الخلافة، إنه رحيمٌ ودودٌ، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

فقال يزيد:

يا صيحةً تُحمدُ من صوائحِ

ما أهونَ النوحَ على النوائحِ

مسير السبايا إلى كربلاء:

ولقد احدثت هذه الخطبة هزة في مجلس يزيد وراح الذين حضروا يتحدثون عن الضلال والتيه الذي غمرهم وأنهم في أيِّ وادٍ يعمهون، فلم ير يزيدُ مناصاً إلا أن يخرج حرم الحسين من المجلس إلى خربة لا تكنهم من حر ولا برد فأقاموا فيها ينوحون على الحسين عليه السلام ثلاثة أيام.

وفي أحدِ تلك الأيام خرج السجادعَلَيْهِ السَّلَامُ من الخربة يتروح، فلقيه المنهالُ بنُ عمر فقالَ له: «كيف امسيتَ يابن رسول الله؟ فقالعَلَيْهِ السَّلَامُ: «أمسينا في قومنا كمثل بني اسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا وأصبح خير البريَّة بعد رسول الله يُلعن على المنابر.. أمستِ العربُ تفتخرُ على العجم بأن محمداً منها، وامستْ قريشٌ تفتخرُ على سائرِ العرب بأن محمداً منها، وأمسينا معشرَ أهل بيته مقتولين مشرّدين، فإنا لله وإنا إليه راجعون».

قال المنهال: وبينا يكلمني إذ امرأةٌ خرجت خلفه تقول له: إلى أين يا نِعْمَ الخلف؟ فتركني واسرع إليها فسألت عنها قيل: هذه عمته زينب.

ولما كثرت اللائمة على يزيد ووضح الفشل والخطأ في فعلته وعاب عليه خاصته وأهل بيته ونساؤه لما ارتكبه بحق أهل بيت الرسول والقسوة التي يتعامل بها مع الأسارى، لم يجد مناصاً من إلقاء التبعة على عاتق ابن

زياد لكي يُبعد المسبة عن نفسه.

ولما خشي الفتنةَ وانقلابَ الأمر عليه عجّل باخراجِ السجاد والعيالِ من الشام إلى وطنهم ومقرهم، ومكّنهم مما يريدون، وأمرَ النعمانَ بن بشير وجماعةً معه أن يسيروا معهم إلى المدينة وقيل إن زين العابدين أخذ معه رؤوس أهل البيت ودفنها مع الأجساد في كربلاء.

فلما وصلوا العراق قالوا للدليل: «مر بنا على طريق كربلا» فوصلوا إلى مصرع الحسين فوجدُوا جابرَ بنَ عبدِ الله الأنْصاريْ وجماعةً من بني هاشم ورجالاً من آل رسول الله قد وردوا لزيارةِ قبر الحسين فتلاقَوْا بالبكاء والحزن وأقامُوا في كربلاء ينوحُون على الحسين ثلاثة أيام.

ووقف جابرُ الأنصاريُّ على القبر فأجهشَ بالبكاء وقال: «يا حسين» ثلاثاً ثم قال:

«حبيبٌ لا يجيبُ حبيبه، وأنّى لك بالجواب وقد شحَطَتْ اوداجُك على إثباجك، وفُرّقَ بين رأسِكَ وبدنِك، فأشهدُ أَنَّك ابنُ خاتمِ النبيين، وابنُ سيِّد المؤمنين، وابنُ

حليفِ التقوى، وسليلُ الهدى، وخامسُ أصحاب الكساء، وابنُ سيِّدِ النقباء، وابنُ فاطمةَ الزهراءِ سيدةِ النساء! وما لك لا تكون كذلك وقد غذَّتك كفُّ سيدِ المرسلين، ورُبِّيتَ في حِجر المتّقين ورَضَعْتَ من ثدي الإيمان، وفُطِمت بالاسلام، فطبتَ حياً وطبتَ ميتاً غيرَ أنَّ قلوبَ المؤمنين غيرُ طيبةٍ بفراقك، ولا شاكة في الخيرة لك، فعليكَ سلامُ الله ورضوانُهُ، اشهدُ انك مضيتَ على ما مضى عليه اخوكَ يحيى بنُ زكريا». ثم توجه إلى قبور الشهداء فقال: «السلام عليكم أيتُها الأرواحُ التي حلت بفِناءِ الحسين واناخَتْ برحله، اشهدُ أنكم اقمتُمُ الصلاة، وآتيتمُ الزكاة وامرتُمُ بالمعروف، ونهيتُم عن المنكر، وجاهدتُمُ الملحدين، وعبدتُمُ الله حتى أتاكم اليقين».

وأضاف قائلاً: «والذي بعث محمداًﷺ بالحق نبياً، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

فقال له عطية العوفي: «كيف ولم نهبط وادياً، ولم نَعلُ جبلاً ولم، نضرب بسيف، والقوم قد فُرق بين

رؤوسهم وابدانهم، وأوتمت أولادهم، وأرملت الأزواج».

فقال له جابر: «إني سمعت حبيبي رسول الله يقول: من أحبَّ قوماً كانَ معهُم ومن احَبَّ عمل قوم أُشرك في عملهم والذي بعث محمداً بالحق نبياً أن نيّتي ونيّة أصحابي على ما مضى عليه الحسين واصحابه».

رجوع السبايا إلى المدينة:

لم يجد الإمام السجادُ عليه السلام بداً من الرحيل من كربلاء إلى المدينة بعد أن أقام ثلاثة أيام، لأنهُ رأى عماتِهِ ونساءَهُ وصبيتَهُ نائحاتِ الليل والنهار يقمن من قبر ويجلسن عند آخر.

قال بشِيرُ بنُ حذلم: «لما قربنا من المدينة نزلَ علي ابن الحسين وحطَّ رَحْلَه وضرب فُسطاطه وأنزل نساءه وقال: يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟

قلت: بلى يابن رسول الله اني لشاعر فقال عليه السلام: ادخل المدينة وانع أبا عبد الله عليه السلام، قال بشير: فركبتُ فرسي واسرعت حتى دخلت المدينة فلما بلغتُ مسجدَ النبي صلى الله عليه وآله رفعتُ صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أَهْلَ يثربَ لا مُقامَ لكُمْ بها
قُتِلَ الحُسينُ فأدمُعِي مِدرارُ
الجسمُ منهُ بكربلاءَ مضرَّجٌ
والرأسُ منه على القناةِ يُدارُ

وناديت معولاً: «هذا علي بن الحسين مع عماته واخواته قد حلّوا بساحتكم، وأنا رسوله إليكم أُعرفكم مكانه».

فخرج الناس يهرعون ولم تبق مخدَّرة إلا برزت وهي نادبة وضجت المدينة بالبكاء، فلم ير باك أكثر من ذلك اليوم واجتمعوا على زينِ العابدين يعزونه، فخرج من الفُسطاط وبيده خرقةٌ يمسح بها دموعه وخلفه مولى معه كرسي، فجلسَ عليه وهو لا يتمالكُ من العَبرة وارتفعتِ

الأصواتُ بالبكاء والحنين.

فأومأ إلى الناس أن اسكتوا، فلما سكتت فورتُهم قام خطيباً فقال:

«الحمد لله ربِّ العالمين، الرحمنِ الرحيم، مالكِ يومِ الدين، باري الخلائقِ أجمعين، الذي بَعُد فارتفعَ في السماوات العلى، وقَرُبَ فشهِدَ النجوى، نحمدُهُ على عظائمِ الأمور، وفجائعِ الدهور، وأَلَمِ الفجائع، ومضاضةِ اللواذع، وجليلِ الرزءِ، وعظيمِ المصائب الفاظعةِ الفادحةِ الجائحة...

أيها الناس، إنَّ الله تعالى، ولهُ الحمد، ابتلانا بمصائبَ جليلةٍ، وثلمةٍ في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام وعترتُه، وسبيت نساؤه وصبيتُه، وداروا برأسه في البلدان، من فوق عاملِ السنان، وهذهِ الرزيَّة لا مثلها رزية...

أيها الناس، فأي رجالات منكم يُسرون بعد قتله؟ أم أيُّ فؤاد لا يحزن من أجله، أم أية عين منكم تحبسُ

دمعها، وتضنُ عن انهمالها، فلقد بكتِ السبع الشداد لقتله، وبكتِ البحار بأمواجها. والسماواتُ بأركانها، والأرضُ بأرجائها، والأشجارُ بأغصانها، والحيتانُ في لجج البحار، والملائكةُ المقربون، وأهلُ السماوات أجمعون. . .

أيها الناس، أي قلبٍ لا ينصدعُ لقتله؟ أم أي فؤادٍ لا يحنُ إليه؟ أم أي سَمعٍ يسمع بهذه الثلمة التي ثُلِمت في الإسلام ولا يصم. . .

أيها الناس، أصبحنا مشرّدين، مطرودين، مذودين، شاسعين عن الأمصار، كأننا أولاد تُركٍ وكابل، من غير جرمٍ اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمةٍ في الإسلام ثلمناه، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إن هذا إلا اختلاقٌ، واللهِ لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدَّم إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمَها، وأفجعَها، واكظَّها وافظَّها وأمرَّها وافدَحها، فعند الله نحتسبُ ما أصابنا، وما

بلَغَ بنا، فإنه عزيزٌ ذو انتقام».

فقام إليه صَوْحَانُ بنُ صَعْصَعةِ بنِ صَوْحانِ العَبْديُّ وكان معقداً واعتذر بما عنده من زمانةِ رِجليه.

فأجابه عليه السلام بقبول عذره وحسنِ الظن فيه وشكَرَ له وترحَّم على أبيه، ثم دخل زين العابدين المدينة بأهله وعياله وجاءَ إليه إبراهيمُ بنُ طَلْحةَ بنِ عبيدِ الله وقال: من الغالب؟ فقال عليه السلام: إذا دخل وقت الصلاة فأذِّن وأقم تعرف من الغالب وكان يقصد بذلك أن الديْنَ هو الغالب وأن بدَمِ الحسينِ وأهلِ بيته أقاموا الصلاة واثبتوا اركان النبوة.

فأما زينبُ أم كلثوم فأنشأت تقول:

مـديـنـةُ جَـدِّنـا لا تَـقْـبَـلِـيـنـا
فـبـالحَـسَـراتِ والأحـزانِ جِـيـنا
خـرجـنـا مـنـكِ بـالأهـلِـيـن طُـراً
رَجِـعـنـا لا رِجـالَ ولا بَـنـيـنا

ثم أخذت زينبُ بنت أمير المؤمنين بعضادتي باب المسجد وصاحت:

«يا جداه اني ناعيةٌ إليك أخي الحسين».

وصاحت سكينة: «يا جداه إليك المشتكى مما جرى علينا، فوالله ما رأيت أقسى من يزيد ولا رأيتُ كافراً ولا مشركاً شراً منه، ولا أجفىٰ وأغلط، فلقد كان يقرعُ ثغرَ أبي بمخصرته وهو يقول: كيفَ رأيت الضرب يا حسين».

وفي حديث الصادقعليه السلام: «ما اختضبتْ هاشمية ولا اذهَنَت ولا أُجيل مرود في عينِ هاشميةٍ خمس سنواتٍ حتى بَعث المختارُ برأسِ عبيد الله بن زياد.

وأما الرباب فبكت على ابي عبد الله حتى جفت دموعها.

ثم إنَّ زينَ العابدينعليه السلام تفرّغ للدعاء والعبادةِ والبكاءِ على أبيه حتى روي أنه بكى عليه أربعين سنة صائماً نهارَهُ قائماً ليله، فإذا حضرَ الإفطارُ جاءه غلامُه بطعامه وشرابه، فيضعهُ بين يديه فيقول: كل يا مولاي.

فيقول: كيف آكل وقد قتل ابنُ رسول الله جائعاً وكيف أشرب وقد قتل ابن رسول الله عطشاناً فلا يزالُ

يكرِّر ذلك ويبكي حتّى يبلّ طعامه وشرابه من دموعه، فلم يزل كذلك حتّى لحق بالله عزّ وجلّ.

وحدَّث مولى له قائلاً أنه عليه السلام برز يوما إلى الصحراء فتبعته فوجدته قد سجدَ على حجارةٍ خشنة، فوقفت وأنا أسمعُ شهيقَه وبكاءه وأحصيتُ عليه ألف مرَّة «لا إله إلاّ الله حقّاً حقّاً، لا إله إلاّ الله تعبّداً ورقاً، لا إله إلاّ الله إيماناً وصدقا» ثمَّ رفع رأسه من السجود وإنَّ لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه، فقلت: يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن يقلّ؟

فقال لي: يا هذا إنَّ يعقوبَ بن إسحاق ابن إبراهيم عليه السلام كان نبيّاً وابن نبيّ وكان له اثنا عشر ابناً فغيّب الله سبحانه واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن، واحدَوْدَبَ ظهرُه من الغمّ، وذهبَ بصرُهُ من البكاء وهو يعلم أن ابنه حيٌ في دار الدُّنيا، وأنا نظرتُ إلى أبي وأخي وسبعةَ عشر من أهلِ بيتي صرعى مقتولين حولي.

واني لا اذكُر مصرَع بني فاطمة إلا خنقتني العَبرة،

وإذا نظرتُ إلى عمّاتي وأخواتي ذكرتُ فرارهن من خيمةٍ إلى خيمة.

فكيف ينقضي حزني، ويقلُّ بكائي؟

كـم دمـوع مـمـزوجـةٍ بـدمـاءِ
سـكـبَتْـهـا الـعـيـونُ فـي كـربـلاءِ
لـسـتُ انـسـاهُ بـالـطـفـوفِ غـريـبـاً
مُـفـرداً بـيـن صـحـبِـهِ بـالـعـراءِ
وكـأنـي بـه وقـد خـرّ فـي الـتـربِ
صـريـعـاً مخـضـبـاً بـالـدمـاء
وكـأنـي بـه وقـد لـحـظَ الـنـسـوانَ يُـهـتـكـنَ مـثـل هـتـكِ الإمـاءِ

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفاتحة	٥
إضرام النار في الخيام وسلب النساء	٧
سَوْقُ النساء	٨
محاولة قتل الإمام زين العابدين	١٠
وطء جسد الحسين عليه السلام بالخيل	١١
تقطيع الرؤوس واقتسامها بين القبائل	١٢
رأس الحسين عليه السلام في قصر الإمارة	١٣
الخروج من كربلاء	١٣
السبايا في الكوفة	١٦

خطبة زينب ١٧
خطبة فاطمة بنت الحسين ١٩
خطبة أم كلثوم ٢٣
خطبة السجاد عليه السلام ٢٥
دفن أجساد أهل البيت عليهم السلام ٢٧
رأس الحسين عليه السلام أمام ابن زياد ٣٠
ثورة ابن عفيف ٣٥
تشفّي بني أمية من قتل الحسين ٤١
بنو هاشم في عزاء الحسين ٤٣
عبدالله بن عباس يعاتب يزيد ٤٤
ابن زياد يرسل السبايا إلى الشام ٤٩
دخول السبايا على يزيد ٥٠
يزيد مع السجاد ٥٧
رأس الحسين بين يدي يزيد ٦٣
النساء والصبيان بين يدي يزيد ٦٤

مسير السبايا إلى كربلاء ٧٠
رجوع السبايا إلى المدينة ٧٤
الفهرس ٨٣